



الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم



2021-2022

اللغة العربية

كتاب النصوص



الصف
12

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

كِتَابُ النَّصُوصِ

الصَّفِّ الثَّانِي عَشَرَ



الطبعة السادسة 1442 - 1443 هـ / 2021 - 2022 م

«أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرَجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابٌ»

(الشاعر المتنبي)

هذا كتابُ النُّصوصِ الشُّعريةِ، نقدَّمُ إليك فيه باقة من قصائد الشعر العربيِّ قديمِه وحديثِه، وهذه القَصائدُ مختارةٌ لك بعناية؛ لتكتشف من خلال دراستها خصوصيَّتها البيئية، إذ ستبهرك قدره شعرائها على توظيف الكلمة الشُّعرية المؤثِّرة، والخيال المجنَّح، والفكرة القادرة على اشتقاق معانٍ جديدة للحياة، وستتفاعَلُ مع موسيقاها الشُّفاة التي تُنشِطُ ذهنَكَ، وتثيرُ فيك انفعالاتٍ تدفَعُك إلى مساحاتٍ من الفكر الخاصِّ لأصحابها وتصوراتهم وفلسفتهم في الحياة، وبهذه المكانة اللائقة الرفيعة، تسلَّلَ الشعر إلى قمة الفنون الأدبية، وكانت قصائد هذا الكتاب أنموذجًا من الإبداع الأدبيِّ الرَّاقِي.

عزيري الطالب،

صُمِّمَ كتابُك على منهجية مدروسة تجعلك تتعرف في الفصل الدراسي الأول إلى التجربة الشعرية لدى الشاعر المتنبي، وستكتشف من خلال دراستك القصيدتين المختارتين أن هذا الشاعر قد ذهب بالكلمات إلى أقصى ما يمكن أن تذهب إليه، وابتكر من المعاني ما جعله بحق مالى الدنيا وشاغل النَّاسِ، وسيدعم النَّصان المختاران اللذان يُعدَّان من عيون الشعر العربي في العصر العباسيِّ حصيلتك اللغوية ومعرفتكَ بديع اللغة وجناسها وبلاغتها.

وستتعرف في الفصل الدراسي الثاني إلى فنّ الموشّحات الذي عبّر بصدقٍ عن مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية الأندلسية التي وُلِدَ فيها هذا الفن، وستكتشف أنّ هذا اللون الشعريّ الجميل يخرج بأوزانه وقوافيه عن نظام القصيدة العربية، والأساليب المعروفة لدى الشعراء العرب، و ستبهرك الكلمة الغنائية التي تأخذ مكانها بعناية فائقة في نسيج الموشح لتعبر عن حياة الترف والتطور الفكري للعرب والمسلمين في تلك البلاد.

أما في الفصل الدراسي الثالث فستطلع بدور أكبر، وتتعرف شعر التّفعية، وستكون القصيدتان المختارتان لك محوراً لاكتشاف دور الرّمز الإيحائي في التعبير عن قضايا إنسانية عميقة، مما يجعلك شريكاً في تتبع الخطوط والمفاصل الرئيسة التي نسجت التجربتين الشعوريتين لدى الشاعرين : فاروق جويدة وإبراهيم محمد إبراهيم، وهما تجربتان غنيتان بالدلالات الجديدة والمتغيّرة.

عززي الطالب،

لعلنا نقول أخيراً: إنّ كتاب النصوص الشعرية سيقدم لك زاداً فكرياً ولغوياً جديداً يضيف مذاقاً خاصاً للغة العربية، راجين أن تؤدي هذه النماذج الشعرية، قديمها وحديثها دورها في تعرّف الحياة التي يعيشها الإنسان فرحاً وحرزاً، أملاً ويأساً، حباً وبُغضاً، أحلاماً وانكسارات، ونأمل أيضاً أن تجعلك هذه النماذج الشعرية التي تشكلت من فيض العاطفة مشاركاً نشطاً في مناقشة أبنيتها الفكرية والأسلوبية واللغوية، وبعد :

فإننا نرجو أن تكون هذه النماذج الشعرية رحلتك لتعرّف الحياة والنّاس.

الفهرس

يتم تعريف المحتوى على تطبيق التعلم الذكي



- 11 * شعرُ المُتنبِّي
- 13 - مُقدِّمةٌ عن شعرِ المُتنبِّي
- 15 ◊ أرقُّ على أرقٍ
- 16 ◊ على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ
- 17 ◊ عيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ
- 18 ◊ الرأْيُ قبلَ شجاعةِ الشَّجعانِ
- 20 ◊ إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومٍ
- 21 ◊ أجابَ دَمعي وما الداعي سوى طَللٍ
- 23 ◊ واحرَّ قلباهُ ممَّن قلبه سُبِّمُ
- 25 ◊ ألا ما لسيفِ الدَّولةِ اليومَ عاتبا
- 26 ◊ أينَ أزمعتَ أيُّهَذَا الهُمامُ؟
- 27 ◊ لا خيَلٍ عندك تُهدِيها ولا مالٍ
- 29 ◊ صحبَ النَّاسُ قبلنا ذا الزَّمانا
- 30 ◊ بأدنى ابتسامٍ منك تحيا القرائحُ
- 31 ◊ أراعَ كذا كلَّ الملوِكِ هُمامُ؟
- 33 ◊ بِمِ التَّعلُّلِ لا أهلٌ ولا وطنٌ
- 35 ◊ مغانِي الشُّعبِ طيباً في المغانِي
- 38 ◊ لِكُلِّ امرئٍ من دهرِه ما تعودا
- 40 ◊ كفى بك داءً

ملاحظة:

التصوص المعالجة في كتاب (التطبيقات اللغوية) تجد عناوينها مظللة باللون الرمادي.



- 43..... « نصوص رديفة من العصر العباسي »
- 45..... ◇ السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكُتُبِ - أبو تمام
- 49..... ◇ إذا جاريتَ في خُلُقٍ دنيئاً - أبو تمام
- 50..... ◇ صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي - البُحْتُريُّ
- 53..... ◇ أبا سَعِيدٍ، وَفِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ - البُحْتُريُّ
- 54..... ◇ ميلوا إلى الدارِ مِنْ لَيْلَى نَحِييْهَا - البُحْتُريُّ
- 56..... ◇ لَمَّا كَمَلْتَ رُوِيَّةً وَعَزِيمَةً - البُحْتُريُّ
- 57..... ◇ وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ - أبو العلاء المَعريُّ
- 59..... ◇ بَكَوْا كَمَا يُشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي - ابن الروميِّ
- 61..... ◇ أَنَانِي مَقَالٌ مِنْ أَخٍ فَاعْتَفِرْتُهُ - ابن الروميِّ
- 62..... ◇ رَبِّ عَرَضٍ مَنْزِهِ عَنْ قَبِيحٍ - ابن الروميِّ
- 63..... ◇ سَأَلْتُكَ حَاجَةً فَسَعَيْتَ فِيهَا - ابن الروميِّ
- 64..... ◇ مَنْ سَأَلَ النَّاسَ سَلِمَ - أبو العتاهية
- 65..... ◇ لَعَمْرُكَ، مَا الدُّنْيَا بَدَارٍ بَقَاءٍ - أبو العتاهية
- 66..... ◇ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى طَيْفٍ يُزَاوِرُهُ - أبو فراسِ الحَمْدانيِّ
- 68..... ◇ مَالِي بَدَارٍ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا شُغْلٌ - أبو نَوَاسٍ

- 69..... * الشَّعْرُ الأَنْدَلِسِيُّ
- 71..... - مُقَدِّمَةٌ عَنِ الشَّعْرِ الأَنْدَلِسِيِّ
- 73..... ◊ جَادَكَ العَيْثُ - لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الخَطِيبِ
- 74..... ◊ نَثَرَ الجَوْ عَلَى الأَرْضِ بَرْدٌ - ابْنُ حَمْدِيسَ
- 75..... « نصوصٌ رديفةٌ من العَصْرِ الأَنْدَلِسِيِّ
- 77..... ◊ وَصَفُ الجَبَلِ - ابْنُ خَفَاجَةَ
- 78..... ◊ وَصَفُ بَرَكَةِ المُتَوَكَّلِ - ابْنُ حَمْدِيسَ
- 79..... ◊ العُودَةُ إِلَى الوَطَنِ - ابْنُ حَمْدِيسَ
- 80..... ◊ بَيْنَ الشَّيخوخَةِ والمرَضِ - ابْنُ حَمْدِيسَ
- 81..... ◊ وَصَفُ الشَّيخوخَةِ - ابْنُ حَمْدِيسَ
- 82..... ◊ يَا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ العُرْدِ - ابْنُ عَبدِ رَبِّهِ
- 83..... ◊ طَوَيْتُ زَمَانِي - ابْنُ عَبدِ رَبِّهِ
- 84..... ◊ وَصَفُ الطَّبِيعَةِ الغَنَاءِ - ابْنُ سُهَيْلٍ
- 85..... ◊ وَصَفُ النَّهْرِ - ابْنُ سُهَيْلٍ
- 86..... ◊ لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانٌ - أَبُو البَقَاءِ الرَّنْدِيُّ
- 88..... ◊ أَبَدْتُ لَنَا الأَيَّامُ - أَبُو الحَسَنِ بنِ زَنْبَاعِ
- 89..... ◊ فِيمَا مَضَى كُنْتُ بالأَعْيَادِ مَسْرُورًا - المَعْتَمِدُ
- 90..... ◊ أَبِي البَرِّقِ إِلاَّ أَنْ يَحَنَّ فَوَادٌ - ابْنُ خَفَاجَةَ
- 91..... ◊ وَصَهْوَةَ عَزْمٍ قَدْ تَمَطَّيْتُ - ابْنُ خَفَاجَةَ
- 92..... ◊ وَمَفَازَةَ لا نَجْمَ فِي ظِلْمَائِهَا - ابْنُ خَفَاجَةَ
- 93..... ◊ أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا - ابْنُ زَيْدُونَ
- 95..... ◊ إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتاقًا - ابْنُ زَيْدُونَ
- 96..... ◊ شَكْوَى وَعَتَابٌ - ابْنُ زَيْدُونَ
- 98..... ◊ مِنْ مُبْلِغٍ عَنِّي البَدْرِ الَّذِي كَمَلَا - ابْنُ زَيْدُونَ
- 99..... « نصوصٌ رديفةٌ من المَوْشِحَاتِ
- 101..... ◊ مَوْشِحٌ - للشَّاعِرِ (أَبُو الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ مَهْلَهْلِ الجِيلَانِيِّ)

- 103..... * شعر التفعيلة
- 105..... - مقدمة عن قصيدة التفعيلة (الشعر الحر)
- 107..... ◇ ياليل، دعني - فاروق جويده
- 110..... ◇ سكر الوقت - إبراهيم محمد إبراهيم
- 115..... « نصوص رديفة من شعر التفعيلة
- 117..... ◇ الرحلة لم تبدأ بعد - إبراهيم محمد إبراهيم
- 121..... ◇ عند باب المدينة - إبراهيم محمد إبراهيم
- 124..... ◇ قصة لا تنتهي - إبراهيم محمد إبراهيم
- 127..... ◇ كان هنا بحر - إبراهيم محمد إبراهيم
- 129..... ◇ من أين يجيء البرد؟ - إبراهيم محمد إبراهيم
- 131..... ◇ عدالة - أيمن أبو شعر
- 134..... ◇ مر القطار - نازك الملائكة
- 138..... ◇ أنشودة المطر - بدر شاكر السياب
- 144..... ◇ ذكريات الطفولة - عبد الوهاب البياتي
- 147..... ◇ البكاء بين يدي زرقاء اليمامة - أمل دنقل
- 151..... ◇ العائد - ممدوح عدوان
- 153..... ◇ طفل - صلاح عبدالصبور
- 156..... ◇ أقول لأصحابي - علي جعفر العلق
- 157..... ◇ أيار وملاح جديد - إبراهيم السعافين
- 160..... ◇ ما زلت أغني - محمد الفيتوري
- 162..... ◇ بدأت مع البحر - محمد عبد الله البريكي
- 164..... ◇ عالم المجد - د. عبد الحكيم الزبيدي
- 166..... ◇ ورثة أمي - د. راشد علي عيسى

171..... - القِصَّةُ القَصِيرَةُ

175..... * القِصَّةُ القَصِيرَةُ

177..... ◊ نظرةٌ خارجَ النَّافذةِ - (ليندا فون كيزر)

181..... ◊ علامةٌ تعجَّبُ - فاطمة الكعبي

183..... ◊ رأيتُ النَّخْلَ - رضوى عاشور

191..... ◊ الحَرَبَاءُ - (أنطوان تشيخوف)

197..... ◊ مَا لَنْ يَأْتِي عَبْرَ النَّافِذَةِ - جوخة الحارثي

201..... ◊ طفلٌ و كلبٌ، ذاتَ ليلٍ - (آماليا رنداياك)

207..... ◊ السَّمَاوَر - سعيدُ فائقٌ

211..... « قصصٌ رديفةٌ

213..... ◊ البدينُ والنحيفُ - (أنطوان تشيخوف)

215..... ◊ بيتٌ - إبتسام المعلا

219..... ◊ الحلم الأخير - (هانس كريستيان أندرسن)

225..... ◊ الشيخان

233..... ◊ الصقر - (غوستاف هيلستروم)

237..... ◊ الفلاحون في (باريس) - (ألفونسو دوديه)

241..... ◊ بغلة القاضي - (ألفونسو دوديه)

257..... ◊ حلم عصفور المطر - د. ليلي الصقر

267..... ◊ سر المعلم كورني

273..... ◊ عنزة السيد (سيجان)

281..... ◊ أسطورة الرجل ذي المخ الذهبي - (ألفونسو دوديه)

285..... ◊ وداعا يا كورديرا - (ليوبولدو آلاس)

291..... ◊ كلمات

295..... ◊ منزل للبيع

301..... ◊ ينبوع الشباب - (ناتانيل هوثورن)

شِعْرُ الْمُتَنَبِّي



مقدمة عن شعر المتنبي

في فترة تفكك الدولة العباسية ومرحلة صراع عاشها العرب والمسلمون، وظهور الدويلات والإمارات المتصارعة في بلاد الشام، وتعرض الحدود لغزوات الروم والصراع المستمر، في هذا العالم المضطرب كانت نشأة الشاعر أبي الطيب المتنبي - أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبي الطيب الكندي الكوفي المولد - الذي أدرك بفطرته وذكاية حقيقة ما حوَّله، فأخذ بأسباب العلم والقراءة والثقافة، فأنمر ذلك عبقريته في الشعر العربي، وأكسبه كبرياءً وطموحاً وحباً للمغامرات وطلب المجد، مع أنه عاش خلاف ما كان يحلم، ويتمنى، إذ قضى سنوات عمره في مدح الملوك مؤملاً أن يجودَ عليه الزمان بما كان يراه حقاً له، ومكافأةً لعبقريته وذكاية.

والشاعر المتنبي هو مالى الدنيا وشاغل الناس بشعره، فشعره يعدُّ في ذروة الشعر العربي الفصيح؛ لأنه يُعبّر عن التجارب الإنسانية التي عاشها، وهو من كبار شعراء العرب، ومن أكثرهم تمكناً من اللغة العربية، حتى إنه عدُّ من علمائها، وله مكانة سامية بين شعرائها، حتى إنه وُصفَ بـ (نادرة زمانه، وأعجوبة عصره)، فشعره مصدر إلهام ووحى للشعراء والأدباء والنقاد ومُتذوقي الشعر بسبب رصانته وحكمته وعلو همته وطموحه وشجاعته.

كان الشاعر المتنبي معتزلاً بعروبته، ومفتخراً بنفسه، ومعتدداً بها، كما اصطبح شعره بقوة الصياغة، وبالقدرة على الوصف وامتلاك ناصية اللغة الشعرية والبيان العربي، كما جاءت صورته صادقة لمرحلة عصره، وحياته.

ومن الحكمة التي اتصف بها شعره، قوله:

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ	فلا تقنّع بما دون النجوم
يرى الجبناء أن العجز عقلٌ	وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً	وأقنّه من الفهم السقيم

وَقَوْلُهُ أَيضًا:

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَدَا

وَيَعْدُ شِعْرُ الْمُتَنَبِّيِّ بِالْبَعْثِ وَالتَّأْثِيرِ فِي مَسِيرَةِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا؛ لِمَا يَمْتَلِكُ مِنَ الرُّؤْيَةِ الْعَمِيقَةِ، وَمِنَ الرُّؤْيِ الشَّرِّ فِي مَجَالَاتِ الْإِبْدَاعِ وَالْخُصُوبَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَالشَّعْرِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفَنُّنِ فِي اسْتِخْدَامِ مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِقْفَاتِهَا وَإِحَالَاتِهَا الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُ طَوْدًا شَامَخًا فِي شَعْرِنَا، وَشَخْصِيَّةً يَلْتَقِي حَوْلَ قَرِيحَتِهَا مُحِبُّوهُ وَخُصُومُهُ عَلَى السَّوَاءِ.

وَلَيْسَ غَرِيبًا عَلَى الشَّاعِرِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ هَذِهِ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ بَيْنَ نَوَابِغِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَفُحُولِهِ فِي الْقَدِيمِ وَفِي الْحَدِيثِ أَيضًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ رَزَقَ قَرِيحَةً وَعَبْقَرِيَّةً وَنَبُوعًا قَلَّ أَنْ يَتَهَيَّأَ لِمَنْ قَبْلَهُ، وَأَنْ يَقَعَ نَظِيرُهُ لِمَنْ بَعْدَهُ، مِمَّا جَعَلَهُ طَرَازًا فَرِيدًا، وَجِيلًا كَامِلًا مِنَ التَّمْيِيزِ وَالْإِبْدَاعِ وَإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَالتَّفَنُّنِ الَّذِي لَا يُجَارَى أَوْ يُضَاهَى فِيهِ.

وَقَدْ تَفَرَّدَ الْمُتَنَبِّيُّ فِي بَابِ الشَّعْرِ الَّذِي مَلَكَ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ كُلُّهَا فِي مُخْتَلَفِ جَوَانِبِهَا، وَكَأَنَّ مَوْعِدَهُ مَعَ الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ إِنَّمَا كَانَ عَلَى صَهْوَةِ الشَّعْرِ وَحَدَهُ.

كَمَا كَانَ شَاعِرًا مَحْظُوظًا مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْكَبْرَاءِ الَّذِينَ عَاصَرَهُمْ، وَكَانَ لَا يُجَارَى فِي شِعْرِهِ، حَتَّى إِنَّهُ أَطْفَأَ شَمُوسَ كَثِيرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ مِمَّنْ لَا يَقْلُونَ عَنْهُ نَبُوعًا وَبِرَاعَةً، كَالْبُحْتَرِيِّ، وَالشُّرَيْفِ الرُّضِيِّ، وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ، ...

أرق على أرق*

- 1 أرق على أرق ومثلي يارق
- 2 جهد الصباية أن تكون كما أرى
- 3 ما لاح برق أو ترنم طائر
- 4 جربت من نار الهوى ما تنطفي
- 5 وعدلت أهل العشق حتى دقته
- 6 أبني أينا نحن أهل منازل
- 7 نبكي على الدنيا وما من معشر
- 8 أين الأكاسرة الجبابرة الألى
- 9 فالموت آت والنفوس نفائس
- 10 أما بنو أوس بن معن بن الرضا
- 11 كبرت حول ديارهم لما بدت
- 12 وعجت من أرض سحاب أكفهم
- 13 ونفوح من طيب الثناء روائح
- 14 مسكية النفحات إلا أنها
- 15 أمريد مثل محمد في عصرنا
- 16 يا ذا الذي يهب الكثير وعنده
- 17 أمطر علي سحاب جودك ثرة
- وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَفَّرُ
- عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ
- إِلَّا انْتَشَيْتُ وَلِي فُوَادٌ شَيْقُ
- نَارُ الْغَضَا وَتَكِلُ عَمَّا تُحْرِقُ
- فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعَشِقُ
- أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ
- جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
- كَتَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا
- وَالْمُسْتَعْرِزُ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
- فَاعَزَّ مَنْ تُحْدِي إِلَيْهِ الْأَيْنُقُ
- مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ
- مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تَوْرِقُ
- لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ
- وَخَشِيَّةٌ بِسِوَاهُمْ لَا تَعْبَقُ
- لَا تَبْلُنَا بِطِلَابٍ مَا لَا يُلْحَقُ
- أَنْيَ عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ
- وَانظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لَا أَغْرِقُ

* شرح ديوان المتنبي، وضعه عبدالرحمن البرقوقي، الجزء الثالث، ص37، دار الكتاب العربي، بيروت، 6891م.

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ

- 1 عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم
- 2 وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وتصغر في عين العظيم العظائم
- 3 هَلِ الْحَدُثُ الْحَمَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وتعلم أي الساقين الغمائم
- 4 سَقَّتْهَا الْعَمَامُ الْعُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فلما دنا منها سقتها الجمائم
- 5 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا وموج المنايا حولها متلاطم
- 6 أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَتَمَّا سرّوا بجياد ما لهنّ قوائم
- 7 إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ثيابهم من مثلها والعمائم
- 8 خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ وفي أذن الجوزاء منه زمائم
- 9 تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ فما يفهم الحدّات إلا التراجم
- 10 وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كأنك في جفن الردى وهو نائم
- 11 تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةً ووجهك وصاح وتغرّك باسم
- 12 ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ إِلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً تموت الخوافي تحتها والقوادم
- 13 بِضَرْبِ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وصار إلى اللبّات والنصر قادم
- 14 وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مفاتيحه البيض الخفاف الصّوامر
- 15 نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ كُلِّهِ كما نثرت فوق العروس الدرهم
- 16 وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِتَنْظِيرِهِ ولكنك التوحيد للشرك هازم
- 17 لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فإنك معطيه وإنّي ناظم
- 18 وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فلا أنا مذموم ولا أنت نادم

عيدُ بآيةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ

1	عيدُ بِآيَةٍ حَالٍ عُدتَ يا عيدُ	بِما مَضَى أَمْرٌ بِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ
2	أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ	فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدُ
3	لَوْلا الْعُلَا لَمْ تَجُبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا	وَجِنَاءُ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءُ قِيدُودُ
5	لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي	شَيْئًا تُتَيَّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ
6	أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا	أَنَا الْعَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ
7	إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ، ضَيْفُهُمْ	عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ
8	جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ	مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ
9	مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمْ	إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ تَنْبِهَا عَوْدُ
11	أَكَلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السَّوِّءِ سَيِّدَهُ	أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ
12	العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ	لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الحُرِّ مَوْلُودُ
13	لا تَشْتَرِ العَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ	إِنَّ العَبِيدَ لَأَنْجَاسُ مَنْاكَيدُ
14	ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَبْقَى إِلَى زَمَنِ	يُسيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ
15	وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا	وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي البِيضَاءِ مَوْجُودُ
16	وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ	تُطِيعُهُ ذِي العَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ
17	جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمسِكُنِي	لِكِي يُقَالَ عَظِيمُ القَدْرِ مَقْصُودُ

شرح المفردات:

- [1] عيد: أي: أعيد؟ - بما مضى: أي: أبما مضى؟
- [3] جاب الموضوع: قطعه - الوجناء: الناقة الشديدة - الحرف: الضامرة - الجرداء: الفرس القصيرة - القيدود: الطويلة العنق.
- [6] أروح: من الراحة.
- [13] المناكيد: ج منكود، قليل الخير.
- [15] أبو البيضاء: كافور، وهذه سخريه منه.

الرأي قبل شجاعة الشجعان

- 1 الرأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
- 2 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَعَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ
- 3 وَلَرُبُّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
- 4 لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى صَيِّعِمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
- 5 وَلَمَا تَفَاوَضَتِ النَّفُوسُ وَدَبَّرَتِ أَيْدِي الْكُفْمَةِ عَوَالِي الْمُرَانِ
- 6 لَوْلَا سَمِيُّ سَيْوِفِهِ وَمَضاوُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكُنَّ كَالْأَجْفَانِ
- 7 قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْدُ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ
- 8 إِنْ خُلِّيتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَعْيِ فِدْعَاوُهَا يُغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ
- 9 فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعَيْونَ غِبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرُونَ بِالْآذَانِ
- 10 يَزْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ كُفُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانَ
- 11 فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بَثْرَبَةَ مَنِيحٍ يَطْرَحَنَّ أَيْدِيهَا بِحِصْنِ الرَّانِ
- 12 رَكَضَ الْأَمِيرُ وَكَاللَّجِينِ حَبَابُهُ وَتَنَى الْأَعِنَّةَ وَهُوَ كَالْعَقِيَانِ
- 13 مَا زِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى صَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ
- 14 خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ
- 15 يَغْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلًا بِمُهْنَدٍ وَمُتَقَفِّفٍ وَسِنَانِ

- 16 وَمَهْدَبُ أَمْرِ الْمَنَايَا فِيهِمْ فَأَطَعْتُهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
- 17 وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ
- 18 إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
- 19 تَلَقَى الْحُسَامَ عَلَى جِرَاءَةِ حَدِّهِ مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ
- 20 رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيْرَانِ
- 21 أَنْسَابُ فَخْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَضْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانِ
- 22 يَا مَنْ يَفْتُلُّ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحَتْ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ
- 23 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ لِسَانِي

شرح المفردات:

- [5] المران: الرماح.
- [12] اللجين: الفضة - العقيان: الذهب - الحباب: طرائق الماء.
- [13] الذرى: رؤوس القوم.
- [17] النجيع: الدم.

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ

- | | | |
|---|---|--|
| 1 | إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ | فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ |
| 2 | فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ | كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ |
| 3 | سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي | صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الْجُسُومِ |
| 4 | قُرَيْنَ النَّارِ ثُمَّ نَشَأَنَّ فِيهَا | كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ |
| 5 | وَفَارَقَنَّ الصِّيَاقِلَ مُخْلِصَاتٍ | وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ |
| 6 | يَرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجَزَ عَقْلٌ | وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ |
| 7 | وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرءِ تُغْنِي | وَلَا مِثْلَ الشُّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ |
| 8 | وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا | وَأَفْتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ |
| 9 | وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ | عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ |

شرح المفردات:

- [1] مَرُومٍ: مطلوب.
- [4] قُرَيْنَ النَّارِ: صحن النار، وتغذين بها.
- [5] الصياقل: ج: صيقل، وهو الذي يصقل السيوف وغيرها من الصدا، فصار أملس ناعماً.

أجاب دَمعي وما الداعي سوى طَلل

- 1 أجاِبَ دَمعي وما الداعي سوى طَلل دَعَا فَلَبَاهُ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالإِبِلِ
- 2 ظَلَلْتُ بَيْنَ أَصِحَابِي أَكْفِكُمْهُ وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ العُدْرِ وَالعَدَلِ
- 3 وَالهِجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَاقِبُهُ أَنَا العَرِيْقُ فَمَا خَوْفي مِنَ البَلْلِ
- 4 قَدْ دُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَدَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلِ
- 5 وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابُ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي المَشِيبُ الرُّوحَ فِي بَدَلِي
- 6 لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلاَّ مِنْ مَضَارِيهِ أَوْ مِنْ سِنَانِ أَصَمِّ الكَعْبِ مُعْتَدِلِ
- 7 جَادَ الأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَرَأَيْتَهَا وَكَسَانِي الدَّرْعَ فِي الحُلَلِ
- 8 فَتَحَنُّ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالبَرْ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي حَجَلِ
- 9 لَيْتَ المَدَائِحَ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصِرِ الأوَّلِ
- 10 خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلَعَةِ البَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ رُحَلِ
- 11 وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ
- 12 إِنَّ الهَمَامَ الَّذِي فَخَرُ الأَنَامِ بِهِ خَيْرُ السِّيَوفِ بِكَفِّي خَيْرَةَ الدَّوَلِ
- 13 فَالعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الحَجَلِ
- 14 وَمَا الفِرَارُ إِلَى الأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمَشِي النُّعَامُ بِهِ فِي مَعْقِلِ الوَعِلِ
- 15 نَادَيْتُ مَجْدَكَ فِي شعري وَقَدْ صَدَرَا يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلِ
- 16 بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمْ فَطَالِعَاهُمْ وَكونا أَبْلَغَ الرُّسُلِ

- 17 وَعَرَفَاهُمْ بِأَتِي فِي مَكَارِمِهِ أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْحَوَلِ
- 18 يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قِبَلِي
- 19 وَمَا تَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمِ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ
- 20 أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلٍ
- 21 أَنْتَ الشُّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيْرَ السَّنُورِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلَلِ
- 22 لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرْضٍ بَعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ

شرح المفردات:

- [1] الإجابة: الطاعة - الطلل: ما شخص من آثار الديار - الركب: القوم الراكبون.
- [2] يسفح: يجري ويسيل - بين العذر والعذل: بين من يقبل عذري ومن يلومني.
- [3] هجر الحبيب أشد عليّ مما أحذره من الرقيب.
- [4] الصاب: شجر مرّ، يعصر منه ماء مرّ.
- [5] البدل: الولد، والمعنى: أنه كان شاباً فلما ذهب شبابه رأى الشباب في غيره.
- [6] الكعب: العقدة الناشئة لقناة الرمح - الأصم: الرمح المتين المكتنز.
- [7] الحلل: ج. حُلَّة، وهي الثياب الجديدة الجيدة.
- [8] الجذل: المرح - الوجل: الخوف.
- [9] كليب بن وائل، يضرب به المثل في العز، يقال: "أعز من كليب بن وائل".
- [10] المعنى: القريب يخنيك عن البعيد، ولا سيما إذا كان القريب أفضل من البعيد.
- [11] المعنى: إذا وجدت في الممدوح فضلاً ومجداً فأجد في مدحه.
- [12] الهُمام: الشجاع ذو الهمة العالية - الخيرة: مؤنث (خير). وخيرة الدول هي دولة الخلافة.
- [13] الكُدْرِيّ: جنس من طائر القطا - والمعنى: إن أعداء سيف الدولة المعتصمين في الصحارى أو في الجبال.
- [14] قصد بالنعام خيل سيف الدولة التي تصعد أعالي الجبال، فلا يفوته من طلبه.
- [15-16] المعنى: مجد سيف الدولة وشعر المتنبي رسلهما يبلغان عن حالهما شرقاً وغرباً.
- [17] الخول: الخادم والمال؛ من (خَوَلَهُ الشَّيْءُ، أي ملكه إياه).
- [19] ثناه: رده وصرفه - العارض: السحاب - الهطل: صيغة مبالغة، الكثير المطر.
- [20] المطال: التأخير والتسويق بأداء الحق - المَذَل: الضجر والقلق.
- [21] السَّنُور: جملة السلاح، ولباس من جلد أو حديد - القلل: ج قلة، أعلى الجبل.
- [22] العُرْض: الجانب والناحية، والمعنى: يلاقي عدوه بضربه من كل ناحية، محرراً نصراً عاجلاً، متمتعاً بالعمر المديد.

واحر قلباه ممن قلبه شبم

- 1 واحر قلباه ممن قلبه شبم
- 2 ما لي اکتتم حبا قد برى جسدي
- 3 قد زرنه وسيوف الهند مغمدة
- 4 فكان احسن خلق الله كلهم
- 5 قد ناب عنك شديد الخوف واضطعت
- 6 اكلما رمت جيشا فانتنى هربا
- 7 عليك هزمهم في كل معترك
- 8 اما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر
- 9 يا عدل الناس الا في معاملتي
- 10 اعيدها نظرات منك صادقة
- 11 وما انتفاع اخي الدنيا بناظره
- 12 سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
- 13 انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
- 14 انا ملء جفوني عن شواردها
- 15 اذا رايت نيوب الليث بارزة
- 16 ومن بجسمي وحالي عنده سقم
- 17 وتدعي حبا سيف الدولة الامم
- 18 وقد نظرت اليه والسيوف دم
- 19 وكان احسن ما في الاحسن الشيم
- 20 لك المهابة ما لا تصنع البهم
- 21 تصرفت بك في آثاره الهمم
- 22 وما عليك بهم عار اذا انهزموا
- 23 تصافت فيه بيض الهند واللمم
- 24 فيك الخصام وانت الخصم والحكم
- 25 ان تحسب الشحمر فيمن شحمه ورم
- 26 اذا استوت عنده الانوار والظلم
- 27 بانني خير من تسعي به قدم
- 28 واسمعت كلماتي من به صمم
- 29 ويسهر الخلق جراها ويختصم
- 30 فلا تظنن ان الليث يبتسم

16	وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ	حتى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
17	الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي	وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقِرطَاسُ وَالْقَلَمُ
18	صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مَنْفَرِدًا	حتى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ
19	يَا مَنْ يَعْزُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ	وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
20	مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ	لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْرُ
21	إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا	فَمَا لَجُرِحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ
22	كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ	وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالكَرْمُ
23	مَا أَبْعَدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانَ مَنْ شَرَفِي	أَنَا الثَّرِيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمُ
24	لَيْتَ الْعَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ	يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيْمُ
25	إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا	أَلَا تَفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ
26	شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا صَدِيقَ بِهَا	وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصْمُ

شرح المفردات:

- [1] شيم: بارد.
- [2] برى: أضعف وأهزل.
- [5] البهم: ج بهمة، الشجاع.
- [6] تصرفتك: صرفتك وحتتك ودفعتك.
- [8] اللم: الشعر.
- [10] الشحم: أراد الشاعر نفسه، والورم غيره من الشعراء.
- [14] شواردها: كلمات شعري السائرة في كل مكان - جراها: من أجلها.
- [18] القور: القارة، صرة من الأرض فيها حجارة سود - الأكم: ج أكمة، وهي الأرض المرتفعة.
- [20] أخلقنا: أجدرنا - أمم: القصد والقرب.
- [26] يصم: يعيب.

أَلَا مَا لَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا

- 1 أَلَا مَا لَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبَا فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السَّيُوفِ مَضَارِبَا
- 2 وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَائِفَ لَا أَشْتَاقُهَا وَسَبَابَا
- 3 وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أَحَادِثُ فِيهَا بَدَرَهَا وَالْكَوَاكِبَا
- 4 حَنَائِكَ مَسْؤُولًا وَلَبَّيْكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبَا
- 5 أَهَذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا أَهَذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا
- 6 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلِّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ مَحَا الذَّنْبَ كُلِّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبَا

شرح المفردات:

- [2] التنايف: ج تنوفة، الأرض الواسعة البعيدة الأطراف - السباب: ج سبب، الفضاء الواسع.
- [4] حنائك: تحننًا بعد تحنن.

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ؟

- | | | |
|----|---|--|
| 1 | أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّهَذَا الْهُمَامُ؟ | نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْعَمَامُ |
| 2 | فِي سَبِيلِ الْعُلَا قِتَالُكَ وَالسُّدُ | مُ وَهَذَا الْمُقَامُ وَالْإِجْذَامُ |
| 3 | لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْدُ | لُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ |
| 4 | كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمَالٌ جَدِيدٌ | وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامُ |
| 5 | وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ كِبَارًا | تَعَبَّتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ |
| 6 | وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا | وَكَذَا تَفْلُقُ الْبُحُورُ الْعِظَامُ |
| 7 | وَلَنَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبِّ | رِ لَوْ أَنَا سِوَى نَوَاكِ نُسَامُ |
| 8 | كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطْبَهُ حِمَامُ | كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلَامُ |
| 9 | أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا | مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ الْلُهَامُ |
| 10 | وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَاكِنَ الْقَلْدِ | بِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ |
| 11 | وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى | تَتَلَقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ |
| 12 | وَإِذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ | فَأُذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ |
| 13 | وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُورُ | وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ |
| 14 | كُلَّمَا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا | كَرَمًا مَا اهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ |
| 15 | إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤَمِّلِ سَيْفِ الْ | دَوْلَةِ الْمَلِكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ |
| 16 | فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي | وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ |

شرح المفردات:

- [2] الإجذام: سرعة السير.
- [7] نسام: نكلف.
- [8] يقصد طيب العيش بقربك.
- [9] الوحشة: انزعاج النفس - الخميس اللهام: الجيش الكبير.
- [10] الذمام: عهد وأمان.
- [11] الفهاق: موصل الرأس من العنق.

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ

- 1 لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ النَّطِقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
- 2 وَاجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بَغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
- 3 لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ قَطْنُ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
- 4 قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا قَافَاهُمَهُ، إِنْ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَاكِ عَدَالُ
- 5 الْقَائِدُ الْأُسْدَ عَدَّتْهَا بَرَاثِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهِيَ أَشْبَالُ
- 6 الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلسَّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
- 7 تُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ
- 8 لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلَا وَكِدٍ إِلَّا إِذَا حَفَزَ الضَّيْفَانَ تَرْحَالُ
- 9 يُرْوِي صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فُضَلَاتٍ مَا شَرَبُوا مَحْضُ اللَّقَاحِ وَصَافِي اللَّوْنِ سِلْسَالُ
- 10 تَجْرِي النَّفُوسُ حَوَالِيهِ مُخَلِّطَةً مِنْهَا عُدَاهُ وَأَعْنَامُ وَأَبَالُ
- 11 إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ
- 12 أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي بَتَوَقَّي مَا أَتَى نَالُوا
- 13 إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيَّتَهُ مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَالُ
- 14 تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ
- 15 لَطَفْتَ رَأْيَكَ فِي بَرِّي وَتَكْرِمَتِي إِنْ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ

- 16 كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفضَالِ مِفضَالُ
- 17 وَلَا تَعُدُّكَ صَوَانًا لِمُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرُّوعِ بَدَالُ
- 18 لَوْ لَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
- 19 وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ
- 20 إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِجْمَالُ
- 21 ذَكَرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَقُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

شرح المفردات:

- [1] المقصود: أن الشاعر يقابل عطاء ممدوحه بشعره.
- [2] فاجئة: مفاجئة.
- [3] الممدوح كسب مجده بسيفه، لا بمال ورثه، إذ الكريم يفني ماله قبل أن يصل لورثته.
- [6] القاتل السيف: أي يكسره.
- [7] الأهمال: الإبل لا راعي لها، والمعنى: هيئته تهزم عدوه، وتمنع إبله (ماله) أن يغار عليها.
- [8] المعنى: المصيبة عنده ترحل الضيف، لافقده ماله وولده.
- [9] الصدى: العطش - المحض: الذي لم يخلط بماء أو غيره - اللقاح: الناقة الحلوب.
- [10] النفوس: الدماء. يمدحه بالنصر على أعدائه، وإكرام ضيفانه.
- [11] الرئبال: الأسد.
- [12] صروف الدهر: مصائبه وحوادثه - الاغتتيال: الإهلاك غفلة.
- [13] المهندس: السيف القاطع - أصم الكعب: الرمح الصلب - عسأل: مهتز. أي استحقَّ الرياسة بشجاعته.
- [15] لَطَّفْتُ " بلغت غاية اللطف.
- [17] الروع: الفزع - البذال: صيغة مبالغة.
- [19] الشملال: الناقة القوية السريعة. والمعنى: ما كل كريم يبلغ غاية كرمك وفضلك.

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

- | | | |
|----|--|---|
| 1 | صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا | وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَانَا |
| 2 | وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُتِّهِمْ مِنْهُ | هُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا |
| 3 | رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِيهِ | هِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَا |
| 4 | وَكَأَنَّا لَمْ يَرِضْ فِينَا بَرِيْبِ الْ | دَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا |
| 5 | كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً | رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا |
| 6 | وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ | تَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانَى |
| 7 | غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا | كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا |
| 8 | وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيِّ | لَعَدَدْنَا أَضْلُنَا الشَّجْعَانَا |
| 9 | وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ | فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا |
| 10 | كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْدِ | فُسٍ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا |

شرح المفردات:

- [5] القناة: أراد بالقناة الشر والكيد.
- [7] كالحات: عابسات.

بَأْدْنَىٰ ابْتِسَامٍ مِّنْكَ تَحِيَا الْقَرَائِحُ

- 1 أَدْنَىٰ ابْتِسَامٍ مِّنْكَ تَحِيَا الْقَرَائِحُ وَتَقْوَىٰ مِّنَ الْجِسْمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ
- 2 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حَقَّكَ كُلَّهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ
- 3 وَقَدْ تَقَبَّلَ الْعُذْرَ الْخَفِيَّ تَكْرِمًا فَمَا بَالُ عُذْرِي وَإِقْفَا وَهَوَ وَاضِحُ
- 4 وَإِنَّ مُحَالًا -إِذْ بَكَ الْعَيْشُ- أَنْ أُرَى وَجِسْمُكَ مُعْتَلٌّ وَجِسْمِي صَالِحُ
- 5 وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّعْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ تُقْصِرُ عَن وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَدَائِحُ

أراعَ كذا كلَّ الملوك همام؟*

- | | | |
|----|--|---|
| 1 | أراعَ كذا كلَّ الملوك همامُ | وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ عَمَامُ |
| 2 | وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا | وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ |
| 3 | إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَارِيًا | كَفَاهَا لِمَامٍ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ |
| 4 | فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ | لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ |
| 5 | تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً | وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ |
| 6 | حِذَارًا لِمُعْرُورِي الْجِيَادِ فُجَاءَةً | إِلَى الطَّعْنِ قُبْلًا مَا لَهْنُ لِحَامُ |
| 7 | تَعَطَّفُ فِيهِ وَالْأَعِنَّةُ شَعْرُهَا | وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسَّيَاطُ كَلَامُ |
| 8 | وَمَا تَنْفَعُ الْحَيْلُ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا | إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ |
| 9 | إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوْا لَهُ | كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبْتَ مَلَامُ |
| 10 | فَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدُّمَامَ طَوَاعَةً | فَعَوِذُ الْأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامُ |
| 11 | وَإِنَّ نُفُوسًا أَمَمْتَكَ مَنِيعَةً | وَإِنَّ دِمَاءً أَمَلْتِكَ حَرَامُ |
| 12 | إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِكٍ أَجْرَتَهُ | وَسَيِّفَكَ خَافُوا وَالْجَوَارِ تُسَامُ |
| 13 | لَهُمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ تَفَرَّقُ | وَحَوْلَكَ بِالْكُتُبِ اللَّطَافِ زِحَامُ |
| 14 | تَعْرُ حَلَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا | فَتَحْتَارُ بَعْضُ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامُ |
| 15 | وَشَرُّ الْحِمَامِينَ الرُّؤَامِينَ عَيْشُهُ | يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيَضَامُ |
| 16 | فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ | وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَعَرَامُ |
| 17 | وَمَنْ لِفُرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ | بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ |
| 18 | كِنَائِبُ جَاؤُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا | وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَخَامُوا |
| 19 | وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ حُبُولُهُمْ | وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا |
| 20 | عَلَى وَجْهِكَ الْمَيْمُونِ فِي كُلِّ غَارَةٍ | صَلَاةٌ تَوَالِي مِنْهُمْ وَسَلَامُ |

* قالها ورسول كسرى يطلب الصلح والهدنة من سيف الدولة وهم في الثغور عام 443هـ، شرح البرقوقى، ديوان المتنبي، الجزء 4، الصفحة 901.

وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامٌ	21 وَكُلُّ أَنْسَابٍ يَتَّبِعُونَ إِمَامَهُمْ
وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِرِينَ قِتَامٌ	22 وَرُبُّ جَوَابٍ عَنِ كِتَابٍ بَعَثْتَهُ
وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ	23 تَضِيْقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ
جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ	24 حُرُوفٌ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ:
لِيُعْمَدَ نَضْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِزَامٌ	25 أَخَا الْحَرْبِ قَدْ أَنْعَبَتْهَا فَالَهُ سَاعَةٌ
فَإِنَّ الَّذِي يَعْمُرُنَ عِنْدَكَ عَامٌ	26 وَإِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرَّمَاكِ بِهُدْنَةٍ
وَتُفْنِي بِهِنَّ الْجَيْشَ وَهَوَّ لِهَامٌ	27 وَمَا زِلْتَ تُفْنِي السُّمْرَ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامٌ	28 مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ
إِلَى الْغَايَةِ الْقُصُوى جَرِيَتْ وَقَامُوا	29 جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا
وَلَيْسَ لِبَدْرِ مُدٍّ تَمَمَّتْ تَمَامٌ	30 شَرَحَ الْمُفْرَدَاتِ فَلَيْسَ لَشَّمْسٍ مُدٌّ أَنْزَتْ إِنْزَارَةً

- [2] دانت: انقادت له، وأطاعته.
- [3] اللمام: الزيارة. والمعنى: يكفي الروم قليل من إيقاعه بهم، ولكنه لا يرضى إلا النصر الكامل؛ بسبيهم وقتلهم وأخذ ممالكهم.
- [4] الزمام: القيادة والسيادة.
- [6] اروريتُ الفرس: ركبته بلا سرج - قُبلا: متقدماً إلى أعدائه.
- [7] فيه: في الطعن. المعنى: الخيل معودة على الحرب دون أعنة، ولا تضرب بالسياط.
- [9] شبه رده على الرسل طالبي الصلح برده على من يلومه على إنفاقه وجوده.
- [10] الذمام: العهد - عوذ الأعادي: لجوء الأعادي.
- [12] تسام: تطلب من الجوار والحماية.
- [13] الكتب اللطاف: يقصد بها طلب الصلح.
- [14] الحمام: الموت.
- [15] الزؤام: السريع.
- [18] الكتائب: رسل الروم - خاموا: جبنوا.
- [22] القتام: الغبار.
- [24] فيه: في الكتاب.
- [25] وفي رواية (أذا الحرب): يا صاحب الحرب. الهمزة أداة استفهام، ذا: بمعنى (صاحب، من الأسماء الخمسة).
- [27] جيش لهام: أي كثير يلتهم كل شيء.
- [28] الجالون: الذين جلوا عن أرضهم وهجروها.
- [29] قاموا: أي وقفوا ولم يجاروك بعدها.

بِمَ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنٌ*

- 1 لا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرٍ ما دامَ يَصْحَبُ فِيهِ رَوْحَكَ الْبَدَنُ
- 2 فَمَا يُدِيمُ سُرُورًا ما سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
- 3 تَحْمَلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ
- 4 ما فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عَوْضُ إِنْ مُتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا تَمَنُ
- 5 يا مَنْ نُعِيْتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
- 6 كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ
- 7 قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ ماتوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
- 8 ما كُلُّ ما يَتَمَنَى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تجرِي الرِّياحُ بما لا تَشْتَهِي السَّفِينُ
- 9 رَأَيْتُمْ لا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارِكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمْ اللَّبَنُ
- 10 جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُجِيبٍ مِنْكُمْ صَغْنُ
- 11 وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبُهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنُّ
- 12 فَعَادَرَ الْهَجْرُ ما بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاءَ تَكْذِيبٍ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
- 13 تَحْبُو الرِّوَسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِها وَتَسْأَلُ الْأَرْضُ عَنِ أَخْفَافِهَا الثَّنِفُنُ
- 14 إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنُ
- 15 وَلَا أَقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ وَلَا أَلْدُّ بِما عِرْضِي بِهِ دَرِنُ

* قالها بمصر، وقد بلغه أن قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة. شرح البرقوقى، ديوان المتنبي، الجزء 4، الصفحة 363.

- 16 سَهْرَتْ بَعْدَ رَحِيلِي وَحَشَّةً لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَ مَرِيرِي وَارْعَوَى الْوَسْنَ
- 17 وَإِنْ بُلَيْتُ بُوْدٌ مِثْلُ وُدِّكُمْ فَإِنِّي بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِينُ
- 18 أَبْلَى الْأَجَلَةَ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ وَبُدَّلَ الْعُدْرُ بِالْفُسْطَاطِ وَالرَّسْنُ
- 19 عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ فِي جُودِهِ مُضْرُ الْحَمَاءِ وَالْيَمَنُ
- 20 وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرَ أَمَالِي وَلَا تَهِنُ
- 21 هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهُوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ

شرح المفردات:

- [12] اليهماء: الأرض التي لا يهتدى لها، كأنه يخبر الذين يخاطبهم أنه قد بعد عن بلادهم، فصار بينه وبينهم يهماء تكذب فيها العين والأذن؛ لأنها بعيدة الأرجاء فالعين لا يتبين فيها الشخص على حقيقته، كذلك الأذن ليس سمعها في هذه القفرة.
- [13] يقال: حبا البعير حيوا: إذا عجز عن القيام، فحبا وهو بارك أي مشى على بطنه ويديه، والرواسم: نوق تسير الرسيم؛ وهو ضرب من السير، والثفن: ج: ثفنة، وهو ما يصيب الأرض من أعضاء البعير إذا برك، يقول قد ذهبت أخفاف هذه الإبل لطول السفر، فثفنتها تقول للأرض ما فعلت أخفافي، أي أين، ثفنتها وقد باشرت الأرض لأنها تحبو لضعفها.

مغاني الشعب طيباً في المغاني*

- 1 مغاني الشعب طيباً في المغاني
- 2 وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا
- 3 مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا
- 4 طَبَّتْ فُرْسَانَنَا وَالْحَيْلَ حَتَّى
- 5 غَدَوْنَا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهَا
- 6 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الْحَرَّ عَنِّي
- 7 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي
- 8 لَهَا تَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ
- 9 وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا
- 10 وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنَى عِنَانِي
- 11 يَلْتَجِجُجِي مَا رُفِعَتْ لَصَيْفِي
- 12 تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبٍ شُجَاعٍ
- 13 مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا حَيَالٌ
- 14 إِذَا عَنَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا
- 15 وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ
- 16 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوُصْفَانِ جِدًّا
- 17 يَقُولُ بِشَعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي:

* قالها يمدح عضد الدولة وولديه أبا فراس وأبا الدلف، ويذكر طريقه بشعب بوان، شرح البرقوقى، ديوان المتنبي، الجزء 4، الصفحة 383.

- 18 أَبُوْكُمْ آدَمُ سَنُّ الْمَعَاصِي وَعَلَمَكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ
- 19 فَقُلْتُ: إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ
- 20 فَإِنَّ النَّاسَ وَالدُّنْيَا طَرِيقُ إِلَى مَنْ مَا لَهُ فِي النَّاسِ ثَانِ
- 21 لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَعْلِيمِ الطَّرَادِ بِلَا سِنَانِ
- 22 بَعْضِ الدَّوْلَةِ امْتَنَعَتْ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لِعَبِيرِ ذِي عَصْدٍ يَدَانِ
- 23 وَلَا قَبْضُ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَطٌّ مِنَ السُّمْرِ اللَّدَانِ
- 24 دَعَتْهُ بِمَفْرَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا لِيَوْمِ الْحَرْبِ بِكُرٍّ أَوْ عَوَانِ
- 25 فَمَا يُسْمِي كَفْنَا خُسْرَ مُسْمٍ وَلَا يُكْنِي كَفْنَا خُسْرَ كَانِي
- 26 وَلَا تُحْصَى فِضَائِلُهُ بَظَنُّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ
- 27 أَرَوْضُ النَّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرُضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانِ
- 28 يُذِمُّ عَلَى اللَّصِوِّ لِكُلِّ تَجْرٍ وَيَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلِّ جَانِ
- 29 إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِعُهُمْ ثِقَاتٍ دُفِعْنَ إِلَى الْمَحَانِي وَالرُّعَانِ
- 30 فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صِحَابٍ تَصِيحُ بِمَنْ يَمُرُّ: أَلَا تَرَانِي
- 31 رُقَاهُ كُلُّ أَبِيضٍ مَشْرَفِي لِكُلِّ أَصَمٍّ صِلْ أَفْعَوَانِ
- 32 وَمَا تُرْقَى لَهَا مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ
- 33 حَمَى أَطْرَافَ فَارِسِ شَمْرِي يَحُضُّ عَلَى التَّبَاقِي بِالتَّفَانِي
- 34 بَصْرِبٍ هَاجَ أَطْرَابَ الْمَنَايَا سَوَى صَرِبِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي
- 35 كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاجِمِ فِي الْعَنَاصِي كَسَا الْبُلْدَانَ رِيَشَ الْحَيْقُطَانِ
- 36 فَلَوْ طَرَحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحِسَانِ

37	وَلَمْ أَرِ قَبْلَهُ شِبْلِي هَزْبِرٍ	كَشِبْلِيهِ وَلَا مُهْرِي رِهَانِ
38	أَشَدَّ تَنَازُعًا لَكْرِيمِ أَصْلٍ	وَأَشْبَهَ مَنَظَرًا بِأَبِ هِجَانِ
39	وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا	فُلَانٌ دَقُّ رُمْحًا فِي فُلَانِ
40	وَأَوَّلُ رَأْيِيهِ رَأْيَا الْمَعَالِي	فَقَدَّ عَلِقَا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ
41	وَأَوَّلُ لَفْظَةٍ فَهَمَا وَقَالَا:	إِغَائِثُهُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانِ
42	وَكُنْتَ الشَّمْسَ تَبَهَّرُ كُلَّ عَيْنٍ	فَكَيْفَ وَقَدَّ بَدَتْ مَعَهَا اثْتَانِ
43	فَعَاشَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا	بِضَوْئِهِمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ
44	وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلِكِ الْأَعَادِي	وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يُفْتُلَانِ
45	وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَاتِرَاهُ	لَهُ يَاءِي حُرُوفِ أَنْيْسِيَانِ
46	دُعَاءٌ كَالثَّنَاءِ بِلَا رِئَاءِ	يُؤَدِّيهِ الْجَنَانُ إِلَى الْجَنَانِ
47	فَقَدَّ أَصْبَحَتْ مِنْهُ فِي فِرْنِدٍ	وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يِمَانِ
48	وَلَوْ لَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا	هُرَاءً كَالْكَلامِ بِلَا مَعَانِ

شرح المفردات:

- [10] لبيق: الحاذق - الثرد: ج ثريد.
- [11] يَلْتَجُوجِيٌّ: نسبة إلى (يلنجون)، وهو العود الذي يتبختر به.
- [13] النوبنذجان: بلد بفارس.
- [23] اللدان: الرماح اللينة المثنية.
- [25] كاني على وزن (فاعل) من الفعل: كنى، أي سمّاه باسم يبدأ بكلمة أب أو أم.
- [29] المحاني: ج محنى، وهو منعطف الوادي - الرعان: ج رعن، وهو أنف الجبل.
- [35] العناصي: ج عنصوة، وهو الشعر المتفرق في الرأس - الحيقطان: طائر شبيه بالحجل، وهو ذكر الدراج.
- [45] أَنْيْسِيَانِ: تصغير (إنسان).
- [46] رثاء: رياء.

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا *

- | | | |
|----|--|--|
| 1 | لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا | وَعَادَهُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي العِدَا |
| 2 | وَرُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ | وَهَادٍ إِلَيْهِ الجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى |
| 3 | وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللّٰهَ سَاعَةً | رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا |
| 4 | هُوَ البَحْرُ غُصِّ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِنًا | عَلَى الدُّرِّ وَاحِدَرَهُ إِذَا كَانَ مُزِيدَا |
| 5 | وَصَوَّلَ إِلَى المُسْتَضْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ | فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا |
| 6 | تَظَلُّ مَلُوكُ الأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ | تُفَارِقُهُ هَلْكَى، وَتَلْقَاهُ سُجَّدَا |
| 7 | لِذَلِكَ سَمِيَ ابْنُ الدُّمُسْتِقِ يَوْمَهُ | مَمَاتًا وَسَمَاهُ الدُّمُسْتِقُ مَوْلِدَا |
| 8 | فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيوشَهُ | جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الجَمِيعَ لِيُحْمَدَا |
| 9 | وَيَمْشِي بِهِ العُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا | وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشِيَّ أَشَقَرَ أَجْرَدَا |
| 10 | هَنِيئًا لَكَ العِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ | وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَى وَعَيَّدَا |
| 11 | فَذَا اليَوْمُ فِي الأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الوَرَى | كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدَا |
| 12 | وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالعَفْوِ عَنْهُمْ | وَمَنْ لَكَ بِالحَرِّ الَّذِي يَحْفَظُ اليَدَا |
| 13 | إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكَتَهُ | وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا |
| 14 | وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعَلَا | مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى |
| 15 | وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً | كَمَا فُقَّتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتَدَا |

* أنشدتها المتنبي سيف الدولة مهنتاً بعيد الأضحى في ميدان حلب، وهما على فرسيهما، عام 243 هـ، شرح البرقوقى، ديوان المتنبي، الجزء الثاني، الصفحة 3.

- 16 أزل حسد الحساد عني بكتبهم
فأنت الذي صيرتهم لي حسدا
- 17 إذا شد زندي حسن رأيك فيهم
ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا
- 18 وما أنا إلا سمهري حملته
فزين معروضا وراع مسددا
- 19 وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منسدا
- 20 فسار به من لا يسير مشمرا
وعني به من لا يعني مغردا
- 21 أجزني إذا أنشدت شعرا فإنما
بشعري أتاك المادحون مرددا
- 22 ودع كل صوت غير صوتي فإنني
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى
- 23 وقيدت نفسي في ذراك محبة
ومن وجد الإحسان قيذا تقيدا

شرح المفردات:

• [10] الفسطاط: مدينة بمصر. - أزرته: زرته.

كفى بك داء*

• الشخص الذي تلا سيف الدولة الحمداني أهمية في سيرة المتنبي هو كافور الإخشيدي. فقد فارق أبو الطيب حلباً إلى مدن الشام ومصر، وكأنه يضع خطة لفرافها، ويعقد مجلساً يقابل سيف الدولة. من هنا كانت فكرة الولاية أملاً في رأسه ظل يقوى، ودفع به للتوجه إلى مصر حيث (كافور الإخشيدي). وكان مبعث ذهاب المتنبي إليه على كرهه له لأنه طمع في ولاية يوليها إياه. و لم يكن مديح المتنبي لكافور صافياً، بل بطنه بالهزاء و الحنين إلى سيف الدولة الحمداني في حلب، ولما وصل المتنبي مصر، خلع عليه كافور الإخشيدي آلاف الدراهم، فأنشده:

- | | | |
|----|---|---|
| 1 | كفى بك داء أن ترى الموت شافيا | وَحَسْبُ الْمَنِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا |
| 2 | تَمَنِّيَتْهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى | صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا |
| 3 | إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ | فَلَا تَسْتَعِدَّنَ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا |
| 4 | فَمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى | وَلَا تُتَّقِي حَتَّى تَكُونَ صَوَارِيَا |
| 5 | حَبَبْتُكَ - قَلْبِي - قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأَى | وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا |
| 6 | وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ | فَلَسْتَ فُوَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيَا |
| 7 | إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خِلاصًا مِنَ الْأَذَى | فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا، وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا |
| 8 | وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى | أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا |
| 9 | أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا | رَأَيْتُكَ تُصْفِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيَا |
| 10 | وَلَكِنَّ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَرْزُهُ | حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالهُوَى وَالْفَوَافِيَا |
| 11 | أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا | إِلَيْهِ وَذَا الْيَوْمِ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا |
| 12 | إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى | فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا |
| 13 | وَعَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ | فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا |

* قالها المتنبي وقد فارق سيف الدولة، ورحل إلى دمشق، وكاتبه كافور بالمسير إليه، شرح البرقوقى، الجزء4، الصفحة 34.

- 14 وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى
ولكن بأيام أشبن التواصيا
- 15 وفدت إليها كل أجرد ساج
يؤديك غضباناً ويثنيك راضيا
- 16 كتائب ما انفكت تجوس عمائرًا
من الأرض قد جاست إليها فيافيا
- 17 غزوت بها دور الملوك فباشرت
سنايها هامتهم والمغانيا
- 18 دعتة فلأها إلى المجد والعلا
وقد خالف الناس النفوس الدواعيا
- 19 فأصبح فوق العالمين يرونه
وإن كان يذنيه التكرم نائيا

نصوص رديفة من
العصر العباسي



السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ أبو تمام

• قال أبو تمام يمدح المعتصم، ويذكره بانتصاره على الروم في موقعة عمورية سنة 836م:

- | | | |
|----|---|---|
| 1 | السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنْ الْكُتُبِ | في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجَدِّ واللَّعِبِ |
| 2 | بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ فِي | مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءَ الشَّكِّ والرَّيْبِ |
| 3 | والعِلْمُ فِي شَهْبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً | بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لَافِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ |
| 4 | أَيَّنَ الرِّوَايَةَ بَلَّ أَيَّنَ النُّجُومُ وَمَا | صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ |
| 5 | تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مَلْفُكَةً | لَيْسَتْ بِتَبَعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ |
| 6 | عَجَائِبًا زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفَلَةً | عَنْهِنَّ فِي صَفْرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ |
| 7 | وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ | إِذَا بَدَا الكوكبُ الغرْبِيُّ ذُو الذَّنْبِ |
| 8 | وصَيَّرُوا الأَبْرَجَ العُلْيَا مُرْتَبَةً | مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ |
| 9 | يَقْضُونَ بالأَمْرِ عِنهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ | مَا دَارَ فِي فَلكِ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ |
| 10 | لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْعِدِهِ | لَمْ تُخْفِ مَاحِلَ بالأوثَانِ وَالصُّلْبِ |
| 11 | فَتُحُ الفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ | نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطْبِ |
| 12 | فَتُحُ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ | وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشْبِ |
| 13 | يَا يَوْمَ وَقَعَةَ عَمُورِيَّةَ انْصَرَفَتْ | مِنْكَ المُنَى حُفْلًا مَعْسُولَةَ الحَلْبِ |
| 14 | أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلَامِ فِي صُعدِ | والمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبِ |
| 15 | أَمُّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا | فَدَاءَهَا كَلَّ أُمَّ مِنْهُمْ وَأَبِ |
| 16 | وَبِرْزَةِ الوَجْهِ قَدْ أَعَيْتُ رِيَاضُهَا | كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ |

* ديوان أبو تمام، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 69.

- 17 بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
ولا تَرَقَّتْ إليها هَمَّةُ النُّوبِ
- 18 مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
شابت نواصي الليالي وهي لم تشبِ
- 19 حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللَّهُ السُّنِينَ لَهَا
مَخَّضَ الْبَيْخِيلَةَ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ
- 20 أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّودَاءُ سَادِرَةً
منها وكان اسمها فَرَاجَةَ الْكُرْبِ
- 21 جَرَى لَهَا الْفَأُلُ بِرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةَ
إذْ غودرتْ وحشة السَّاحَاتِ وَالرَّحْبِ
- 22 لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرَبَتْ
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
- 23 كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطْلٍ
قاني الذَّوائبِ مِنْ آني دَمِ سَرِبِ
- 24 بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالخَطِيئِ مِنْ دَمِهِ
لا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ
- 25 لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالخَشْبِ
- 26 غَادَرَتْ فِيهَا بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى
يَسْئَلُهُ وَسَطَهَا صُبْحُ مِنَ اللَّهَبِ
- 27 حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغَبَتْ
عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغْبِ
- 28 ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ
وظلمةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَحْبِ
- 29 فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
والشَّمْسُ واجبةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
- 30 تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا
عَنْ يَوْمِ هِيَجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُئِبِ
- 31 لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ
- 32 مَا رُبِعُ مِيَّةَ مَعْمُورًا يَطِيفُ بِهِ
غَيْلَانُ أَبْهَى رُبِّي مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
- 33 وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ
أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرِبِ
- 34 سَمَاجَةً غَنِيَّتْ مِنْهَا الْعُيُونُ بِهَا
عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنظَرٍ عَجِبِ
- 35 وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْقَى عَوَاقِبُهُ
جاءتْ بِشَاشَتُهُ مِنْ سَوْءٍ مُنْقَلَبِ

- 36 لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنث
لَهُ الْعَوَاقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُصْبِ
- 37 تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ
لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَجِبٍ
- 38 وَمُطَعِمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمُ أَسِنَّتُهُ
يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ
- 39 لَمْ يَعْزُ قَوْمًا، وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
- 40 لَوْ لَمْ يَفُذْ جَحْفَلًا، يَوْمَ الْوَعَى، لَعَدَا
مَنْ نَفْسِهِ، وَحَدَّهَا، فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
- 41 رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَصِبِ
- 42 مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبَوْهَا وَاثْقِينَ بِهَا
وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
- 43 وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ
لِلسَّارِحِينَ وَليْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثِبِ
- 44 أَمَانِيًّا سَلَبْتَهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا
ظَبَى السِّيَوفِ وَأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ
- 45 إِنَّ الْحَمَامِينَ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمْرٍ
دَلُّوا الْحَيَاتِينَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ
- 46 لَكَيْتَ صَوْتًا زَبْطَرِيًّا هَرَفْتَ لَهُ
كَأَسَ الْكِرَى وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
- 47 عِدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ
- 48 أَجِبْتُهُ مُعَلَّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلَّتًا
وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
- 49 حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشَّرِكِ مُنْعَفِرًا
وَلَمْ تُعْرَجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ
- 50 لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوَفْلِسَ
وَالْحَرْبُ مَشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
- 51 عَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جَرِيَّتَهَا
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَارِ وَالْحَدَبِ
- 52 هَيْهَاتَ! زُعْزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ
عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبِ
- 53 لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرْبِي بِكَثْرَتِهِ
عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فُقِرَ إِلَى الذَّهَبِ
- 54 إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَيْلِ هَمَّتْهَا
يَوْمَ الْكِرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

- 55 ولى، وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئُ مَنْطِقَهُ
- بِسَكَّتِهِ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَحْبِ
- 56 أَحْذَى قَرَابِيئَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
- يَحْتَتُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ
- 57 مَوْكَلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ
- مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرِبِ
- 58 إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدَوَ الظَّلِيمِ، فَقَدْ
- أَوْسَعَتْ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
- 59 تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضَجَتْ
- جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التَّيْنِ وَالْعِنَبِ
- 60 يَا رَبِّ حُوبَاءَ لَمَّا اجْتَتَّ دَابِرُهُمْ
- طَابَتْ وَلَوْ صُمِّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبِ
- 61 وَمُعْصَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
- حَيِّ الرُّضَا مِنْ رِدَاهِمُ مِيَّتِ الْغَضَبِ
- 62 وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقِ لَجَجِ
- تَجْتُو الْقِيَامُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ
- 63 كَمْ نَيْلَ تَحْتِ سَنَاها مِنْ سَنَا قَمَرِ
- وَتَحَّتْ عَارِضُها مِنْ عَارِضِ شَنِبِ
- 64 كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرُّقَابِ بِها
- إِلَى الْمَخْدَرَةِ الْعِذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
- 65 كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً
- تَهْتَزُّ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبِ
- 66 بِيضٌ، إِذَا انْتَضَيْتِ مِنْ حُجْبِها، رَجَعَتْ
- أَحْقُ بِالْبِيضِ أَتْرَابًا مِنْ الْحُجْبِ
- 67 خَلِيفَةَ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ
- جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
- 68 بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرها
- تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مَنْ التَّعَبِ
- 69 إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمِ
- مُوصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِ
- شرح المفردات:
- 70 فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِها
- وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ
- صُفْرَ الْوَجْهِ وَجَلَّتْ أَوْجَهُ الْعَرَبِ

[7] ذو الذنب: مذنب هالي.

[14] جُدَّ: العزَّاءُ شجيرة تنبت في الأودية والسهول.

[17] بكر: فما افترعتها: أرض لم تحرث من قبل.

[33] سماجة: ضد الملاحة.

[58] جاحمها: الجحمة: معظم النار، ومنه الجحيم، وهذا مثل ضربه. والجاحم: الذي يسعها لشدة الحرب واضطرامها.

إذا جاريته في خلق دنيا * أبو تمام

• عرض أبو تمام ببعض بني حميد، ولكنه لم يصرح بهجائهم لمدحه بعضهم الآخر في قصائد أخرى، ولأن منهم محمد بن حميد طائي.

- 1 إذا جاريته في خلق دنيا فأنت ومن تجاربه سواء
- 2 رأيت الحرَّ يجتنب المخازي ويحمله عن الغدر الوفاء
- 3 وما من شدة إلا سيأتي لها من بعد شدتها رخاء
- 4 لقد جرئت هذا الدهر حتى أفادتني التجارب والعناء
- 5 إذا ما رأس أهل البيت ولى بدا لهم من الناس الجفاء
- 6 يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
- 7 فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
- 8 إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء
- 9 لئيم الفعل من قوم كرام له من بينهم أبدا غواء

* ديوان أبو تمام، دار صادر، بيروت الجزء الثاني، الصفحة 791.

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي * الْبُحْتَرِيُّ

* قال البحتري يصف إيوان كسرى:

- | | | |
|----|---|--|
| 1 | صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي | وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسٍ |
| 2 | وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْ | رُ التَّمَاثَا مِنْهُ لَتَعْسِي وَنُكْسِي |
| 3 | بُلُغٌ مِنْ صُبابَةِ العَيْشِ عِنْدِي | طَفَّقَتْهَا الأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسِ |
| 4 | وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَاوِدِ رِفِهِ | عَلَلِ شُرْبُهُ وَوَارِدِ خِمْسِ |
| 5 | وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُو | لَا هَوَاهُ مَعَ الأَخْسِ الأَخْسِ |
| 6 | واشترائي العراقِ خِطَّةً غَبْنِ | بَعْدَ بَيْعِي الشَّامِ بَيْعَةً وَكُسِ |
| 7 | لا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لاخْتِبَارِي | عِنْدَ هَذَا البَلَوِ فَتُنْكَرَ مَسِي |
| 8 | وَقَدِيمًا عَهْدَتْنِي ذَا هَنَاتِ | أَبْيَاتِ عَلَى الدُّنْيَا شَمْسِ |
| 9 | وَلَقَدْ رَابَنِي نُبُو ابْنِ عَمِّي | بَعْدَ لَيْنٍ مِنْ جَانِبِيهِ وَأُنْسِ |
| 10 | وَإِذَا مَا جُفَيْتُ كُنْتُ جَدِيرًا | أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي |
| 11 | حَضَرْتُ رَحَلِي الهُمُومُ فَوَجَّهْ. | تُ إِلَى أبيضِ المَدَائِنِ عَنِّي |
| 12 | أَتَسَلَّى عَنِ الحُظُوظِ وَأَسَى | لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسِ |
| 13 | ذَكَرْتَنِيهِمُ الحُطُوبُ التَّوَالِي | وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الحُطُوبُ وَتَنْسِي |
| 14 | وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالِ | مُشْرِفٍ يُحَسِّرُ العُيُونََ وَيُخْسِي |
| 15 | مُغْلَقٌ بِأَبْهُ عَلَى جَبَلِ القَبْرِ. | قِ إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمَكْسِ |
| 16 | حَلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدِي | فِي قِفَارٍ مِنَ البَسَابِسِ مُلْسِ |
| 17 | وَمَسَاعٍ لَوْلَا المُحَابَاةُ مَنِّي | لَمْ تُطْفِئْهَا مَسْعَاةُ عَنَسِ وَعَبْسِ |
| 18 | نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الجِدِّ | دَةٍ حَتَّى رَجَعْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ |

* ديوان البحتري، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 091.

- 19 فكَأَنَّ الْجِرْمَا زَ مِنْ عَدَمِ الْأُنْدِ . سِ وَإِخْلَالَهِ بَنِيَّةُ رَمْسِ
- 20 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلْتَ فِيهِ مَاتَمًا بَعْدَ عُرْسِ
- 21 وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمِ لَا يُشَابُّ الْبَيَانَ فِيهِمْ بَلْبَسِ
- 22 فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صَوْرَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَعَتَ بَيْنَ رُومِ وَفُرْسِ
- 23 وَالْمَنَايَا مَوَائِلُ وَأَنُوشَرُ وَإِنْ يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرْفَسِ
- 24 فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَضْ فَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسِ
- 25 وَعِرَاكِ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضِ جَرْسِ
- 26 مِنْ مُشِيحٍ يَهُوِي بِعَامِلِ رُمَحٍ وَمُلِيحٍ مِنَ السَّنَانِ بَثْرَسِ
- 27 تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا ءَ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ حُرْسِ
- 28 يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى تَتَقْرَأُهُمْ يَدَايَ بَلْمَسِ
- 29 قَدْ سَقَانِي وَلَمْ يُصَرِّدْ أَبُو الْعَوْ ثِ عَلَى الْعَسْكَرِينَ شَرْبَةَ خَلْسِ
- 30 مِنْ مُدَامٍ تَطْنُنُهَا هِيَ نَجْمٌ أَضْوًا اللَّيْلَ أَوْ مُجَاجَةَ شَمْسِ
- 31 وَتَرَاهَا إِذَا أَجَدَّتْ سُرُورًا وَارْتِيَا حَا لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّي
- 32 أَفْرِغَتْ فِي الرَّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسِ
- 33 وَتَوَهَّمْتَ أَنَّ كَسْرِي أَبْرُوِي . زَ مُعَاطِيٍّ وَالْبَلَّهَبِذُ أَنْسِي
- 34 حُلْمٌ مُطَبِّقٌ عَلَى الشَّكِّ عَيْنِي أَمْرٌ أَمَانٍ غَيْرِنَ ظَنِّي وَحَدْسِي؟
- 35 وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصُّدِّ عَةِ جَوَّبٌ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جَلْسِ
- 36 يُتَظَنِّي مِنَ الْكَآبَةِ أَنْ يَبْ . دُو لِعَيْنِي مُصَبِّحٌ أَوْ مُمَسِّي
- 37 مُزْعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ عَزَّ أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِيْقِ عِرْسِ
- 38 عَكَّسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَبَاتَ ال مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكْبٌ نَحْسِ
- 39 فَهُوَ يُبْدِي تَجَلِّدًا وَعَلَيْهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي

- 40 لَمْ يَعْجِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدَّيْرِ
 41 مُشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرْفَاتٌ
 42 لِإِبْسَاتٍ مِنَ الْبِيَاضِ فَمَا تُبِّ.
 43 لَيْسَ يُدْرِي: أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحْنٌ
 44 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ
 45 فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوُ
 46 وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى
 47 وَكَأَنَّ الْقِيَانَ وَسَطَ الْمَقَا
 48 وَكَأَنَّ اللَّقَاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمِّ.
 49 وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعًا
 50 عَمَرَتْ لِلسَّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ
 51 فَلَهَا أَنْ أَعْيَنَهَا بِدُمُوعٍ
 52 ذَاكَ عِنْدِي وَكَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي
 53 غَيْرَ نُعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي
 54 أَيَّدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قِوَاهُ
 55 وَأَعَانُوا عَلَيَّ كِتَابِي أَرِيَا
 56 وَأَرَانِي مِنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بِالْأَشْ.
- باجِ واستئل من سُتُورِ الدَّمْفَسِ
 رُفَعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ
 صِرُّ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بُرْسِ
 سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ
 يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنِكْسِ
 مَ إِذَا مَا بَلَغَتْ آخِرَ حَسِّي
 مِنْ وَقُوفٍ خَلَفَ الرَّحَامِ وَخُنْسِ
 صِيرِ يُرْجَعْنَ بَيْنَ حَوٍّْ وَلَعْسِ
 سِ وَوَشَكَ الْفِرَاقِ أَوَّلَ أَمْسِ
 طَامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ
 لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ وَالتَّأْسِي
 مَوْقِفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ
 بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي
 غَرَسُوا مِنْ زَكَائِهَا خَيْرَ غَرْسِ
 بِكُفْمَةٍ تَحْتَ السَّنُورِ حُمْسِ
 طَ بَطَعْنِ عَلَى النَّحُورِ وَدَعْسِ
 رَافِ طُرًّا مِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَإِسِ

شرح المفردات:

- [7] لا ترزني: لا تمتحنني وتجربني.
- [54] السُّنُورُ: كُلُّ سِلَاحٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَقِيلَ: هُوَ الدَّرْعُ.

أبا سعيد، وفي الأيام معتبر* البحثري

• قال البحتري يمدح محمد بن يوسف، ويعزيه عن المعتصم:

- | | | |
|----|---|--|
| 1 | أبا سعيدٍ وفي الأيامِ مُعْتَبَرٌ | والدهرُ في حالتيهِ الصُّفُو والكدرُ |
| 2 | ما للحَوَادِثِ لا كانتِ عَوَائِلُهَا | ولا أصابَ لها نابٌ ولا ظُفْرُ |
| 3 | تَعَزَّى بالصَّبْرِ واستَبَدِلَ أَسَى بِأَسَى | فالشَّمْسُ طالِعةٌ إن عُيِبَ القَمَرُ |
| 4 | وهَلْ خَلا الدَّهْرُ أولاهُ وآخِرُهُ | مِنْ قائِمٍ بهدَى مُدْ كَوْنَ البَشْرِ |
| 5 | إيها عَزاءَكَ لا تُغَلِّبْ عَلَيهِ فَمَا | يَسْتَعْدِبُ الصَّبْرَ إلا الحَيَّةُ الذَّكْرُ |
| 6 | فَلَمْ يَمُتْ مَنْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَهُ | بَقِيَّةٌ وإنِ اسْتَوَلَى بِهِ القَدْرُ |
| 7 | مَضَى الإمامُ وأضحى في رَعِيَّتِهِ | إمامٌ عَدَلٍ بِهِ يُسْتَنْزَلُ المَطَرُ |
| 8 | إنَّ الخَلِيفَةَ "هارونَ" الَّذِي وَقَفَتْ | في كُنْهِ آلائِهِ الأوهامُ والفِكرُ |
| 9 | ألفاكِ في نَصْرِهِ صُبْحًا أضاءَ لَهُ | لَيْلٌ من الفِتْنَةِ الطَّخِياءِ مُعْتَكِرُ |
| 10 | سَكَنْتَ حَدَّ أناسٍ فَلا حَدَّهُمُ | حَدٌّ مِنَ السَّيْفِ لا يُبْقِي ولا يَدْرُ |
| 11 | كُنْتَ المُسارِعَ في توكيدِ بَيَعَتِهِ | حَتَّى تَأْكُدَ مِنْها العَقْدُ والمِرْرُ |
| 12 | وَدَعَوَةَ لِأَصَمِّ القَوْمِ مُسْمِعَةٍ | يُصْغِي إليها الهدى والنَّصرُ والظَّفَرُ |
| 13 | أَقَمَّتْها لأميرِ المُؤْمِنِينَ بِما | في نَصْلِ سَيْفِكَ إِذْ جَاءَتْ بها البُشْرُ |
| 14 | فاسلَمَ جُزَيْتٌ عَنِ الإسلامِ مِنْ مَلِكٍ | خَيْرًا فأنَّتْ لَهُ عِرْزٌ ومُفْتَحَرُ |

شرح المفردات:

- [3] أَسَى (بضم الهمزة): جمع أسوة، التعزية والمواساة. أَسَى (بفتح الهمزة): الحزن والمصيبة.
- [9] الطخياء: المظلمة.
- [11] المِرْر: الإحكام والقوة.

* ديوان البحتري، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 692.

ميلوا إلى الدار من ليلك نحييها البحترى

• قال البحترى يمدح أمير المؤمنين العباسي المتوكل، ويصف البركة (بركة المتوكل):

- 1 ميلوا إلى الدار من ليلك نحييها
 - 2 يا دمنة جادبتها الريح بهجتها
 - 3 لا زلت في حلال للغيث ضافية
 - 4 تروح بالوابل الداني روائحها
 - 5 إن البخيلة لم تنعم لسائلها
 - 6 مرت تأود في قرب وفي بعد
 - 7 لولا سواد عذار ليس يسلمني
 - 8 يا من رأى البركة الحسنة رؤيتها
 - 9 بحسبها أنها في فضل رببتها
 - 10 ما بال دجلة كالغيري ثنافسها
 - 11 أما رأيت كالي الإسلام يكلوها
 - 12 كأن جن سليمان الذين ولوا
 - 13 فلو تمر بها بلقيس عن عرض
 - 14 تنحط فيها وفود الماء معجلة
 - 15 كأنما الفضة البيضاء سائلة
 - 16 إذ اعلتها الصبا أبدت لها حُبكا
 - 17 فرونت الشمس أحيانا يضحكها
 - 18 إذا النجوم تراءت في جوانبها
- نعم ونسألها عن بعض أهلها
تبيت تنشرها طورا وتطويها
يُنيرها البرق أحيانا ويسديها
على ربوعك أو تغدو غواديها
يوم الكئيب ولم تسمع لدايعها
فالهجر يُعدها والدار تُذنيها
إلى النهى لعدت نفسي غواديها
والآنسات إذا لاحت مغانيها
تعد واجدة والبحر ثانيها
في الحسنة طورا وأطوارا ثبايها
من أن تعاب وباني المجد بينيها
إبداعها فأدقوا في معانيها
قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كالخيل خارجة من حبل مجريها
من السبايك تجري في مجاريها
مثل الجواشن مصقولا حواشيها
وريق الغيث أحيانا يباكيها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها

* ديوان البحترى، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 43.

- 19 لا يبلُغُ السَّمَكُ المَحْصُورُ غَايَتَهَا لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
- 20 يَعْْمَنُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ كَالطَّيْرِ تَتَقَصُّ فِي جَوِّ خَوَافِيهَا
- 21 لَهْنٌ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا انْحَطَطْنَ وَبَهُوٌ فِي أَعَالِيهَا
- 22 صُورٌ إِلَى صُورَةِ الدُّلْفِينِ يُؤَنِّسُهَا مِنْهُ انْزِوَاءٌ بِعَيْنَيْهِ يُوَازِيهَا
- 23 تَغْنَى بِسَاتِنِهَا القُصُوى بِرُؤْيَتِهَا عَنِ السَّحَابِ مُنْحَلًّا عَزَالِيهَا
- 24 كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفِقِهَا يَدُ الخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا
- 25 وَزَادَهَا رُتْبَةً مِنْ بَعْدِ رُتْبَتِهَا أَنْ اسْمَهُ حِينَ يُدْعَى مِنْ أَسَامِيهَا
- 26 مَحْفُوفَةٌ بِرِيَاضٍ لَا تَزَالُ تَرَى رِيَشَ الطَّوَاوِيسِ تَحْكِيهِ وَتَحْكِيهَا
- 27 وَدَكَّتَيْنِ كَمَثَلِ الشُّعْرَيَيْنِ عَدَّتْ إِحْدَاهُمَا بِلِإِذَا الأُخْرَى تُسَامِيهَا
- 28 إِذَا مَسَاعِي أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ بَدَّتْ لِلوَصِيفِينَ فَلَا وَصْفٌ يُدَانِيهَا
- 29 إِنَّ الخِلَافَةَ لَمَّا اهْتَزَّ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا
- 30 أَبْدَى التَّوَاضَعِ لَمَّا نَالَهَا دَعَاةٌ عَنَّا وَنَالَتُهُ فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا
- 31 إِذَا تَجَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِلْيَتِهَا رَأَتْ مَحَاسِنَهَا الدُّنْيَا مَسَاوِيهَا
- 32 يَا بَنَ الأَبَاطِحِ مِنْ أَرْضِ أَبَاطِحِهَا فِي ذِرْوَةِ المَجْدِ أَعْلَى مِنْ رَوَابِيهَا
- 33 مَا ضَيَّعَ اللهُ فِي بَدْوٍ وَلَا حَضْرٍ رَعِيَّةً أَنْتَ بِالإِحْسَانِ رَاعِيهَا
- 34 وَأُمَّةً كَانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا فَأَصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيهَا
- 35 بَشَّتَتْ فِيهَا عَطَاءً زَادَ فِي عُدَدِ ال عَلِيَا وَنَوَّهَتْ بِاسْمِ الجُودِ تَنْوِيهَا
- 36 مَا زِلْتَ بَحْرًا لِعَافِينَا فَكَيْفَ وَقَدَ قَابَلْتَنَا وَلَكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
- 37 أَعْطَاكَهَا اللهُ عَن حَقِّ رَأَاكَ لَهُ أَهْلًا وَأَنْتَ بِحَقِّ اللهِ تُعْطِيهَا

لما كملت رويةً وعزيمةً* البحترى

• قال البحترى يصف قصر المعتز بالله ويمدحه:

- | | | |
|----|--|---|
| 1 | لَمَّا كَمَلْتَ رَوِيَّةً وَعَزِيْمَةً | أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي ابْتِنَاءِ الْكَامِلِ |
| 2 | وَعَدَوْتَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ مَوْفَقًا | مِنْهُ لِأَيِّمَنِ حِلَّةٍ وَمَنَازِلِ |
| 3 | دُعِرَ الْحَمَامُ وَقَد تَرَّتْ فَوْقَهُ | مِنْ مَنْظَرِ خَطِرِ الْمَزَلَّةِ هَائِلِ |
| 4 | رُفِعَتْ لِمُخْتَرِقِ الرِّيَّاحِ سُمُوكُهُ | وَزَهَتْ عَجَائِبُ حُسْنِهِ الْمُتَخَايِلِ |
| 5 | وَكَأَنَّ حَيْطَانَ الرَّجَاجِ بِجَوِّهِ | لُجَجٌ يَمْجَنَ عَلَى جُنُوبِ سَوَاحِلِ |
| 6 | وَكَأَنَّ نَفُويَ الرِّخَامِ إِذَا التَّقَى | تَأَلَيْفُهُ بِالْمَنْظَرِ الْمُتَقَابِلِ |
| 7 | حُبُّكَ الْعَمَامِ رُصْفَنَ بَيْنَ مُنَمَّرِ | وَمُسَيَّرِ وَمُقَارِبِ وَمُشَاكِلِ |
| 8 | لَبَسَتْ مِنَ الذَّهَبِ الصَّقِيلِ سَقُوفُهُ | نُورًا يَضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ الْحَافِلِ |
| 9 | فَتَرَى الْعَيُونَ يَجُلْنَ فِي ذِي رَوْنِقِ | مُتَلَهَّبِ الْعَالِي أَنِيْقِ السَّافِلِ |
| 10 | فَكَأَنَّهَا نُشِرَتْ عَلَى بُسْتَانِهِ | سِيْرَاءُ وَشِي الْيُمْنَةِ الْمُتَوَاصِلِ |
| 11 | أَغْنَتْهُ دَجَلَةٌ إِذْ تَلَاخَقُ فِيْضَهَا | عَنْ صَوْبِ مُنْسَجِمِ السَّحَابِ الْهَاطِلِ |
| 12 | وَتَنْفَسَتْ فِيهِ الصَّبَا فَتَعْطَفَتْ | أَشْجَارُهُ مِنْ حُيْلٍ وَحَوَامِلِ |

شرح المفردات:

- [1] روية: تدبرا - عزيمة: همة - الكامل: اسم قصر المعتز بالله.
- [2] الحلة بكسر الخاء المكان الذي يحل فيه جماعة من الناس.
- [3] دعر: خاف - المزالة: موضع الزلل والسقوط يعني خاف الحمام من منظر القصر الهائل لارتفاع بنيانه.
- [4] مخترق الرياح: مهبطها، أو مرمرها - سموكه: جمع سمك وهو ارتفاع البيت - المتخايل: المتعجب.
- [5] لجج: جمع لجة، وهي الماء المجتمع الذي يعلو - يمجن: يضطربن - جنوب: جمع جنب - سواحل: الشواطئ.
- [6] التفويف: التخطيط. والمراد بالتأليف: التنسيق.
- [7] حبك: الطرائق بين الغمام - منمر: الذي كجدل النمر - مسير: من (السيرة) نوع من الثياب فيه خطوط صفر.
- [10] سيرة: ثياب ذات خطوط صفر - وشي: نقش الثوب - اليمنة: البرد اليميني.
- [11] صوب: انصباب المطر .
- [12] الصبا: ريح لطيفة - تعطف: تمايلت - الحيل: النخلة التي لا تحمل ثمارًا، فيقال لها حائل - حوامل: الحامل التي تحملها.

* ديوان البحترى، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 841، و دار صعب بيروت، الجزء الأول، الصفحة 58.

وإني وإن كنت الأخير زمانه* أبو العلاء المعري

• قال أبو العلاء مفتخرًا بنفسه:

- | | | |
|----|--------------------------------------|-------------------------------------|
| 1 | ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعِلٌ | عفاً وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ |
| 2 | أعندي وقد مارستُ كلَّ خفيّةٍ | يُصدِّقُ واشٍ أو يُخيِّبُ سائلٌ؟ |
| 3 | تُعدُّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً | ولا ذنّبَ لي إلا العُلا والفضائلُ |
| 4 | كأنّي إذا طُلْتُ الزّمانَ وأهلَهُ | رجعتُ وعندي للأنامِ طوائِلُ |
| 5 | وقد سارَ ذكري في البلادِ فمن لهم | بإخفاءِ شمسِ ضوءِها متكاملٌ؟ |
| 6 | يَهْمُ اللَّيالي بعضُ ما أنا مُضمرٌ | ويُثقلُ رَضى دُونَ ما أنا حاملٌ |
| 7 | وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ | لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ |
| 8 | وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارِمُ | وأسري ولو أنّ الظّلامَ جفائلُ |
| 9 | وإني جوادٌ لم يُحلَّ لجامُهُ | ونصلُ يمانٍ أغفلتُهُ الصّياقلُ |
| 10 | فإن كانَ في لبسِ الفتى شرفٌ لهُ | فما السّيفُ إلا غمدُهُ والحمائلُ |
| 11 | ولي منطقٌ لم يرَصَ لي كُنهَ منزلي | على أنني بينَ السّماكينَ نازلُ |
| 12 | لدى موطنٍ يشتاقلُهُ كلُّ سيّدٍ | ويَقصُرُ عن إدراكِهِ المتناوِلُ |
| 13 | ولما رأيتُ الجهلَ في النّاسِ فاشيًّا | تجاهلتُ حتّى ظنّ أنّي جاهلُ |
| 14 | فوا عجبًا كم يدعي الفضلَ ناقصٌ | ووا أسفًا كم يُظهِرُ النّقصَ فاضلُ! |
| 15 | وكيفَ تنامُ الطّيرُ في وُكّاتها | وقد نُصبتَ للفرقدينَ الحبالُ؟ |
| 16 | ينافسُ يومي فيّ أمسي تشرقًا | وتَحسُدُ أسحاري عليّ الأصائلُ |

* ديوان سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، الصفحة 391.

17	وطالَ اعترافي بالزَّمانِ وصرفه	فلستُ أبا لي مَنْ تَغُولُ الغوائلُ
18	فلو بانَ عضدي ما تأسَّفَ منكبِي	ولو ماتَ زندي ما بكتُهُ الأناملُ
19	إذا وصفَ الطائيَّ بالبخلِ مادراً	وعيرَ قُسا بالفهاهةِ باقلاً
20	وقالَ السُّهَى للشَّمسِ: أنتِ ضئيلةٌ	وقالَ الدُّجى للصُّبحِ: لو نكَّ حائلُ
21	وطاولتِ الأرضُ السَّماءَ سفاهةً	وفاخرتِ الشُّهبُ الحصى والجنادلُ
22	فيا موتُ زُرْ إِنَّ الحياةَ ذميمةٌ	ويا نفسُ جِدِّي إِنَّ دهرِكِ هازلُ

شرح المفردات:

- [1] العفاف: أي الكف عما لا يحل ولا يحسن - الإقدام: الشجاعة - الحزم: التبصر في عواقب الأمور والتدبر في نتائجها - الناثل: الكرم والسخاء.
- [2] مارست: باشرت وزاولت - الخفية: الدقيقة المعضلة - النمام: الساعي في التفرقة بين الناس.
- [4] طلب الزمان وأهله: أي فُتُّهم بفضائلي - الطوائل: الترات. ج. ترة، وهي الثأر.
- [6] رضوى: جبل بالمدينة.
- [9] الصياقل: صناعات السيوف.
- [11] كنه منزلي: حقيقة منزلي.
- [12] سيد: في محل يرغب فيه كل رفيع القدر - المتناول: ويعجز عن نيئه كل من أراد تناوله.
- [15] الوكعات: ج. وكنة، مثلثة الواو مع سكون الكاف وبضم الواو والكاف وهي عش الطائر - الفرقدان: هما نجمان قريبان من القطب - الحبال: ج. حبال، وهي المصيدة.
- [16] الأسحار: أوقات الليل التي قبل الصبح - الأصال: جمع أصيل قبل الغروب.
- [17] صروف الزمان: نوابه - أبا لي: أكثرث - غاله: أهلكه، والغوائل: الدواهي.
- [18] العضد: ما بين المرفق إلى الكتف - المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد - بان: انفصل - الزند: موصل طرف الذراع في الكف - الأنامل: أطراف الأصابع.
- [19] الطائي: هو حاتم المشهور بالكرم - مادر: لقب رجل من بني هلال يسمى مخارق مشهور بالبخل واللؤم - قس: هو قس بن ساعدة الإيادي كان مشهوراً بالحكمة والبلاغة - الفهاهة: العي وعدم القدرة على تفهيم ما في الضمير - باقل: رجل اشتهر بالعي حتى إنه اشترى غزلاً بأحد عشر درهماً فسل عن ثمنه فمد كفيه يريد عشرة وأخرجه لسانه ليكملها أحد عشر ففر منه الطيب ونجا فضرب به المثل في العي.
- [20] السُّهَى: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى - أنت صغيرة - الدجى: الظلام - حائل: متغير.
- [21] الشهب: الكواكب الدراري - الحصى: صغار الحجارة - الجنادل: كبار الحجارة.

بكاؤكما يُشفي وإن كان لا يُجدي* ابن الرومي

• قال يرثي ابنه:

- | | | |
|----|--|---|
| 1 | بكاؤكما يُشفي وإن كان لا يُجدي | فجودا فقد أودى نظيرُكما عندي |
| 2 | بُنِّيَ الَّذِي أَهَدْتَهُ كَفَايَ لِلثَّرَى | فيا عَزَّةَ الْمُهْدَى وَيَا حَسْرَةَ الْمُهْدَى |
| 3 | أَلَا قَاتَلَ اللَّهَ الْمَنَايَا وَرَمِيهَا | مِنَ الْقَوْمِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمَدِ |
| 4 | تَوَخَّى جِمَامَ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيئِي | فَلَلَهُ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ |
| 5 | عَلَى حِينِ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ | وَأَنْسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ |
| 6 | طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأُضْحَى مَزَارُهُ | بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ |
| 7 | لَقَدْ أَنْجَزْتُ فِيهِ الْمَنَايَا وَعَيْدَهَا | وَأَخْلَفْتَ الْأَمَالَ مَاكَانَ مِنْ وَعْدِ |
| 8 | لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبْثُهُ | فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ إِذْ ضَمَّ فِي اللَّحْدِ |
| 9 | تَنْغُصَ قَبْلَ الرِّيِّ مَاءَ حَيَاتِهِ | وَفُجِّعَ مِنْهُ بِالْعَذُوبَةِ وَالْبَرْدِ |
| 10 | أَلْحَ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ | إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِيٍّ عَنِ حُمْرَةِ الْوَرْدِ |
| 11 | وِظَلَّ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ | وَيَذُوي كَمَا يَذُوي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّئْدِ |
| 12 | فَيَالِكَ مِنْ نَفْسٍ تُسَاقَطُ أَنْفَسًا | تَسَاقَطَ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدِ |
| 13 | عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ | وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ |
| 14 | بِوَدِّيَ أَنِّي كُنْتُ قُدِّمْتُ قَبْلَهُ | وَأَنَّ الْمَنَايَا دُونَهُ صَمَدَتْ صَمْدِي |
| 15 | وَلَكِنْ رَبِّي شَاءَ غَيْرَ مَشِيئِي | وَلِلرَّبِّ إِمْضَاءُ الْمَشِيئَةِ لَا الْعَبْدِ |
| 16 | وَمَا سَرَّنِي أَنْ بَعَثَهُ بِثَوَابِهِ | وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ |
| 17 | وَلَا بَعَثَهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِبَتْهُ | وَلَيْسَ عَلَى ظَلَمِ الْحُودَاثِ مِنْ مُعْدِ |
| 18 | وَإِنِّي وَإِنْ مُتَّعْتُ بَابْنِي بَعْدَهُ | لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدِ |
| 19 | وَأَوْلَادُنَا مِثْلَ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا | فَقَدْنَاهُ كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيْنَ الْفَقْدِ |

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 004.

- 20 لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسِيدُ اخْتِلَالَهُ
مَكَانٌ أَخِيهِ فِي جَزْوَعٍ وَلَا جَلِدٍ
- 21 هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ
أَمِ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
- 22 لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِي الْحَالُ بَعْدَهُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
- 23 تَكَلْتُ سُرُورِي كُفَّهُ إِذْ تَكَلَّمْتُهُ
وَأَصْبَحْتُ فِي لَدَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ
- 24 أَرِيحَانَةَ الْعَيْنِينَ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
- 25 سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدْتُ بِهِ
وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا تُجْدِي
- 26 أَعَيْنِي جُودَا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى
بِأَنْفَسِ مِمَّا تُسْأَلَانِ مِنَ الرَّقْدِ
- 27 أَعَيْنِي إِنْ لَا تُسْعِدَانِي أَلْمُكْمَا
وَإِنْ تُسْعِدَانِي الْيَوْمَ تَسْتَوْجِبَا حَمْدِي
- 28 عَذْرَتُكَمَا لَوْ تُشْغَلَانِ عَنِ الْبَكََا
بِنَوْمٍ وَمَا نَوْمُ الشَّجِيِّ أَخِي الْجَهْدِ
- 29 أَفْرَةَ عَيْنِي قَدْ أَطَلْتُ بُكَاءَهَا
وَعَادَرْتُهَا أَقْذَى مِنَ الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
- 30 أَفْرَةَ عَيْنِي لَوْ قَدَى الْحَيِّ مِثًّا
فَدَيْتُكَ بِالْحُوبَاءِ أَوَّلَ مَنْ يَفْدِي
- 31 كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ
وَلَا قُبْلَةٍ أَحْلَى مَذَاقًا مِنَ الشَّهْدِ
- 32 كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضُمَّةٍ
وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدِ
- 33 أَلَامٌ لَمَا أَبْدِي عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
وَإِنِّي لِأَخْفِي مِنْهُ أَضْعَافٌ مَا أَبْدِي
- 34 مُحَمَّدٌ مَا شَيْءٌ تَوْهَمَ سَلْوَةً
لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
- 35 أَرَى أَخْوِيكَ الْبَاقِيَيْنِ فَإِنَّمَا
يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّنْدِ
- 36 إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَدَّعَا
فَوَادِي بَمَثَلِ النَّارِ عَنِّ غَيْرِ مَا قَصْدِ
- 37 فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلَّ حَزَازَةٌ
يَهِيْجَانَهَا دُونِي وَأَشْقَى بِهَا وَحْدِي
- 38 وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرِدْتَ فِي دَارٍ وَحْشَةً
فَأِنِّي بِدَارِ الْأَنْسِ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ
- 39 أَوْدٌ إِذَا مَا الْمَوْتُ أَوْفَدَ مَعَشْرًا
إِلَى عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ أَنِّي مِنَ الْوَفْدِ
- 40 وَمَنْ كَانَ يَسْتَهْدِي حَبِيْبًا هَدِيَّةً
فَطَيْفَ خِيَالٍ مِنْكَ فِي النَّوْمِ أَسْتَهْدِي
- 41 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةً
وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرَقِ وَالرَّعْدِ

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 67.

أتاني مقالٌ من أخٍ فاغترتهُ* ابن الروميِّ

• قال في العفو:

- 1 أتاني مقالٌ من أخٍ فاغترتهُ وإنْ كانَ فيما دونَهُ وجدٌ مُعتَبِ
- 2 وذُكِرْتُ نفسي منه عندَ امتعاضِها محاسنَ تعفو الذَّنْبِ عن كلِّ مذنبِ
- 3 ومثلي رأى الحسنَى بعينِ حَلِيَّةٍ وأغضى عن العوراءِ غير مؤنَّبِ
- 4 فيا هاربًا من سخطنا مُتنصلاً هربتَ إلى أنجى مَفرٍّ ومهربِ
- 5 فعذرُك مغفورٌ لدينا مقدَّمٌ وودُّك مقبولٌ بأهلٍ ومَرحبِ
- 6 ولو بلَّغتنِي عنكَ أذني أقمَّتها لديَّ مُقامَ الكاشحِ المتكذِّبِ
- 7 ولستُ بتقليبِ اللِّسانِ مُصارمًا خليلي إذْ ما القلبُ لم يتقلَّبِ

شرح المفردات:

- [3] العوراء: العيب - مؤنَّب: موبَّخ.
- [6] الكاشح: المبيِّض.
- [7] مصارمًا: مقاطعًا.

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 431.

رُبَّ عَرَضٍ مَنَزَّهُ عَنِ قَبِيحٍ* ابن الرومي

• تكلف ذم القمر، فقال:

- | | | |
|---|---|---|
| 1 | رُبَّ عَرَضٍ مَنَزَّهُ عَنِ قَبِيحٍ | دَنَسَتْهُ مُعَرَّضَاتُ الْهَجَاءِ |
| 2 | لَوْ أَرَادَ الْأَدِيبُ أَنْ يَهْجُوَ الْبَدْرَ | رَ، رَمَاهُ بِالْخَطِّ الشَّنْعَاءِ |
| 3 | قَالَ: يَا بَدْرُ أَنْتَ تَغْدُرُ بِالسَّاءِ | رِي وَتَزْرِي بِزُورَةِ الْحَسَنَاءِ |
| 4 | كَلَّفَ فِي شُحُوبٍ وَجْهَكَ يَحْكِي | نَكْتًا فَوْقَ وَجْنَةٍ بِرِصَاءِ |
| 5 | يَعْتَرِيكَ الْمَحَاقُ ثُمَّ يَلِي | لَكَ شَبِيهَةَ الْقُلَامَةِ الْحَجْنَاءِ |
| 6 | وَيَلِيكَ التَّقْصَانُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ | رِ فَيَمْحُوكَ مِنْ أَدِيمِ السَّمَاءِ |
| 7 | فَإِذَا الْبَدْرُ نَيْلَ الْهَجْوِ هَلْ يَأْ | مَنْ ذُو الْفَضْلِ أَلْسَنَ الشُّعْرَاءِ؟ |
| 8 | وَلَأَجْلِ الْمَدِيحِ بَلْ خَيْفَةَ الْهَجْرِ | وَأَخَذْنَا جَوَائِزَ الْخَلْفَاءِ |

شرح المفردات:

- [3] الساري: الذي يسير ليلاً - بزورة: الزورة خيال يرى بالليل.
- [5] الحجناء: المعكوفة

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 67.

سَأَلْتُكَ حَاجَةً فَسَعَيْتَ فِيهَا* ابن الرومي

- 1 سَأَلْتُكَ حَاجَةً فَسَعَيْتَ فِيهَا بتعذيرٍ نتيجتُهُ اعتذارُ
- 2 وَهَانَ عَلَيْكَ مُنْقَلَبِي كَثِيبًا وَلِلْحَسْرَاتِ فِي الْأَحْشَاءِ نَارُ
- 3 وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الْحَاجَاتِ إِلَّا كَرِيمٌ فِيهِ جِدٌّ وَانْشِمَارُ
- 4 إِذَا مَا نَامَ عَنْهَا سَائِلُوهَا تَنَبَّهَ لَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارُ
- 5 سِوَاءٍ عِنْدَهُ فِي كُلِّ حَالٍ أَفَاتَتْ حَاجَةً أَمْ فَاتَ ثَارُ
- 6 كَأَنَّ أَخَاهُ عُضُوٌّ مِنْهُ فِيهَا فَفِيهِ تَحَزُّ بِالْفَوْتِ الشُّفَارُ
- 7 وَيُلْحِي نَفْسَهُ أَنْ يَعْذِرُوه وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقَدْرِ الْخِيَارُ
- 8 لَهُ عِنْدَ الْعُدُوِّ لَهَا وَفِيهَا حِذَارِ الْفَوْتِ قَلْبٌ مُسْتَطَارُ
- 9 يُحَامِي أَنْ يَفُوتَ بِهَا قَضَاءُ كَأَنَّ الْمَكْرَمَاتِ لَهُ ذِمَارُ

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 2، ص 541.

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ سَلِمَ* أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ

- | | | |
|----|------------------------------|--------------------------------|
| 1 | مَنْ سَأَلَ النَّاسَ سَلِمَ | مَنْ شَاتَمَ النَّاسَ شَتِمَ |
| 2 | مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ أَسَا | مَنْ رَجِمَ النَّاسَ رُجِمَ |
| 3 | مَنْ طَلَبَ الْفَضْلَ إِلَى | غَيْرِ ذَوِي الْفَضْلِ حُرِمَ |
| 4 | مَنْ حَافِظَ الْعَهْدَ وَفَى | مَنْ أَحْسَنَ السَّمْعَ فُهِمَ |
| 5 | مَنْ صَدَّقَ اللّهَ عَلَا | مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلِمَ |
| 6 | مَنْ خَالَفَ الرُّشْدَ غَوَى | مَنْ تَبِعَ الْعَيَّ نَدِمَ |
| 7 | مَنْ لَزِمَ الصُّمْتَ نَجَا | مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ |
| 8 | مَنْ عَفَّ وَكُتِفَ زَكَا | مَنْ جَحَدَ الْحَقَّ أَثِمَ |
| 9 | مَنْ مَسَّهُ الضُّرُّ شَكَا | مَنْ عَصَّه الدَّهْرُ أَلِمَ |
| 10 | لَمْ يَعُدْ حَيًّا رَزُقُهُ | رَزُقُ امْرِئٍ حَيْثُ قُسِمَ |

* ديوان أبو العتاهية، دار صادر، بيروت الصفحة 493.

لَعَمْرُكَ، مَا الدُّنْيَا بَدَارِ بَقَاءِ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ

- | | | |
|----|---|---|
| 1 | لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارِ بَقَاءِ | كَفَاكَ بَدَارِ الْمَوْتِ دَارَ فَنَاءِ |
| 2 | فَلَا تَعَشَّقِ الدُّنْيَا أُخَيِّ فَإِنَّمَا | يُرَى عَاشِقُ الدُّنْيَا بِجُهْدِ بَلَاءِ |
| 3 | حَلَاوُثُهَا مَمَزُوجَةٌ بِمَرَارَةٍ | وَرَاحَتُهَا مَمَزُوجَةٌ بِعَنَاءِ |
| 4 | فَلَا تَمْشِ يَوْمًا فِي ثِيَابِ مَخِيلَةٍ | فَإِنَّكَ مِنْ طِينِ خُلِقْتَ وَمَاءِ |
| 5 | لَقَلَّ امْرُؤٌ تَلْقَاهُ لِلَّهِ شَاكِرًا | وَقَلَّ امْرُؤٌ يَرْضَى لَهُ بِقَضَاءِ |
| 6 | وَلِلَّهِ نَعْمَاءٌ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ | وَلِلَّهِ إِحْسَانٌ وَفَضْلٌ عَطَاءِ |
| 7 | وَمَا الدَّهْرُ يَوْمًا وَاحِدًا فِي اخْتِلَافِهِ | وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الْفَتَى بِسَوَاءِ |
| 8 | وَمَا هُوَ إِلَّا يَوْمٌ بِوَيْسٍ وَشِدَّةٍ | وَيَوْمٌ سُرُورٍ مَرَّةً وَرَخَاءِ |
| 9 | وَمَا كُلُّ مَا لَمْ أَرْجُ أَحْرَمُ نَفْعَهُ | وَمَا كُلُّ مَا أَرْجُوهُ أَهْلَ رَجَاءِ |
| 10 | أَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ لَا بَلَّ لِرَبِيهِ | يَخْرُمُ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ إِخَاءِ |
| 11 | وَشَتَّتَ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ جَمَاعَةٍ | وَكَدَّرَ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ صَفَاءِ |
| 12 | إِذَا مَا خَلِيلِي حَلَّ فِي بَرْزَخِ الْبَلِي | فَحَسْبِي بِهِ نَأْيًا وَبُعْدَ لِقَاءِ |
| 13 | أَزُورُ قُبُورَ الْمُتَرْفِينَ فَلَا أَرَى | بِهَاءٍ وَكَانُوا قَبْلُ أَهْلَ بَهَاءِ |
| 14 | وَكُلُّ زَمَانٍ وَاصِلٌ بِصَرِيمَةٍ | وَكُلُّ زَمَانٍ مُلَطَّفٌ بِجَفَاءِ |
| 15 | يَعِزُّ دِفَاعُ الْمَوْتِ عَنْ كُلِّ حِيلَةٍ | وَيَعْغِيَا بَدَاءِ الْمَوْتِ كُلَّ دَوَاءِ |
| 16 | وَنَفْسُ الْفَتَى مَسْرُورَةٌ بِنَمَائِهَا | وَلِلنَّقْصِ تَنَمُّو كُلِّ ذَاتِ نَمَاءِ |
| 17 | وَكَمْ مِنْ مُفْدَى مَاتَ لَمْ يَرِ أَهْلَهُ | حَبَّوهُ وَلَا جَادُوا لَهُ بِفِدَاءِ |
| 18 | أَمَامَكَ يَا نَوْمَانُ دَارُ سَعَادَةٍ | يَدُومُ الْبَقَا فِيهَا وَدَارُ شَقَاءِ |
| 19 | خُلِقْتَ لِإِحْدَى الْغَايَتَيْنِ فَلَا تَتَمَّ | وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْهُمَا وَرَجَاءِ |
| 20 | وَفِي النَّاسِ شَرٌّ لَوْ بَدَا مَا تَعَاشَرُوا | وَلَكِنْ كَسَاهُ اللَّهُ ثَوْبَ غِطَاءِ |

كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى طَيْفٍ يُزَاوِرُهُ* أَبُو فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ

• كتبها أبو فراس جوابًا لقصيدة أبي الحصين في الرِّقَّة:

- | | | |
|----|---|---|
| 1 | كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى طَيْفٍ يُزَاوِرُهُ | والتَّوْمُ فِي جُمْلَةِ الْأَحْبَابِ هَاجِرُهُ؟ |
| 2 | مَنْ لَا يَنَامُ فَلَا صَبْرٌ يُؤَاوِرُهُ | و لَا خِيَالَ عَلَى شَحِطٍ يَزَاوِرُهُ |
| 3 | يَا سَاهِرًا لَعِبَتْ أَيْدِي الْفِرَاقِ بِهِ | فَالصَّبْرُ خَاذِلُهُ وَالدمْعُ نَاصِرُهُ |
| 4 | و رَاحِلٍ أَوْحَشَ الدُّنْيَا بِرِحْلَتِهِ | وَ إِنْ غَدَا مَعَهُ قَلْبِي يَسَايِرُهُ |
| 5 | هَلْ أَنْتَ مَبْلُغُهُ عَنِّي بَأَنَّ لَهُ | وَدَّأ تَمَكَّنَ فِي قَلْبِي يَجَاوِرُهُ؟ |
| 6 | وَأَنْنِي مَنْ صَفَتْ مِنْهُ سَرَائِرُهُ | وَصَحَّ بَاطِنُهُ مِنْهُ وَظَاهِرُهُ؟ |
| 7 | وَمَا أَخْوَكَ الَّذِي يَدْنُو بِهِ نَسَبُ | لَكِنْ أَخْوَكَ الَّذِي تَصْفُو ضَمَائِرُهُ |
| 8 | وَأَنْنِي وَاصِلٌ مَنْ أَنْتَ وَاصِلُهُ | وَأَنْنِي هَاجِرٌ مَنْ أَنْتَ هَاجِرُهُ |
| 9 | و لَسْتُ وَاجِدَ شَيْءٍ أَنْتَ عَادِمُهُ | وَلَسْتُ غَائِبَ شَيْءٍ أَنْتَ حَاضِرُهُ |
| 10 | وَافِي كِتَابِكَ مَطْوِيًّا عَلَى نَزِهِ | يَحَارُ سَامِعُهُ فِيهِ وَنَاطِرُهُ |
| 11 | فَالعَيْنُ تَرْتَعُ فِيمَا خَطَّ كَاتِبُهُ | و السَّمْعُ يَنْعَمُ فِيمَا قَالَ شَاعِرُهُ |
| 12 | فَإِنْ وَقَفْتُ أَمَامَ الْحَيِّ أَنْشَدُهُ | وَدَّ الْخِرَائِدُ لَوْ تُقْنِي جَوَاهِرُهُ |
| 13 | "أَبَا الْحُصَيْنِ" وَخَيْرِ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ | أَنْتَ الصَّدِيقُ الَّذِي طَابَتْ مَخَابِرُهُ |
| 14 | لَوْ لَا اعْتِذَارُ أَخْلَائِي بِكَ انصَرَفُوا | بِوَجْهِ خَزْيَانَ لَمْ تُقْبَلْ مَعَاذِرُهُ |
| 15 | أَيْنَ الْخَلِيلُ الَّذِي يُرْضِيكَ بَاطِنُهُ | مَعَ الْخَطُوبِ كَمَا يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ؟ |

* ديوان أبو فراس، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى 3002، الصفحة 811.

- 16 أما الكتابُ فإني لستُ أقرؤه
إلا تبادرَ من دَمعي بَواردهُ
- 17 يجري الجمانُ كما يجري الجمانُ بهِ
ويَنشُرُ الدُرَّ فَوَقَ الدُرَّ نائِرُهُ
- 18 أنا الذي لا يُصيبُ الدهرُ عِترَتَهُ
ولا يبيتُ على خوفٍ مجاورُهُ
- 19 يُمسي وُكُلُ بلادٍ حَلَّها وَطَنُ
وكلُّ قومٍ غدا فيهمُ عشائِرُهُ
- 20 و ما تمدُّ له الأطنابُ في بلدٍ
إلا تَضَعُخَ باديهِ وَحاضِرُهُ
- 21 لي التَّخِيرُ مُشتطًا ومنتصفاً
ولأفاضلِ بعدي ما أغادرُهُ
- 22 زاكي الأصولِ كريمُ النَّبعتينِ ومنُ
زَكَّتْ أوائلُهُ طابَتْ أوأخرُهُ
- 23 فمنُ "سعيدِ بنِ حمدانٍ" ولادئُهُ
و منُ "عليِّ بنِ عبدِ الله" سائرُهُ!
- 24 القائلُ الفاعِلُ المأمونُ نَبوتُهُ
والسَّيِّدُ الأيُّدُ الميمونُ طائرُهُ
- 25 بَنى لنا العِزَّ مرفوعًا دَعائِمُهُ
وشَيَّدَ المجدَ مُشتدًّا مرائِرُهُ
- 26 فَمَا فَضائِلُنَا إلا فَضائِلُهُ
وَلَا مَفاخِرُنَا إلا مَفاخِرُهُ
- 27 لقدُ فقدتُ أبي طفلاً فكانَ أبي
مَنَ الرِّجالِ كريمِ العودِ ناضرُهُ
- 28 فهوَ ابنُ عمِّي دُنيا حينَ أنسبُهُ
لَكِنَّهُ لي مَولِي لا أناكِرُهُ
- 29 ما زالَ لي نجوةً مِمَّا أحاذرُهُ
مِنهُ وَعَمَّرَ لإسلامِ عامِرُهُ
- 30 وَقَد سَمَحْتُ غَداءَ البينِ مُبتدئًا
مِنَ الجَوابِ بوَعْدِ أنتِ ذاكِرُهُ
- 31 بقيتُ ماغرَدتُ ورقُ الحَمامِ وما اسدُ
تهلَّ منُ مونقِ الوسميِّ باكرُهُ
- 32 حَتى تُبَلِّغَ أَقصى ما تُؤمِّلُهُ
منَ الأمورِ وَتُكفِي ما تُحاذِرُهُ

مالي بدارِ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا شُغْلُ* أبو نَوَاسٍ

• قال أبو نَوَاسٍ يُعَبِّرُ عن معارضته لتقليد الشعراء قصائد المعلقات في الوقوف على الأطلال، ووصف الراحلة والرحلة، والسير في الفيافي، ووصف الطعائن، ومعلناً منهجه في ذكر غايته وهدفه مباشرة:

- | | | |
|----|---|--|
| 1 | مالي بدارِ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا شُغْلُ | ولا شَجَانِي لَهَا شَخْصٌ وَلَا طَلَّلُ |
| 2 | ولا رُسُومٌ وَلَا أَبْكَيَ لِمَنْزِلَةٍ | للأهلِ عَنهَا وللجيرانِ مُنْتَقِلُ |
| 3 | ولا قَطَعْتُ عَلَى حَرْفٍ مُدَكَّرَةٍ | في مِرْفَقَيْهَا إِذَا اسْتَعْرَضَتْهَا فَتَلُ |
| 4 | بَيْدَاءَ مَقْفِرَةٍ يَوْمًا فَأَنْعَتُهَا | ولا سَرَى بِي فَأَحْكِيهِ بِهَا جَمَلُ |
| 5 | ولا شَتَوْتُ بِهَا عَامًا فَأَدْرَكَنِي | فِيهَا المَصِيفُ فلي عن ذَاكَ مُرْتَحِلُ |
| 6 | ولا شَدَدْتُ بِهَا مِنْ خِيَمَةٍ طُنْبًا | جاري بِهَا الضُّبُّ والحَرْبَاءُ والوَرُلُ |
| 7 | لا الحَزْنَ مَنِّي بِرَأْيِ العَيْنِ أَعْرِفُهُ | وليسَ يَعْرِفُنِي سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ |
| 8 | لا أَنْعْتُ الرَوْضَ إِلَّا ما رَأَيْتُ بِهِ | قَصْرًا مُنِيفًا عَلَيْهِ النُّخْلُ مُشْتَمِلُ |
| 9 | فهاكَ مِنْ صِفَتِي إِنْ كُنْتَ مُخْتَبِرًا | وَمُخْبِرًا نَفَرًا عَنِّي إِذَا سَأَلُوا |
| 10 | نَخْلٌ إِذَا جَلَيْتَ إِبانَ زِينَتِهَا | لأَحْتِ بِأَعناقِهَا أَغْداقِهَا النُّخْلُ |
| 11 | أَسْقَاطُ عَسَجَدِهِ فِيهَا لِأَلِئِهَا | منضوْدَةٌ بِسَموِطِ الدَّرِّ تَتَّصِلُ |
| 12 | إِنْ جِئْتَ زائِرُها عَنَّاكَ طائِرُها | برجعَ أَلْحَنَةَ فِي صوْتِها هَدْلُ |
| 13 | مَنْ بُلْبُلٌ عَرِدٌ ناداكَ مِنْ عُصْنٍ | يَبْكِي لِبُلْبُلَةٍ أودى بِها حَبَلُ |
| 14 | هذا فَصْفُهُ وَقَلَّ فِي وَصْفِهِ سَدَدًا | مُدَّتْ لَواصِفِهِ فِي عُمَرِهِ الطَّوْلُ |
| 15 | ما بَيْنَ رَبْعٍ وَلا رَسْمٍ وَلَا طَلَّلِ | أَقوى وَبَيْنِي فِي حُكْمِ الهوى عَمَلُ |
| 16 | مالي وَعَوَسَجُها بِالقاعِ جانيها | أَفْعَى يُقابِلُها عَن جُحْرِها وَرَلُ |
| 17 | إِنِّي امْرُؤٌ هَمَّتِي وَاللَّهُ يَكْلُونِي | أَمْرانِ ما فِيهِما شُرْبٌ وَلَا أَكْلُ |
| 18 | حُبُّ النَّدِيمِ وما فِي النَّاسِ مِنْ حَسَنِ | كَفِّي إِليهِ إِذا راجعْتُهُ خِصْلُ |
| 19 | لا أَمْدَحَنَّ وَلَا أُحْطِي خَلانِقَهُ | مَنْ عِنْدَهُ لي إِذا ما جِئْتُهُ نُزْلُ |

* ديوان أبو نواس، دار صادر، بيروت الصفحة 713.

الشعرُ الأندلسي



مقدمة عن الشعر الأندلسي

الشعر الأندلسي هو فنٌ شعريٌّ مُنبثقٌ عن الحضارة في العصر الأندلسي، ويُعدُّ الوضوح والبساطة من أبرز ما تميّز به هذا الشعر، بالإضافة إلى الأحداث والوقائع التاريخية، ولاسيما ما يتعلق بأمر الممالك الزائلة.

أما ما يتعلق بالشعر نفسه فقد امتاز بالصنعة اللفظية، والالتزام بوحدة الوزن والقافية وابتداع ما هو جديد في الأوزان كشعر الموشحات بما يتناسب مع انتشار الغناء في المجالس الأندلسية، وظلَّ الشعر الأندلسي محافظاً - إلى درجة كبيرة - على اقتفاء آثار الشعر العربي بشكل عام عند شعراء المشرق العربي.

وتميّز الشعر الأندلسي بسهولة الألفاظ ورقيتها وعذوبتها، وترباط الأفكار ووضوح المعاني وخلوها من المبالغة، والميل في طرائق التعبير إلى الأساليب البيانية والبديعة، كما اتسمت طرائق تعبيرهم بالجدة والطرافة، مع استحداث أفكار جديدة، وإبداع في التصوير، واستخدام للبحور الشعرية الخفيفة القصيرة المناسبة لطبيعة الحياة وحُب الغناء واللهو، وبظهور شعر الموشحات الذي يرجع الفضل في استحداثه إلى الشعراء الأندلسيين في القرن الرابع الهجري بالتحديد.

وقد كانت أوزان شعر الموشحات أول محاولة جريئة للتجديد في أوزان الشعر العربي وقوافيه، والخروج على ما ألفه الشعراء السابقون، حيث أفاد شعر الموشحات من ظهور فن الغناء في الأندلس، فتأثر كل منهما بالآخر، ونظم شعراء الموشحات في أغراض الشعر كافة من مدح وثناء وهجاء وزهد وتصوف، وغيرها، ولذلك عدَّ شعر الموشحات فناً شعرياً أندلسياً جديداً لم يعرفه الشعر العربي من قبل، ومن أشهر شعراء الموشحات: لسان الدين بن الخطيب، وابن سناء الملك، وابن زمرك، وعبادة القرزاق، ومحي الدين بن العربي.

وبما أن بلاد الأندلس عرفت بجمال طبيعتها الخلابة، فقد أفاض الشعراء غناءً بمناظرها ومشاهدها ووصف ما فيها من معاني الجمال الأسر، وهاموا فيها مُعَبِّرين عن أحاسيسهم بجمالها وفتنتها، وبما تميّزت به من الشجر والزهر والنبات والماء والحيوان ومجالس الأنس والنزهات،

وبما أَوْحَتْهُ الطَّبِيعَةُ بحالاتِهَا المُخْتَلِفَةِ خُضْرَةً وَسَهُولًا وَجِبَالًا وَأَنْهَارًا وَمُتَعَةً بِهِجَةً تَغْلَخَتْ فِي نَفُوسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، حَتَّى أَصْبَحَتِ الطَّبِيعَةُ وَالشُّعْرُ لَدَى شُعْرَاءِ الْأَنْدَلِسِ صِنَوَانٍ لَا يَفْتَرِقَانِ، وَأَصْبَحَ الشُّعْرُ الْأَنْدَلِسِيُّ صَدَىً لِلْبَيْئَةِ الْأَنْدَلِسِيَّةِ، سِوَاءُ أَكَانَتْ بَيْئَةً طَبِيعِيَّةً أَمْ اجْتِمَاعِيَّةً، مِمَّا جَعَلَ شُعْرَاءَ الْأَنْدَلِسِ يَتَفَوَّقُونَ فِي مِيدَانِ وَصْفِ الطَّبِيعَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ افْتِتَانِهِمْ بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ الْأَنْدَلِسِيَّةِ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ طَبِيعَةً سَاحِرَةً شَغَفَتِ الْقُلُوبَ، وَأَسْرَتِ النَّفُوسَ، وَكَذَلِكَ بِسَبَبِ ازْدِهَارِ مَجَالِسِ الْأَنْسِ وَالْبَهْجَةِ وَاللَّهْوِ الَّتِي كَانَتْ تُعْقَدُ فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ فَتُشِيرُ قَرَائِحَ الشُّعْرَاءِ فَيَكْتُبُونَ قِصَائِدَ تَمْتَزِجُ فِي أَغْرَاضِهَا بِوَصْفِ الطَّبِيعَةِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ.

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ اهْتَمَّوْا بِوَصْفِ الطَّبِيعَةِ: ابْنُ خَفَاجَةَ، وَابْنُ زَيْدُونَ، وَابْنُ رَشِيقٍ، فَقَدْ تَغَنَّوْا بِجَمَالِ بِلَادِهِمْ، وَوَصَفُوا طَبِيعَتَهَا وَمَجَالِسَهَا وَقُصُورَهَا، وَأَفْرَدُوا لِذَلِكَ قِصَائِدَ مُسْتَقَلَّةً أَوْ مَقْطُوعَاتٍ كَانَتْ مِرَاةً صَادِقَةً لِتِلْكَ الطَّبِيعَةِ، وَمَلَاذًا لِلشُّعْرَاءِ يَبْتَوْنَهَا هَمُومَهُمْ وَأَفْرَاحَهُمْ.

وَمِمَّا يُسَجَّلُ لِلشُّعْرِ الْأَنْدَلِسِيِّ اتِّسَامُهُ بِالتَّعْبِيرِ عَنِ التَّسَامُحِ وَالتَّعَايِشِ، وَبُعْدِهِ عَنِ التَّعَصُّبِ الْمَقِيَّتِ، مِمَّا جَعَلَهُ يُلْعَبُ دَوْرَهُ فِي التَّأْلِيفِ بَيْنَ سُكَّانِ الْأَنْدَلِسِ عَلَى اخْتِلَافِ ثِقَافَاتِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ.

جَادَكَ الْغَيْثُ لسان الدين بن الخطيب

(أ)

- | | | |
|---|---|--|
| 1 | جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى | يا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلِيسِ |
| 2 | لَمْ يَكُنْ وَضْلَكَ إِلَّا حُلْمًا | في الكرى أو خُلْسَةِ الْمُخْتَلِسِ |
| 3 | إِذْ يَقُودُ الذَّهْرُ أَشْتَاتِ الْمُنَى | يَنْقُلُ الْخَطْوَةَ عَلَى مَا يَرْسُمُ |
| 4 | زُمْرًا بَيْنَ فُرَادَى وَتُنَى | مِثْلَ مَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمُؤَسَّمُ |
| 5 | وَالْحَيَا قَدْ جَلَّلَ الرَّوْضَ سَنَا | فَتُغَوِّرُ الزَّهْرَ فِيهِ تَبْسِمُ |
| 6 | وَرَوَى التُّعْمَانَ عَنْ مَاءِ السَّمَا | كَيْفَ يَرُوي مَالِكٌ عَنْ أَنْسِ |
| 7 | فَكَسَاهُ الْحُسْنَ ثَوْبًا مُعَلَّمًا | يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلْبَسِ |

(ب)

- | | | |
|----|--|--|
| 8 | أَيُّ شَيْءٍ لِامْرِئٍ قَدْ حَلَّصَا | فَيَكُونُ الرَّوْضُ قَدْ مُكِّنَ فِيهِ |
| 9 | تَنْهَبُ الْأَزْهَارُ فِيهِ الْفُرْصَا | أَمِنَتْ مِنْ مَكْرِهِ مَا تَتَّقِيهِ |
| 10 | فَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحَصَى | وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ |
| 11 | تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيُورًا بَرِمًا | يَكْتَسِي مِنْ غَبَطِهِ مَا يَكْتَسِي |
| 12 | وَنَرَى الْأَسَّ لَبِيبًا فَهَمَّا | يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأَذْنِي فَرَسِ |

(ج)

- | | | |
|----|---|--------------------------------------|
| 13 | يا أَهْيَلِ الْحَيِّ مِنْ وادي الْغَضَا | وَبِقَلْبِي سَكَنُ أَنْتُمْ بِهِ |
| 14 | ضَاقَ عَنِّي وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا | لا أَبَالِي شُرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ |
| 15 | فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى | تُعْتِقُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ |
| 16 | وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا | يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ |

نَثَرَ الْجَوْ عَلَى الْأَرْضِ بَرْدٌ ابن حَمْدِيسَ

- | | | |
|----|--|--|
| 1 | نَثَرَ الْجَوْ عَلَى الْأَرْضِ بَرْدٌ | أَيُّ دُرٍّ لِنُحُورٍ لَوْ جَمَدُ |
| 2 | لَوْلَوْ أصدافُهُ السُّخْبُ الَّتِي | أَنْجَزَ الْبَارِقُ مِنْهَا مَا وَعَدُ |
| 3 | مَنَحَتْهُ عَارِيًّا مِنْ نَكَدٍ | وَاكتسَابُ الدُّرِّ بِالغَوْصِ نَكَدُ |
| 4 | ذَوَّبَتْهُ مِنْ سماءٍ أذْمَعُ | فَوْقَ أَرْضٍ تَتَلَقَّاهُ بِخَدُ |
| 5 | فَجَرَّتْ مِنْهُ سَيُولُ حَوْلَنَا | كَثْعَابِينَ عِجَالٍ تَطْرُدُ |
| 7 | وَتَرَى كُلَّ غَدِيرٍ مُثَاقٍ | سَبَحَتْ فِيهِ قَوَارِيرُ الزَّبَدِ |
| 6 | وَكَأَنَّ الْبَرْقَ فِيهَا حَادِفٌ | بِضْرَامٍ كُلَّمَا شَبَّ حَمَدُ |
| 7 | تَارَةً يَخْفُو وَيَخْفَى تَارَةً | كحُسامٍ كُلَّمَا سُلَّ غُمْدُ |
| 8 | يَدْعَرُ الْأَبْصَارُ مُحْمَرًّا كَمَا | قَلَّبَ الْحِمْلَاقَ فِي اللَّيْلِ الْأَسَدُ |
| 9 | وَعَلِيلِ النَّبْتِ ظَمَانِ الثَّرَى | عَرَجَ الرَّائِدُ عَنْهُ فَرَهْدُ |
| 10 | خَلَعَ الْخِضْبُ عَلَيْهِ حُلًّا | لِبَدِيحِ الرَّقْمِ فِيهِنَّ جُدُّ |
| 11 | وَسَقَاهُ الرَّيِّ مِنْ وَكَافَةٍ | فَتَحَّ الْبَرْقُ بِهَا اللَّيْلَ وَسَدُ |
| 12 | ذَاتِ قَطْرٍ دَاخِلِ جَوْفِ الثَّرَى | كَحَيَاةِ الرُّوحِ فِي مَوْتِ الْجَسَدِ |
| 13 | فَتَشَى الْغُضْنَ سُكْرًا بِاللَّيْ | وَتَغْنَى سَاجِحِ الطَّيْرِ عَرِدُ |
| 14 | وَكَأَنَّ الصَّبْحَ كَفُّ حَلَلْتِ | مِنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ بِالنُّورِ عُقْدُ |
| 15 | وَكَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي ذَهَبًا | طَائِرًا فِي صَيْدِهِ مِنْ كُلِّ يَدِ |

نصوص رديفة من
العصر الأندلسي



وصف الجبل ابن خفاجة

- 1 وَأَزَعَنَ طَمَاحَ الدَّوَابِّ بِادِخٍ يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ
- 2 يَسُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَيَزَحْمُ - لَيْلًا - شَهْبَةً بِالمَنَاكِبِ
- 3 وَقَوْرُ عَلَى ظَهْرِ الفَلَاةِ، كَأَنَّهُ طَوَالَ اللَّيَالِي مُفَكِّرٌ فِي العَوَاقِبِ
- 4 يَلُوتُ عَلَيْهِ العَيْمُ سَوْدَ عَمَائِمِ لَهَا مِنْ وَمِيضِ البَرَقِ حُمْرُ ذَوَائِبِ
- 5 أَصْحَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ أَخْرَسُ صَامِتٌ فَحَدَّثَنِي لَيْلُ السُّرَى بِالعَجَائِبِ
- 6 وَقَالَ: أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ قَاتِلِ وَمَوْطِنَ أَوَاهِ تَبَتَّلَ، تَائِبِ
- 7 وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبِ وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ
- 8 وَلَاطَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيحِ مَعَاظِفِي وَزَاخَمَ مِنْ حُضْرِ البِحَارِ عَوَارِبِي
- 9 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَتْهُمْ يَدُ الرَّدَى وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النُّوَى وَالنَّوَائِبِ
- 10 فَمَا حَفَقَ أَيْكِي غَيْرُ رَجْفَةٍ أَضْلَعِ وَلَا نَوْحُ وَرُقِي غَيْرُ صَرْحَةٍ نَادِبِ
- 11 وَمَا غَيْضَ السُّلْوَانُ دَمْعِي وَإِنَّمَا نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَابِ
- 12 فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى، وَيَطْعَنُ صَاحِبٌ أَوْدَعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آيِبِ؟
- 13 وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى الكَوَاكِبِ سَاهِرًا فَمِنْ طَالِعِ أُخْرَى اللَّيَالِي، وَغَارِبِ؟
- 14 فَرَحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعِ يَمِدُّ إِلَى نُعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ
- 15 فَأَسْمَعَنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ يُتَرَجَّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
- 16 فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي، وَسَرِّ بِمَا شَجَا وَكَانَ عَلَى عَهْدِ السُّرَى حَيْرَ صَاحِبِ
- 17 وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لَيْطِيَّةً: سَلَامًا! فَإِنَّا مِنْ مُقِيمِ وَذَاهِبِ

وَصْفُ بَرَكَةِ الْمُتَوَكِّلِ ابنِ حَمْدِيسَ

• الشاعر ابن حمديس يصف بركة المتوكل وما حولها من تماثيل، فيصف تماثيل الأسود وهي تقذف الماء من أفواهها:

- 1 وَصَرَاعِمٍ سَكَنْتْ عَرِينَ رِيَاةٍ تَرَكْتُ خَرِيرَ الْمَاءِ فِيهِ زَيْبِرَا
- 2 فَكَأَنَّمَا غَشَى النُّضَارُ جِسْمَهَا وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا الْبَلُّورَا
- 3 أُسْدٌ كَأَنَّ سَكُونَهَا مَتَحَرِّكٌ فِي النَّفْسِ، لَوْ وَجَدْتُ هُنَاكَ مَثِيرَا
- 4 وَتَذَكَّرْتُ فَتَكَاتِهَا فَكَأَنَّمَا أَقْعَعْتُ عَلَى أَدْبَارِهَا لَتَثُورَا
- 5 وَتَخَالُهَا وَالشَّمْسُ تَجْلُو لَوْنَهَا نَارًا، وَأَلْسِنَهَا اللَّوَاخِسَ نُورَا
- 6 فَكَأَنَّمَا سَلَّتْ سِيوْفَ جَدَاوِلٍ ذَابَتْ بِلا نَارٍ فَعَدُنَّ خَرِيرَا
- 7 وَكَأَنَّمَا نَسَجَ النَّسِيمُ لِمَائِهِ دِرْعًا، فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرَا
- 8 وَبَدِيعَةِ الثَّمَرَاتِ تَعْبُرُ نَحْوَهَا عَيْنَايَ بَحَرَ عَجَائِبِ مَسْجُورَا
- 9 شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ نَزَعَتْ إِلَى سِحْرِ يُوَثِّرُ فِي النَّهْيِ تَأْثِيرَا
- 10 قَدْ سَرَحَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا قَبَضَتْ بِهِنَّ مِنَ الْفَضَاءِ طَيْرَا

العودة إلى الوطن ابن حَمْدِسَ

- 1 أَخَذْتُ سَفَاقِسُ مِنْكَ عَهْدَ أَمَانٍ وَرَدَدْتُ أَهْلِيهَا إِلَى الْأَوْطَانِ
- 2 أَطَلَقْتَ بِالكَرَمِ الصَّرِيحِ سِرَاحَهُمْ فَرَعُوا بِقَاعِ الْعِزِّ بَعْدَ هَوَانِ
- 3 يَا يَوْمَ رَدَّهُمْ إِلَى أَوْطَانِهِمْ لَرَدَدْتُ أَرْوَاحًا إِلَى أَبْدَانِ
- 4 فَلَذُ الْقُلُوبِ إِلَى الْقُلُوبِ تَرَاجَعَتْ فِي مُلْتَقَى الْأَبَاءِ بِالْوَلْدَانِ
- 5 وَالْأُمَّهَاتُ عَلَى الْبَنَاتِ عَوَاطِفُ وَالْمُشْفِقَاتُ عَلَى اللَّدَاتِ حَوَانِ
- 6 سُرَّ الْقِرَابَةُ بِالْقِرَابَةِ مِنْهُمْ وَتَأَنَّسَ الْجَيْرَانُ بِالْجَيْرَانِ
- 7 وَتَزَاوَرَ الْأَحْبَابُ بَعْدَ قَطِيعَةٍ دَخَلَتْ بِذِكْرِ الْوَدِّ فِي النَّسِيَانِ
- 8 فِي كُلِّ بَيْتٍ نِعْمَةٌ وَمَسْرَةٌ شَرَبُوا سُلَافَتَهَا بِلَا كَيْزَانِ
- 9 وَدَعَاؤُهُمْ لَكَ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ حَتَّى لِضَاقِ بَعْرَضِهِ الْأُفْقَانِ
- 10 كَحَجِيجِ مَكَّةَ فِي ارْتِفَاعِ عَجِيجِهِمْ وَطَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

بين الشيخوخة والمرض ابن حَمَدِيسَ

- 1 كَمَلْتُ لِيَ الْخَمْسُونَ وَالْخَمْسُ ووقعتُ في مَرَضٍ له نَكْسُ
- 2 وَوَجِدْتُ بِالْأَضْدَادِ فِي جَسَدِي غُضُنُّ يَلِينُ وَقَامَةٌ تَقْسُو
- 3 وَابْيَضُّ مِنْ فُودِيٍّ مِنْ شَعْرِي وَخَفُّ كَأَنَّ سَوَادَهُ النَّفْسُ
- 4 وَالْعَمْرُ يُذْبَلُ فِي مَنَابِتِهِ غَرَسُ، وَيَلْبَسُ نُضْرَةً غَرَسُ
- 5 أَصْغَيْتُ لِلْأَيَامِ إِذْ نَطَقْتُ بِالْوَعْظِ وَهِيَ نَوَاطِقُ خَرَسُ
- 6 وَفَهَمْتُ بَعْدَ اللَّبْسِ مَا شَرَحْتُ وَالشَّرْحُ يَذْهَبُ عِنْدَهُ اللَّبْسُ
- 7 أَضْحَى بُوْحَشْتِي الْمَشِيبُ، وَلِي بَعْدَ الشَّبَابِ بِذِكْرِهِ أَنْسُ
- 8 وَمُسَايِرًا زَمْنَيْنِ فِي عُمْرِي مَصْبَاحُ ذَا قَمَرٍ، وَذَا شَمْسُ
- 9 دُنْيَا الْفَتَى تَفْنَى لَذَا خُلِقْتُ وَتَمُوتُ فِيهَا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ
- 10 إِنَّا لِأَدَمَ كُنَّا وَلَدُّ وَحِمَامُنَا بِحِمَامِهِ جِنْسُ
- 11 وَأَقْلُّ مَا يَبْقَى الْجِدَارُ إِذَا مَا انْهَدَّ تَحْتَ بِنَائِهِ الْأُسُّ
- 12 يَا رَبُّ إِنَّ النَّارَ عَاتِيَةٌ وَبِكُلِّ سَامِعَةٍ لَهَا حِسُّ
- 13 لَا تَجْعَلْنِ جَسَدِي لَهَا حَطْبًا فِيهِ تُحَرِّقُ مِنِّي النَّفْسُ
- 14 وَارْفُقْ بِعَبْدِي، لِحِطَّةُ جَزَعُ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَنُطْقُهُ هَمْسُ

وصفُ الشَّيخوخةِ ابنُ حَمْدِسَ

- 1 وكنْتُ إذا مرُضْتُ رجوتُ عيشًا لياليَ كنتُ في شَرخِ الشَّبَابِ
- 2 فصرْتُ إذا مرُضْتُ خشيْتُ موتًا وقلتُ: قد انقضى عدُّ الحسابِ
- 3 فنفسُ الشَّيخِ تضعُفُ كُلَّ حينٍ وقوَّتُهُ على طَرَفِ الذَّهَابِ
- 4 ولستُ مُصدِّقًا خدعِ الأمانِي وهَلْ توكي المَزَادُ على السَّرَابِ

يا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ ابن عبد ربّه

• أحب ابن عبد ربه الغناء والطرب في أيام شبابه، وذات يوم وقف تحت روشن لبعض الرؤساء، وقد رُشَّ بماءٍ، وكان فيه غناء حسنٌ، ولم يعرف لمن هو، فقال:

- | | | |
|---|---|---|
| 1 | يا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ | ما كُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا الْبُحَلَ فِي أَحَدِ |
| 2 | لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً | أَصَعَّتْ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ |
| 3 | لَوْلا اتَّقَانِي شَهَابًا مِنْكَ يَحْرِقُنِي | بِنَارِهِ لاسْتَرَقْتُ السَّمْعَ مِنْ بُعْدِ |
| 4 | لَوْ كَانَ زُرِّيَابٌ حَيًّا ثُمَّ أُسْمِعَهُ | لَذَابَ مِنْ حَسَدٍ أَوْ مَاتَ مِنْ كَمَدِ |
| 5 | فَلا تَضِنَّنَّ عَلَيَّ سَمْعِي تُقْلِدُهُ | صَوْتًا يَجُولُ مَجَالَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ |
| 6 | أَمَّا الْحَرَامُ: فَإِنِّي لَسْتُ أَشْرَبُهُ | وَلَسْتُ آتِيكَ إِلَّا كِسْرَتِي بِيَدِي |

طُويْتُ زَمَانِي ابن عبد ربه

• آخر شعر قاله:

- 1 كِلَانِي لِمَا بِي عَادَلِي كَفَانِي طُويْتُ زَمَانِي بُرْهَةً وَطَوَانِي
- 2 بَلِيْتُ وَأَبْلَثْنِي اللَّيَالِي بِكْرَهَا وَصَرْفَانِ لِأَيَّامِ مُعْتَوِرَانِ
- 3 وَمَالِي لَا أَبْكِ لِسَبْعِينَ حَجَّةً وَعَشْرٍ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا سَتَانِ؟
- 4 فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ تَبَارِيحِ عِلَّتِي وَدُونَكُمْ مَنِي الَّذِي تَرَيَانِي
- 5 وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ رَاجٍ لِفَضْلِهِ وَلِي مِنْ ضَمَانِ اللَّهِ خَيْرُ ضَمَانِ
- 6 وَلَسْتُ أَبَالِي عَنْ تَبَارِيحِ عِلَّتِي إِذَا كَانَ عَقْلِي بَاقِيًا وَلِسَانِي
- 7 هُمَا مَا هُمَا فِي كُلِّ حَالٍ تُلْمُ بِي فَذَا صَارِمِي فِيهَا، وَذَاكَ سِنَانِي

وصف الطبيعة الغناء* ابن سهيل

- 1 الأرضُ قد لبستِ رداءً أخضراً والطلُّ ينثرُ في رباها جوهراً
- 2 هاجتْ فخلتُ الزَّهرَ كافوراً بها وحسبتُ فيها التُّربَ مسكاً أذفراً
- 3 و كأنَّ سوسنَها يصفحُ وردَها ثغرٌ يُقبَلُ منه خدًا أحمرًا
- 4 والنهرُ ما بينَ الرِّياضِ تخالهُ سيفًا تعلقَ في نجادٍ أخضرا
- 5 و جرتْ بصفحتِه الصِّبا فحسبتُها كفاً تنمُّ في الصَّحيفةِ أسطرا
- 6 وكأنَّه إذ لاحَ ناصعُ فضةٍ جعلته كُفَّ الشَّمسِ تبرًا أصفرا
- 7 أو كالخدودِ بدتْ لنا مُبيضةً فارتدَّ بالخبَلِ البياضُ معصفرا
- 8 والطيرُ قد قامتْ عليه خطيبةً لم تتخذُ إلا الأراكَةَ منبرا

* ديوان ابن سهيل، دار صادر، بيروت، الصفحة 361.

وصفُ النَّهْرِ* ابنُ سُهَيْلٍ

- 1 لَلَّهِ نَهْرٌ مَا رَأَيْتُ جَمَالَهُ إِلا ذَكَرْتُ لَدَيْهِ نَهْرَ الْكُوْثِرِ
- 2 وَ الشَّمْسُ قَدْ أَلْقَتْ عَلَيْهِ رِداءَهَا فَتَراهُ يَرفُلُ فِي قَمِيصِ أَصْفَرِ
- 3 وَالطَّيْرُ قَدْ غَنَّتْ لِشَطْحِ رِواقِصِ فِوقَ الغَدِيرِ جَرَرْنَ ثِوبَ تَبخَتِرِ
- 4 وَ كَأَنَّمَا أَيَدِي الرِّبَيعِ عَشيَّةً حُلِيِّنَ لِبَاتِ الغِصونِ بِجِوهِرِ
- 5 وَ كَأَنَّ خُضَرَ ثِمَارِهِ وَبِياضَهُ ثَغْرٌ تَبَسَّمَتْ حَتَّى حَدِّ مَعذِرِ

* ديوان ابن سهيل، دار صادر، بيروت، الصفحة 661.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ* أَبُو الْبَقَاءِ الرَّنْدِيِّ

• نظم قصيدته هذه بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية، مستنصراً أهل العدة الإفريقية من المرينيين عندما أخذ ابن الأحمر محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وأملاً في أن يُبقي ذلك على حكمه غير المستقر في غرناطة، وتعرف قصيدته بمرثية الأندلس.

- | | | |
|----|---|---|
| 1 | لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ | فلا يُغَرِّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ |
| 2 | هي الأمور كما شاهدتها دُولُ | مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ |
| 3 | وهذه الدَّارُ لا تُبْقِي على أَحَدٍ | ولا يدومُ على حَالٍ لها شَانُ |
| 4 | أَيْنَ الْمَلُوكُ ذَوُو التَّيْجَانِ مِنْ يَمِينِ | وأين منهم أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ؟ |
| 5 | وأينَ ما شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرِمِ | وأينَ ما سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ؟ |
| 6 | وأينَ ما حَازَهُ قَارُونٌ مِنْ ذَهَبِ | وأينَ عَادُ وَشَدَادُ وَقِحْطَانُ؟ |
| 7 | أتى على الكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ له | حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ ما كَانُوا |
| 8 | وصارَ ما كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكِ | كما حَكَى عن خِيَالِ الطَّيْفِ وَسِنَانِ |
| 9 | فجائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ | وللزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ |
| 10 | دهى الجزيرةَ أَمْرٌ لا عِزَاءَ له | هوى له أَحَدٌ وَأَنهَدَّ ثَهْلَانُ |
| 11 | فاسألْ بِلَنْسِيَّةَ ما شَأْنُ مُرْسِيَّةِ | وأينَ شَاطِبَةُ أَمْرٍ أَيْنَ جَيَّانُ |
| 12 | وأينَ قُرْطَبَةُ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمِ | مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا له شَانُ |
| 13 | وأينَ حِمصٌ وما تحويه مِنْ نُزِهِ | ونهرها العَدْبُ فَيَاضٌ وَمَلَانُ |
| 14 | قواعدٌ كُنَّ أركانَ البلادِ فما | عسى البقاءُ إِذَا لَمْ تَبَقَّ أركانُ |
| 15 | تبكي الحَنيفِيَّةُ البِيضاءَ مِنْ أَسْفِ | كما بكى لِفراقِ الإلِفِ هِيْمَانُ |

* أبو البقاء صالح بن يزيد بن صالح الرندي الأندلسي (106-486 هـ الموافق: 4021-5821م) هو من أبناء (رندة) قرب الجزيرة الخضراء بالأندلس وإليها نسبته.

- 16 حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهنّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
- 17 حتّى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ
حتّى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ
- 18 كمّ يستغيثُ بنا المُستضعفونَ وهُمّ
قتلى وأسرى فما يهتُرُ إنسانُ؟
- 19 فلو تراهم حيارى لا دليلَ لَهُمّ
عليهمُ من ثيابِ الذلِّ ألوانُ
- 20 ولو رأيتَ بُكاهم عندَ بيعهمُ
لهالك الأمرُ واستهوتك أحزانُ
- 21 يا رَبَّ أُمَّ وطفلٍ حيلَ بينهما
كما تفرَّقَ أرواحُ وأبدانُ
- 22 وطفلةٍ مثلَ حُسنِ الشَّمسِ إذ طلعتُ
كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
- 23 يقودُها العُلجُ للمكروهِ مُكرهَةً
والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
- 24 ليمثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كَمَدٍ
إن كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

أَبَدْتُ لَنَا الْأَيَّامَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ زَنْبَاعٍ

• بهذه الأبيات الرائعة يصف القاضي أبو الحسن بن زنباع قصة الطبيعة وفعل السحاب والأمطار في الأرض التي تتسربل بعدهما بحلتها الجميلة فتفتتح أزهارها وتنضج ثمارها.

- | | | |
|----|---|---|
| 1 | أَبَدْتُ لَنَا الْأَيَّامَ زَهْرَةَ طَيِّبِهَا | وتسربلتُ بنضيرِها وقشيبِها |
| 2 | واهتزَّ عَطْفُ الْأَرْضِ بَعْدَ خَشْوَعِهَا | وبدَّتْ بِهَا النِّعْمَاءُ بَعْدَ شَحْوِهَا |
| 3 | وتطلَّعتْ فِي عَنفوانِ شَبَابِهَا | مَنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عَتِيَّ مَشِيبِهَا |
| 4 | وَقَفَّتْ عَلَيْهَا السُّحُبُ وَقَفَّةً رَاحِمِ | فبَكَتْ لَهَا بَعْيُونِهَا وَقَلْوِهَا |
| 5 | فَعَجَبْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضاحَكْتُ | بِبِكَائِهَا وَتَبَشَّرْتُ بِقَطْوِهَا |
| 6 | وتسربلتُ حُللاً تَجَرُّ ذِيولِهَا | من لَدِمِها فِيها وَشَقَّ جِيوِهَا |
| 7 | فلقد أَجَادَ المَزْنَ فِي إِنْجادِها | وأجادَ حَرُّ الشَّمْسِ فِي تَرْبِيها |
| 8 | ما أَنْصَفَ الخَيْرِيُّ يَمْنَعُ طَيِّبُهُ | لحضورِها وَيَبِيحُهُ لَمغِيها |
| 9 | وهي الَّتِي قامَتْ عَلَيْهِ بِدْفِئِها | وتعاهدتُهُ بِدُرِّها وحليِها |
| 10 | فكأنَّهُ فَرَضَ عَلَيْهِ مَوْقَتُ | ووجوبُهُ مُتعلِّقٌ بوجوبِها |
| 11 | وعلى سماءِ الياسمينِ كواكبُ | أَبَدْتُ ذِكاءَ العَجزِ عَن تَغْيِيها |
| 12 | زَهْرٌ تُؤَقَّتُ ليلِها ونهارِها | وتفوتُ شأوَ خَسوفِها وغروبِها |
| 13 | فتأرَّجتْ أَرْجاءُها بهبوبِها | وتعانقتْ أَزهارُها بنكوبِها |
| 14 | وتصوَّبَتْ فِيها فروعُ جداولِ | تتصاعدُ الأَبصارُ فِي تصوِيها |
| 15 | تطفو وترسبُ فِي أَصولِ ثمارِها | والحُسنُ بَيْنَ طُفُوها ورسوبِها |
| 16 | أَوْ ما تَرى الأَزْهارَ ما مِن زَهْرَةٍ | إِلَّا وَقَد رَكِبَتْ فِقارَ قضيِها |

فيما مضى كنتُ بالأعيادِ مسرورا

المعتمد

• في (أغمات) عاش المعتمد كاسف البال، كسير القلب، يُعامل معاملة سيئة، ويتجرع مرَّ الهوان، ليس بجانبه من يخفف عنه مأساته، ويطارحه الحديث؛ فتأنس نفسه وتهداً. ينظر إلى بناته الأقمار؛ فيشقيه أنهن يغزلن ليحصلن على القوت، ولكنه كان يتجلد ويتذرع بالصبر، ويلجأ إلى شعره، فينفس عن نفسه بقصائد مُشجبة مؤثرة. تدخل عليه بناته السجن في يوم عيد، فلما رآهن في ثياب رثة، تبدو عليهن آثار الفقر والفاقة؛ انسابت قريحته بشعر شجي حزين:

- | | | |
|----|--|--------------------------------------|
| 1 | فيما مضى كُنتُ بالأعيادِ مسرورا | وكانَ عيدُكَ باللذاتِ معمورا |
| 2 | وَكُنتَ تحسبُ أَنَّ العيدَ مَسعِدَةٌ | فساءَكَ العيدُ في أَغماتِ مأسورا |
| 3 | تري بناتِكَ في الأطمارِ جائعَةً | في لبسهنَّ رأيتَ الفقرَ مسطورا |
| 4 | معاشهنَّ بعيدِ العزِّ مُمتهنُّ | يغزِلنَ للناسِ لا يملِكَنَ قِطميرا |
| 5 | بَرَزْنَ نحوَكَ للتَّسليمِ خاشعَةً | عيونهنَّ فعادَ القلبُ موتورا |
| 6 | قد أَغمَضتَ بعدَ أَنَّ كانتَ مُفترَّةً | أبصارهنَّ حَسيراتِ مكاسيرا |
| 7 | يَطانُ في الطينِ والأقدامِ حافيةً | تشكو فراقَ حذاءٍ كانَ موفورا |
| 8 | قد لَوَّتْ بيدا الأقداءِ واتَّسختْ | كأنَّها لَم تَطَأَ مِسْكا وكافورا |
| 9 | لا حَدَّ إِلا ويشكو الجذبَ ظاهرُهُ | وقبلَ كانَ بماءِ الوَرْدِ مغمورا |
| 10 | لكنَّهُ بسيلولِ الحُزْنِ مُخرقٌ | وليسَ إِلا معَ الأنفاسِ ممطورا |
| 11 | أفطرتَ في العيدِ لا عادتَ إِساءتُهُ | ولستَ يا عيدُ مِنِّي اليومَ مَعذورا |
| 12 | وَكُنتَ تحسبُ أَنَّ الفِطْرَ مُبتَهَجٌ | فعادَ فِطْرُكَ للأكبَادِ نَفطيرا |
| 13 | قد كانَ دهرُكَ إِذْ تَأمرُهُ مُمتثلاً | لَمَّا أَمَرْتَ وكانَ الفِعلُ مبرورا |
| 14 | وَكَمَ حكمتَ على الأقوامِ في صلفِ | فردَكَ الدَّهرُ مَضنهيًا ومأمورا |
| 15 | مَنْ باتَ بعدَكَ في مُلكٍ يُسرُّ بهِ | أَوْ باتَ يَهناً باللذاتِ مسرورا |
| 16 | ولم تَعظُهُ عوادي الدَّهرِ إِذْ وَقَعَتْ | فإنَّما باتَ في الأحلامِ مَغرورا |

أَبَى الْبَرْقِ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ فَوْادُ ابن خفاجة

- | | | |
|----|--|---|
| 1 | أَبَى الْبَرْقِ إِلَّا أَنْ يَحِنَّ فَوْادُ | وَيَكْحَلُ أَجْفَانَ الْمَحَبِّ سُهَادُ |
| 2 | فَبِتُّ وَلِي مَنْ قَانِيءِ الدَّمْعِ قَهْوَةٌ | تُدارُ وَمِنْ إِحْدَى يَدَيَّ وَسَادُ |
| 3 | تَنوُحُ لِي الْوَرَقَاءُ وَهِيَ خَلِيَةٌ | وَيَنْهَلُ دَمْعُ الْمُزْنِ وَهُوَ جَمَادُ |
| 4 | وَقَدْ كَانَ فِي حَدْيِّ لِلشُّهْبِ مَلْعَبُ | فَقَدْ صَارَ فِيهِ لِلوَرَادِ طِرَادُ |
| 5 | وَلَيْلٍ كَمَا مَدَّ الْغُرَابُ جَنَاحَهُ | وَسَالَ عَلَى وَجْهِ السَّجَلِ مَدَادُ |
| 6 | بِهِ مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ وَاللَّيْلِ فَحَمَةٌ | شَرَارٌ تَرَامُوا وَالْغَمَامُ زِنَادُ |
| 7 | سَرِيْتُ بِهِ أَحْيِيهِ لَا حِيَّةُ السُّرَى | تَمَوْتُ وَلَا مَيْتُ الصَّبَاحِ يَعَادُ |
| 8 | يُقَلِّبُ مِنِّي الْعَرَمُ إِنْسَانَ مُقَلَّةً | لَهَا الْأَفْقُ جَفْنٌ وَالظَّلَامُ سَوَادُ |
| 9 | بَخْرِقِ لِقَلْبِ الْبَرْقِ خَفَقَهُ رَوْعَةٌ | بِهِ وَلَجَفَنِ النَّجْمِ فِيهِ سُهَادُ |
| 10 | سَحِيقٍ وَلَا غَيْرَ الرِّيَّاحِ رَكَائِبُ | هَنَّاكَ وَلَا غَيْرَ الْغَمَامِ مَزَادُ |
| 11 | كَأَنِّي وَأَحْشَاءُ الْبِلَادِ تَجُنُّنِي | سَرِيرَةٌ حُبٌّ وَالظَّلَامُ فَوْادُ |
| 12 | أَجُوبُ جِيُوبَ الْبَيْدِ وَالصَّبْحُ صَارِمٌ | لَهُ اللَّيْلُ غِمْدٌ وَالْمَجْرُ نَجَادُ |
| 13 | وَفِي مُصْطَلَى الْأَفَاقِ جَمْرٌ كَوَاكِبُ | عَلَاهَا مِنَ الْفَجْرِ الْمُطَّلُ رِمَادُ |
| 14 | وَلَمَّا تَفَرَّى مِنْ دُجَى اللَّيْلِ طَحَلِبُ | وَأَعْرَضَ مِنْ مَاءِ الصَّبَاحِ ثِمَادُ |
| 15 | حَنَنْتُ وَقَدْ نَاحَ الْحَمَامُ صَبَابَةً | وَشُقِّقَ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ حِدَادُ |
| 16 | عَلَى حِينَ شَطَّتْ بِالْحَبَائِبِ نَيْتُهُ | وَحَالَتْ فَيَافٍ بَيْنَنَا وَبِلَادُ |
| 17 | عَشِيَّةٌ لَا مِثْلَ الْجَوَادِ ذَخِيرَةٌ | وَلَا مِثْلَ رَقْرَاقِ الْحَدِيدِ عَتَادُ |
| 18 | إِذَا زَارَ حَطْبُ حَفَرْتَنِي ثَلَاثَةً: | سِنَانٌ وَعَعْضَبٌ صَارِمٌ وَجَوَادُ |
| 19 | فَبِتُّ وَلَا غَيْرَ الْحُسَامِ مُضَاجِعُ | وَلَا غَيْرَ ظَهْرِ الْأَعُوجِيِّ مِهَادُ |
| 20 | مَعَانِقُ خِلٍّ لَا يُخِلُّ وَإِنَّمَا | مَكَانُ ذِرَاعِيهِ عَلَيَّ نِجَادُ |

وصهوة عزمٍ قد تمطيت ابن خفاجة

- 1 وصهوة عزمٍ قد تمطيت والدُّجى مُكِبُّ كَأَنَّ الصَّبْحَ فِي صَدْرِهِ سِرُّ
- 2 وقد أَلْحَفْتَنِي شَمَلَةَ الظِّلِّ شَمَالٌ يُقْلِقُلُ أَحْشَاءَ الأَرَاكِ بِهَا دُعْرُ
- 3 وَأَشْرَفَ طَمَّاحُ الذُّؤَابَةِ شَامِخٌ تَنْطَقُ بِالجِوْزَاءِ لَيْلًا لَهُ خَصْرُ
- 4 وَقَوْرٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَنَّمَا يُصِيحُ إِلَى نَجْوَى وَفِي أُذُنِهِ وَقْرُ
- 5 تَمَهَّدَ مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ رِكَانَةً فَقَطَّبَ إِطْرَاقًا وَقَدْ ضَحِكَ البَدْرُ
- 6 وِلَادًا بِهِ نَسْرُ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا يَحِنُّ إِلَى وَكْرٍ بِهِ ذَلِكَ النَّسْرُ
- 7 فَلَمَّ أَدْرٍ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وَسَكِينَةٍ أَكْبَرُهُ سِنٍ وَقَرَّتْ مِنْهُ أُمُّ كَبْرُ؟

ومفازة لا نجم في ظلماتها ابن خفاجة

- 1 وَمَفَاذِهِ لَا نَجْمَ فِي ظَلَمَاتِهَا يَسْرِي وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَارُ
- 2 تَتَلَهَّبُ الشُّعْرَى بِهَا وَكَأَنَّهَا فِي كَفِّ زَنْجِيِّ الدُّجَى دِينَارُ
- 3 تَرْمِي بِهِ الْغَيْطَانُ فِيهَا وَالرُّبَى دَوْلًا كَمَا يَتَمَوَّجُ التِّيَارُ
- 4 قَدْ لَفَّنِي فِيهَا الظُّلَامُ وَطَافَ بِي ذَنْبٌ يَلْمُ مَعَ الدُّجَى زَوَارُ
- 5 طَرَائِقُ سَادَاتِ الدِّيَارِ مُسَاوِرُ خَتَّالُ أَبْنَاءِ السُّرَى غَدَارُ
- 6 يَسْرِي وَقَدْ نَضَحَ النَّدى وَجَهَ الصَّبَا فِي فَرَوَةٍ قَدْ مَسَّهَا اقْشِعْرَارُ
- 7 فَعَشَوْتُ فِي ظُلْمَاءٍ لَمْ تَقْدَحْ بِهَا إِلَّا لِمُقْلَتِهِ وَبِأَسِي نَارُ
- 8 وَرَفَلْتُ فِي خَلْعٍ عَلَيَّ مِنَ الدُّجَى عَقَدَتْ لَهَا مِنْ أَنْجَمِ أَرْزَارُ
- 9 وَاللَّيْلُ يَقْصُرُ خَطْوَهُ وَلرَبِّمَا طَالَتْ لِيَالِي الرُّكْبِ وَهِيَ قِصَارُ
- 10 قَدْ شَابَ مِنْ طَرَفِ الْمَجْرَةِ مَفْرُقُ فِيهَا وَمِنْ خَطِّ الْهَلَالِ عِدَارُ

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا *

ابن زيدون

- | | | |
|----|----------------------------------|---|
| 1 | أضحى التناهي بديلاً من تدانينا | وَنَابَ عَن طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا |
| 2 | ألا وقد حان صبح البين صبحنا | حَيْنُ فِقَامِ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا |
| 3 | من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم | حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى وَيُئَلِينَا |
| 4 | أن الزمان الذي مازال يضحكنا | أُنْسًا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُيَكِينَا |
| 5 | غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا | بِأَنْ نَعَصَّ فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا |
| 6 | فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا | وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا |
| 7 | وقد نكون وما يخشى تفرقنا | فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا |
| 8 | يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم | هَلْ نَالَ حَظًّا مَنِ العُتْبَى أَعَادِينَا |
| 9 | لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم | رَأْيَا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا |
| 10 | ما حققنا أن تفرؤا عين ذي حسد | بِنَا وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا |
| 11 | كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه | وَقَدْ يَيْئَسُنَا فَمَا لِلْيَاسِ يُعْرِينَا |
| 12 | بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا | شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفْتُ مَاقِينَا |
| 13 | نكاد حين تواجيكم صمائرننا | يَقْضِي عَلَيْنَا الأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا |
| 14 | حالت لفقدكم أيامنا فعدت | سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لِيَالِينَا |
| 15 | إذ جانب العيش طلق من تألفنا | وَمَرَبِعُ اللّٰهُوَ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا |
| 16 | وإذ هصرنا فنون الوصل دانية | قِطَافُهَا فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا |
| 17 | ليسقي عهدكم عهد السرور فما | كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا |

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 9.

- 18 لا تَحَسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُعَيِّرُنَا
أَنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا!
- 19 وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤَنَا بَدَلًا
مِنْكُمْ وَلَا انصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
- 20 يَا سَارِي الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ وَاسْقِ بِهِ
مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوُدَّ يَسْقِينَا
- 21 وَاسْأَلْ هُنَالِكَ: هَلْ عَنَى تَذَكُّرُنَا
إِلْفًا تَذَكُّرُهُ أَمْسَى يُعَيِّنُنَا؟
- 22 وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتِنَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
- 23 فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مَسَاعِفَةً
مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَبًّا تَقَاضِينَا
- 24 رَبِيبُ مُلْكٍ كَأَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَهُ
مِسْكًَا وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينَا
- 25 أَوْ صَاعَهُ وَرَقًّا مَخْضًا وَتَوَجَّهَهُ
مِنْ نَاصِعِ التَّبْرِ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينَا
- 26 إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاهِيَّةً
تَوْمَرُ الْعُقُودِ وَأَدْمَتَهُ الْبُرَى لِينَا
- 27 كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِئْرًا فِي أَكْلِيَّتِهِ
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحْيِينَا
- 28 كَأَنَّمَا أَثْبَتَتْ فِي صَخْنٍ وَجْنَتِهِ
زُهْرُ الْكُوكَبِ تَعْوِيدًا وَتَرْيِينَا
- 29 مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ نَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرْفًا
وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَافِينَا؟
- 30 يَا رَوْضَةً طَالَمَا أَجْنَتْ لَوَاحِظِنَا
وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنَسْرِينَا
- 31 وَيَا حَيَاةً تَمَلِّينَا بِزَهْرَتِهَا
مُنَى ضُرُوبًا وَلِدَاتٍ أَفَانِينَا
- 32 وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ
فِي وَشِي نُعْمَى سَحَبِنَا ذَيْلَهُ حِينَا
- 33 لَسْنَا نُسَمِّيكِ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً
وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلِي عَنِ ذَاكَ يُغْنِينَا
- 34 إِذَا انْفَرَدَتْ وَمَا شُورِكْتِ فِي صِفَةٍ
فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينَا

إني ذكرك بالزهراء مشتاقا*
ابن زيدون

- | | | |
|----|----------------------------------|----------------------------------|
| 1 | إني ذكرك بالزهراء مشتاقا | والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا |
| 2 | وللنسيم اغتلال في أصائله | كأنه رق لي فاعتل إشفاقا |
| 3 | والروض عن مائه الفضي مبتمم | كما شقت عن اللبات أطواقا |
| 4 | يوم كأيام لذات لنا انصرفت | بثنا لها حين نام الدهر سراقا |
| 5 | نلهو بما يستميل العين من زهر | جال الندى فيه حتى مال أعناقا |
| 6 | كأن أعينه إذ عاينت أرقى | بكت لما بي فجال الدمع رفاقا |
| 7 | ورد تالق في ضاحي منابته | فازداد منه الضحى في العين إشراقا |
| 8 | سرى ينافحه نيلوفر عبق | وسنان نبه منه الصبح أحداقا |
| 9 | كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا | إليك لم يعد عنها الصدر أن ضاقا |
| 10 | لا سکن الله قلبا عقی ذکرکم | فلم يطرب جناح الشوق خفاقا |
| 11 | لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى | وفاكم بفتى أضناه ما لاقى |
| 12 | لو كان وقى المني في جمعنا بكم | لكان من أكرم الأيام أخلاقا |
| 13 | يا علقى الأخطر الأسنى الحبيب إلى | نفسى إذا ما اقتنى الأحباب أعلقا |
| 14 | كان التجاري بمحض الود مذ زمن | ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا |
| 15 | فالآن أحمد ما كنا لعهدكم | سلوتم وبقينا نحن عشاقا! |

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 64.

شكوى وعتاب* ابن زيدون

- | | | |
|----|-------------------------------|-----------------------------|
| 1 | ما على ظنني بأس | يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَاسُو |
| 2 | رُبَّما أَشْرَفَ بِالْمَرِّ | ءِ عَلَى الْأَمَالِ يَاسُ |
| 3 | وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إِغْفَا | لُ وَيُرْدِيكَ احْتِرَاسُ |
| 4 | والمحاذيرُ سهامٌ | والمقاديرُ قياسُ |
| 5 | ولگم أجدى قعودٌ | ولگم أكدي التماسُ |
| 6 | وكذا الدهرُ إذا ما | عَزَّ نَاسٌ ذَلَّ نَاسٌ |
| 7 | وبنو الأيامِ أخيا | قُ: سَراهُ وَخِساسُ |
| 8 | نَلَبَسُ الدُّنْيَا وَلَكِنْ | مَتَعَةٌ ذَاكَ اللَّباسُ |
| 9 | يا أبا حَفْصٍ وَمَا ساوا | كَ فِي فَهْمٍ إِياسُ |
| 10 | مِنْ سَنا رَأَيْكَ لِي فِي | غَسَقِ الخَطْبِ اقْتِباسُ |
| 11 | وَوِدادِي لَكَ نَصٌّ | لَمْ يُخَالِفُهُ قِياسُ |
| 12 | أنا حَيْرانٌ وَلِالأَمْرِ | وُضُوحُ والتِّباسُ |
| 13 | ما تَرى فِي مَعْشَرٍ حا | لِوا عَنِ العَهِدِ وخاسِوا |
| 14 | وَرَأونِي سامِريًّا | يُتَّقِي مِنْهُ المَساسُ |
| 15 | أذُوبُ هَما تَ بلحَمِي | فانْتِهاشُ وانْتِهاسُ |
| 16 | كُلُّهُمُ يَسألُ عَنِ حا | لِي وَلِلدُّنْبي اِعْتِساسُ |
| 17 | إِنْ قَسا الدَّهْرُ فَلِما | ءِ مِنَ الصَّخْرِ انبِجاسُ |
| 18 | وَلَئِنْ أَمَسَيْتُ مَحَبو | سًا فَلِلْعَينِ اِحْتِباسُ |
| 19 | يَلبُدُ الوَرْدُ السَّبَنْتِي | وَلَهُ بَعْدُ اِفْتِراسُ |

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 18.

- 20 فتأمل! كيف يغشى مقلّة المجدِ النُّعاسُ؟
- 21 ويفتُّ المسكُ في التُّربِ فَيَوطا وَيُـداسُ؟
- 22 لا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًا إِنَّ عهدي لك أسُ
- 23 وَأِدِرْ ذكري كَأَسَا ما امتطتُ كَفَّكَ كاسُ
- 24 واغتنمِ صَفْوَ اللَّيالي إِنَّمَا العَيْشُ اخْتِلاسُ
- 25 وَعَسَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْ رُ فَقَدْ طالَ الشَّماسُ

من مَبْلُغِ عَنِّي الْبَدْرِ الَّذِي كَمَلَا *
ابن زيدون

- | | | |
|---|--|---|
| 1 | مَنْ مَبْلُغُ عَنِّي الْبَدْرِ الَّذِي كَمَلَا | في مطلع الحُسْنِ والغصنِ الَّذِي اعتدلا |
| 2 | أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ | إِلَيَّ مُرْتَهَنٌ شَكْرِي بِمَا فَعَلَا |
| 3 | أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبَدَى الْجَفَاءَ لَنَا | فَمَا رَأَيْنَا قِلاَهُ حَادِثًا جَلَلَا |
| 4 | وَلَمْ نَزِدْ أَنْ ظَفَرْنَا مِلاءَ أَعْيُنِنَا | بِالْمُشْتَرِي فَتَجَنَّبْنَا لَهُ زُحَلَا |
| 5 | أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَا زِلْتَ أُحِفُّهُ | ظِلَّ الْهَوَى وَأَسْقِيهِ الرِّضَا عَلَلَا |
| 6 | هَذِي الْحَقِيقَةُ لَا قَوْلِي مُخَادَعَةٌ | لَوْ كَانَ قَوْلُكَ: مُتَّ مَا كَانَ رَدِّي: لَا! |

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 07.

نصوص رديفة من
الموشحات



موشح

للشاعر (أبو الحسن علي بن مهلهل الجيلاني)

النَّهْرُ سَلَّ حُسَامًا على قُدُودِ الغُصُونِ

وللنَّسِيمِ مَجَالُ

والرَّوْضُ فِيهِ اخْتِيَالُ

مَدَّتْ عَلَيْهِ ظِلَالُ

والزَّهْرُ شَقَّ كَمَا مَا وَجَدًا بِتِلْكَ اللُّحُونِ

أما ترى الطَّيْرَ صَاحَا

والصُّبْحُ فِي الأفقِ لَاحَا

والزَّهْرُ فِي الرَّوْضِ فَاحَا

والبَرْقُ سَاقَ الغَمَامَا تبكي بِدَمْعٍ هَتُونُ



شِعْرُ التَّفْعِيلَةِ

مقدمة عن قصيدة التفعيلة (الشعر الحر)

حافظت القصيدة العربية على شكلها القديم زمنًا طويلًا، فقد اكتمل إطارها في الجاهلية، وانسابت عبر العصور الإسلامية ناضجةً قويةً، تكسوها قيمٌ جماليةٌ راسخةً، إلى أن تصدى لهذا الإطار أبو نواس، بدعوى صريحة إلى تجاوز الوقوف على الأطلال ووصف الصحراء... والابتداء بالعرض مباشرةً، وهذا يشير بوضوح إلى حركة تجديد بدأت في العصر العباسي، وطاق الأندلسيون بالوزن والقافية فاخترعوا الموشحات والمُخَمَّسات، استجابةً لروح العصر.

خاض الوطن العربي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين نهضةً أدبيةً، حاكث فحول الشعر العربي، كالمُتنبّي وأبي تمام، كما أحدثت مدارس أدبيةً متأثرةً بالأدب الغربي، فكانت المدرسة الرومانسية التي طوّرت في الوزن والقافية. أما الثورة الحقيقية التي تجاوزت الوزن والقافية معًا في الشعر العربي المعاصر، وامتدت إلى المضمون، فقد صاحبت الشعر الجديد (شعر التفعيلة) أو ما يحلو لبعضهم أن يُسموه بالشعر (الحرّ)، فكان أكبر ظاهرة أدبية في تاريخ أدبنا العربي على مرّ عصوره المديدة، ظاهرةً أحدثت قيمًا جماليةً تختلف اختلافًا كبيرًا عن القيم الجمالية الموروثة لأدبنا القديم، وأدبنا المعاصر الذي سار على منواله. وما استمد الشعر الجديد (شعر التفعيلة)، ولا أنصاره قوتهم من خارجه، بل اعتمد على بنائه الذاتي مصدرًا لنجاحه؛ ليثبت أحييته للحياة في صراع البقاء الذي لا يعترف بالضعيف.

وقد اتسم شعر (التفعيلة) من حيث المضمون بالتعبير عن الواقع، والتجديد في أغراض الشعر؛ إذ اهتم الشعراء بالقضايا الإنسانية والاجتماعية والوطنية، واتسم من حيث الشكل ببناء القصيدة على وحدة (التفعيلة)، وحلول السطر الشعري محل البيت الشعري ذي الشطرين، وعدم الالتزام بالقافية الواحدة، والاهتمام بالإيحاء، وبالخيال الممتد المنتج للصورة الشعرية، والميل إلى الرمز، والغموض الشاف حينًا والمبهم أحيانًا، والموسيقا الداخلية التي تساوي انفعال الشاعر، ونفسه، وفكرته، طولًا وقصرًا، وشدةً وارتخاءً، والطاقة الشعورية المستمدة من سياق الكلمات.

وتصدّر رواد الشعر الجديد في أواخر خمسينات القرن الماضي بدرُّ شاكر السيّاب، ونازك الملائكة، والبياتي في العراق، وفدوى طوقان، ومحمود درويش، وسميح القاسم في فلسطين،

وصلاحُ عبدِ الصَّبورِ وأحمدُ عبدِ المُعطي حجازي وأملُ دنقلَ في مصرَ، ومحمَّدُ الفيتوريُّ في السودانِ، ومِن شُعراءِ دولةِ الإماراتِ العربيَّةِ المُتَّحدةِ الَّذينَ كتبوا قصيدةَ (التَّفعيلة): حبيبُ الصَّايغِ، وناصرُ النُّعيميِّ، وظاعنُ شاهينَ، وشهابُ غانمِ، وعارفُ الخاجةِ، وسلطانُ خليفةِ الحبتورِ، وصالحَةُ غابشِ، وعبدُ الكريمِ معتوقِ، وإبراهيمُ محمَّدِ إبراهيمِ.

ياليل، دعني فاروق جويدة

يا لَيْلُ لا تَعْتَبِ عَلَيَّ إِذَا رَحَلْتُ مَعَ النَّهَارِ
فالنَّوْرُسُ الحَيْرَانُ عَادَ لِأَرْضِهِ مَا عَادَ يَهْفُو لِلْبِحَارِ
وَأَنَامِلُ الأَيَّامِ يَحْنُو نَبْضُهَا
حَتَّى دُمُوعُ الأَمْسِ مِنْ فَرَحِي تَغَارُ
وَقَمِي تُعَانِقُهُ ابْتِسَامَاتُ هَجْرَنَ العُمْرِ حَتَّى إِنِّي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُهَا تَحِنُّ إِلَى المَرَارِ
فَالضُّوءُ لَاحَ عَلَى ظِلَالِ العُمْرِ فَانْبَثَقَ النَّهَارُ
يا لَيْلُ لا تَعْتَبِ عَلَيَّ
فَلَقَدْ نَزَفْتُ رَحِيقَ عُمْرِي فِي يَدَيْكَ
وَشَعَرْتُ بِالآلِمِ العَمِيقِ يَهْزُنِي فِي رَاحَتَيْكَ
وَشَعَرْتُ أَنِّي طَالَمَا أَلْقَيْتُ أَحْزَانِي عَلَيْكَ
الآنَ أَرْحَلُ عَنْكَ فِي أَمَلٍ جَدِيدِ
كَمْ عَاشَتِ الأَمَالَ تَرْقُصُ فِي حَيَالِي مِنْ بَعِيدِ
وَقَصَيْتُ عُمْرِي كَالصَّغِيرِ
يَشْتاقُ عِيدًا. أَيُّ عِيدِ
حَتَّى رَأَيْتُ القَلْبَ يَنْبُضُ مِنْ جَدِيدِ
لَوْ كُنْتُ تَعَلَّمُ أَنَّهَا مِثْلُ النَّهَارِ
يَوْمًا سَتَلْقَاهَا مَعِي

سَتَرِي بِأَنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَإِنَّمَا
قَلْبِي يَحِنُّ إِلَى النَّهَارِ
يَا لَيْلُ لَا تَعْتَبْ عَلَيَّ
قَدْ كُنْتَ تَعْرِفُ كَمْ تُعَدُّبُنِي خَيَالَتِي
وَتُضْحَكُ فِي غَبَاءِ
كَمْ قُلْتَ لِي إِنَّ الْخِيَالَ جَرِيمَةٌ الشُّعْرَاءِ
وَوَطْنَتُ يَوْمًا أَنَّنَا سَنَظَلُّ دَوْمًا أَصْدِقَاءِ
أَنَا زَهْرَةٌ عَبَتِ التُّرَابُ بِعِطْرِهَا
وَرَحِيقُ عُمْرِي تَاهَ مِثْلَكَ فِي الْفِضَاءِ
يَا لَيْلُ لَا تَعْتَبْ عَلَيَّ
أَتُرَاكَ تَعْرِفُ لَوْعَةَ الْأَشْوَاقِ؟
وَتَنَهَّدَ اللَّيْلُ الْحَزِينَ. وَقَالَ فِي أَلَمٍ
أَنَا يَا صَدِيقِي أَوَّلُ الْعُشَاقِ
فَلَقَدْ مَنَحْتُ الشَّمْسَ عُمْرِي كُلَّهُ
وَعَرَسْتُ حُبَّ الشَّمْسِ فِي أَعْمَاقِي
الشَّمْسُ خَانَتْنِي وَرَاحَتُ لِلْقَمَرِ
وَرَأَيْتُهَا يَوْمًا تُحَدِّقُ فِي الْعُرُوبِ إِلَيْهِ تَحْلُمُ بِالسَّهَرِ
قَالَتْ: عَشِيقُ الْبَدْرِ لَا تَعْتَبْ
عَلَى مَنْ خَانَ يَوْمًا أَوْ هَجَرَ
فَتَرَكْتُهَا وَجَعَلْتُ عُمْرِي وَاحَةً

يَرْتاحُ فِيها الحائِرُونَ مِنَ البَشَرِ
العَمُرُ يَوْمٌ نَمَّ نَرَحَلُ بَعْدَهُ
وَنَظَلُّ يُرهِقُنَا المَسِيرُ
دَعَنِي أَعِيشْ وَوَلِّ لِيَوْمٍ واحِدٍ
وَأَحِبُّ كَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ
دَعَنِي أَحْسُ بِأَنَّ عُمْرِي
مِثْلُ كُلِّ النَّاسِ يَمْضِي كَالْعَدِيرِ
دَعَنِي أَحَدِّقُ فِي عِيونِ الفَجْرِ
يَحْمِلُنِي إِلى صُبْحِ مُنِيرِ
فَلَقَدْ سَتَمْتُ الحُزْنَ والأَلَمَ المَرِيرِ
الآنَ لا تَغْضَبُ إِذا جاءَ الرَّحِيلُ
واثْرُكَ رِفاقَكَ يَعْشَقونَ الصُّوءَ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ
دَعْ أَغْنِياتِ الحُبِّ تَمَلُّ كُلَّ بَيْتِ
فِي رُبى الأَمَلِ الطَّلِيلِ
يا لَيْلُ إِنَّ عادَ الصَّحابِ لِيَسْأَلوا عَنِّي هُنا
قُلْ لِلصَّحابِ بِأَنِّي
أَصَبَحْتُ أَدْرِكُ مَنْ أَنَا
أنا لِحَظَّةٍ سَأَعِيشُها
وَأَحْسُ فِيها مَنْ أَنَا.

سُكَّرُ الوَقْتِ

إبراهيم محمد إبراهيم

(أ)

سُكَّرُ الوَقْتِ
 يَحْتَاجُ سُكَّرَةً كِي يَطِيبَ
 وَيُؤْتِي حَلَاوَتَهُ مِثْلَمَا كَانَ ..
 كُلُّ السَّاكِرِ
 مَهْمَا تُقَلِّبُهَا هَا هُنَا
 لَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا ..
 كُلُّهَا لَا تُعَيِّرُ لِلشَّايِ طَعْمًا ..
 تَذَكَّرْتُ شَايَ بِلَادِي ..
 مَرَارَتَهُ حُلُوءٌ،
 تَلَمَّسُ الرُّوحَ ..
 تِلْكَ المَرَارَةُ،
 تَوْقِظُ كُلَّ الحَوَاسِّ
 وَتُطَلِّقُهَا فِي البِلَادِ،
 لَتَرْجِعَ بِالشُّعْرِ
 وَالعَسَلِ المُسْتَطَابِ ..
 هِنَا لِكَ تَحَلُو الحَيَاةُ
 بِلَا سُكَّرٍ ..

(ب)

نَامَ أَهْلُ المَدِينَةِ

والتَّحْفُوا صَمْتَهُمْ
بَعْدَ يَوْمٍ طَوِيلٍ،
تَغِيبُ بِهِ الشَّمْسُ
بَعْدَ عَنَاءٍ طَوِيلٍ،
تَغِيبُ بِهِ الرُّوحُ عَنْ وَعِيهَا ..
إِنَّهُمْ نَائِمُونَ
يَسُوقُهُمُ التَّعَبُ الْمُتْرَاكِمُ
يَمشُونَ
يَجْرُونَ
كُلُّهُ إِلَى بَيْتِهِ ..
ثُمَّ يَسْتَيْقِظُونَ عَلَى جَرَسِ الشَّمْسِ
كِي يُكْمِلُوا دَوْرَةَ الْعَيْشِ ..

(ت)

سُكَّرَ الْوَقْتِ
يَحْتَاجُ سُكَّرَةً ..
وَدَمِي سُكَّرٌ
تَتَلَاشَى حَلَاوَتَهُ ..
أَحْنُ إِلَى سُكَّرِ النَّخْلِ
أَرْنُو بِقَلْبِي
وَتَرْنُو إِلَيَّ التَّخِيلُ بِلَا سُكَّرٍ ..
طَعْمُ هَذَا الْمَكَانِ
جَدِيدٌ عَلَيَّ

وَطَعْمِي جَدِيدٌ عَلَيْهِ ..
 نُحَاوِلُ أَنْ نَتَبَادَلَ بَعْضَ الطَّبَاعِ
 لكي نتعارَفَ أَكْثَرَ ..
 نفتحُ بابَ الحوار...

(ث)

ها إنني راحِلٌ يا "فينا" ..
 ولكنْ
 إليك ..
 وإن عَيَّبْتَنِي المسافَةُ،
 أبحثُ عن سَكْرِ الوَقْتِ
 حتَّى أعودَ بِحَلْوَى الفِراقِ
 لكويينِ مُرَّينِ ينتظرانِ ..
 فكيفَ عَسايَ أكونُ
 إذا ما التَّقينا؟
 وكيفَ عَساكِ؟
 سَكْرُ الوَقْتِ
 يحتاجُ سَكْرَةً
 للطَّرِيقِ الطَّوِيلِ إلى (الألبِ)
 و(الألبِ) قَلْبٌ سيَخْضَرُ أَكْثَرَ
 حينَ نُعائِقُهُ ..
 أيُّها الألبُ
 يا أيُّها القلبُ

ها إِنِّي أَتَبَّطُّ رَمَلَ الْجَزِيرَةِ
وَالهَيْلَ، وَالقَهْوَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَالْحَبَّ
مَاذَا عَسَاكَ تُحِبُّ لِي
حِينَ أَدْنُو إِلَيْكَ؟...

(ج)

سُكَّرُ الْوَقْتِ
يَزْرَعُنِي فِي الْمَكَانِ
وَيَسْكُبُ فِيَّ الْبَقَاءَ
لِأَدْرِكَ مَا فَاتَنِي
مِنْ حَدِيثِ النَّخِيلِ وَسُكَّرِهِ ..
أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمُتَّقِيُّ ظِلَّ النَّخِيلِ
قَامَتِي أَنْتَ وَالنَّخْلُ مُجْتَمِعِينَ
إِذَا طَاطَأَ الرَّأْسَ بَيْنَكُمَا وَاحِدًا،
خَلْتُ أَنْ السَّمَاءَ سَتَسْقُطُ فَوْقِي ..
أَنَا بِكُمْ أَتَطَاوَلُ
مَهْمَا بَعُدْتُ ..
فَكُونَا كَمَا أَنْتُمَا شَامِخَيْنِ
كَهْذِي السَّمَاءِ...



نصوص رديفة من
شعر التفعيلة

الرحلة لم تبدأ بعد* إبراهيم محمد إبراهيم

الرحلة لم تبدأ بعد...
ولم يبدأ بعد العد
ولا المداستوفى حجتته
لتفويض زرافات نحو البحر..
أو نغرق نوق النعمان البيض
بعقر الصحراء.
الرحلة أسرع تبحر عن ماء
يحملها نحو العمق الأعماق
والماء الظامئ
يبحث عن جيبك يا يوسف
عن شربة ماء...
آيتنا في السفر المضي
أنا أحياء،
نتحرى ما يشبه تربتنا
في هذي الأحياء...
نورق في الجدب
ونهمي في الصيف
سحاباً أبيض

* من ديوان "ما بعد فساد الملح" مختارات شعريّة، ص9/ شعر: إبراهيم محمد إبراهيم، ط1/7102م/ منشورات دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة.

في ناحية،
 غادرها البدو إلى مُدِنِ السُّكْرِ.
 آيتنا أنا شَجْرٌ
 في كُلِّ مَوَاسِمِهِ أَحْضَرُ.
 تُشْبِعُنَا البَسْمَةُ،
 حِينَ تَطْلُ مِنْ القلبِ علينا
 فَتَجُودُ بِلا حَدٍّ...
 وَتَجُودُ - إِذَا جُعْنَا للبِسْمَةِ - أَكْثَرَ.
 الرَّحْلَةُ لَمْ تَبْدَأْ بَعْدُ،
 وما ذَاكَ سِوَى عَرَقِ الطَّلْقِ
 وما تِلْكَ سِوَى الرِّقَاتِ الأولى
 قَبْلَ بُزُوغِ الفَجْرِ على قافلتِي...
 هَيَّاتُ الرُّكْبَ،
 وَعَطَّرْتُ الصُّبْحَ بِدِهْنِ العُودِ،
 وَحَمَلْتُ النَّاقَةَ ما خَفَّ
 وَنَادَيْتُ نِسَاءَ الحَيِّ:
 أَنْ اسْرَحْنَ بِأَغْنَامِ القَرْيَةِ كالمُعْتَادِ
 وَحَبَّبْنَ الدَّمَعَ بأحداقِ القلبِ
 لَعَلَّ النَّاقَةَ تَمْضِي بِسَلامٍ...
 ما زالَ الوَقْتُ على شَفَةِ الوادي يَتَفَتَّحُ،
 والطَّيْرُ توشوشُ للطَّيْرِ أغاني اللِّحْظَةِ...

اللَّحْظَةُ تَمْتَدُّ زَمَانًا،
وَالرَّحْلَةُ لَمْ تَبْدَأْ بَعْدُ،
وَلَمْ يَبْدَأْ بَعْدُ الْعَدُّ،
وَرِجْلَايَ تَغُوصَانِ إِلَى الرُّكْبَةِ
فِي عَرَقِ الطَّلَقِ
كَأَنَّ الْكُونَ سَيُوكَدُ ثَانِيَةً
فِي قَامَةٍ أَصْغَرَ مَخْلُوقٍ
لِيَكُونَ بِهَيْئَتِهِ الْأُخْرَى
أَقْرَبَ لِلْفَهْمِ
وَتُصْبِحُ أَقْرَبَ لِلْمَعْنَى...
يَا صَاحِبَ سَجْنِي
أَنْبِئْنِي
مَا فَتَوَى هَذَا الْوَعْيِ الْمُهْلِكِ؟
وَالرَّدَّةُ تَأْخُذُنَا غَضَبًا...
الرَّدَّةُ يَا بَنَ غَلَاةِ الْعُشَّاقِ،
تُحَاصِرُ فِينَا الْفُلَّ الْأَبْيَضَ
حَتَّى يَسْوَدَّ
وَتَتْرَكُنَا لِلشَّارِعِ نَهْبًا...
مَا فَتَوَى أَنْ نَحْيَا غُرَبَاءَ
وَنُدْفَنَ فِي غُرْبَتِنَا،
وَنُحْنِي شَيْبَ الْعُرْبَةِ

كِي يَرْضَى عَنَّا الشَّرِيقُ
فَتَأْخُذْنَا الرِّدَّةَ غَرِيبًا؟
مَا فَتَوَى أَنْ نَهْوِي
فِي هَذَا البِئْرِ الكَوْنِيَّ
وَنُتَقِنَ كُلَّ لُغَاتِ الكَوْنِ
لِنَأْمَنَ مَكْرَ الأَيَّامِ،
وَنَلْحَنَ فِي الحُبِّ
وَنَبْقَى غُرَبَا؟
الرَّحْلَةُ لَمْ تَبْدَأْ بَعْدُ
وَلَمْ نَقْطَعْ بَعْدُ السَّلْمَ
وَلَمْ نُوَصِّلْ بَعْدُ الحَرْبَا...

عند باب المدينة*
إبراهيم محمد إبراهيم

فاتني أن أراك...

عند باب المدينة،

والناس كالتمل،

يعتريكون على الأمل السُّكْرِيَّ،

وأنت تُحدِّق في البحر.

عينك مُحمرتان من الملح،

قلبك، يخفق، يخفق،

والنورس المصطفى لم يعد.

عند باب المدينة،

ودَّعت قلبي ..

لأدخل مُسترشداً يخطى العابرين

لعلِّي أرى أحداً يشتري الوهم

لكِنِّي لم أجد.

خلتُ أني سأفْلحُ،

في دسِّ بعض النوايا القديمة

* من ديوان "ما بعد فساد الملح" مختارات شعريَّة، ص702/ شعر: إبراهيم محمد إبراهيم، ط1/7102م/ منشورات دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة.

في السّوقِ،

خِلْتُ الصّعاليكُ،

لَمَّا يَزَلْ بَعْضُهُمْ يَتَذَكَّرُ.

فَاتَنِي أَنْ أَرَاكَ،

وَفَاتَكَ مِمَّا رَأَيْتُ

بِهَذَا الْمَدِينَةِ أَكْثَرَ.

أَبْتُ الْإِشَارَاتِ،

عَلَّ لَبِيًّا يَعِي مَا أُرِيدُ

وَيَفْطِنُ لِلرَّمْزِ،

أَوْ سَابِلًا،

أَنْهَكَتُهُ الْمَسِيرَةُ،

يُلْقِي بِأَوْزَارِهِ

فَوْقَ وَزْرِي ..

فَأَنْجُو بِهِ

قَبْلَ أَنْ أَتَعَثَّرَ

أَوْ يَتَعَثَّرُ.

أَنْوَأُ بِسِرِّي،

وَيَحْمِلُنِي السَّرُّ ..

سِرَانِ نَحْنُ

وَبَوْحَانِ

فِي كَيْدِ السُّوقِ

وَالسُّوقِ سِرٌّ وَبَوْحٌ.

فَاتَنِي أَنْ أَرَكَ

فَوَدَّعْتُ قَلْبِي بِبَابِ الْمَدِينَةِ،

كَالنَّاسِ

عَلَّكَ تَعْرِفُهُ،

أَوْ تَدُلُّكَ مِنْهُ عَلَيَّ الْجُرُوحُ.

قصة لا تنتهي*

إبراهيم محمد إبراهيم

النَّوَارِسُ
 تَلُّكَ الَّتِي حَبَّأْتَنِي بِرِيشَاتِهَا
 هَاجَرْتُ
 النَّوَارِسُ
 تَلُّكَ الَّتِي هَاجَرْتُ
 حَبَّأْتَنِي بِرِيشَاتِهَا
 النَّوَارِسُ
 مَا تَرَكَّتَنِي وَحِيدًا
 إِذِ انْتَشَرْتُ فِي الْأَعَالِي...
 النَّوَارِسُ
 مَا قَطَّعْتُ فِي الشُّمُوخِ حِبَالِي
 أَيِّمَا نَوَارِسٍ
 يَتِمَادِي بِعَرْفِ الرَّحِيلِ إِلَى دَمِهِ
 فِي أَقَاصِي الْبِلَادِ
 أَنَا صَنُوهُ...
 أَيِّمَا نَوَارِسٍ
 يَتَحَسَّسُ بِالْقَلْبِ نَبْضَ الْقَصِيدَةِ
 فَبَلَّ تَدَاعِي الْحُرُوفِ إِلَى فَمِهِ

* من ديوان "هكذا قهوتي"، ص 26/ شعر: إبراهيم محمد إبراهيم، ط 0102/1م منشورات وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع واتحاد كتاب وأدباء الإمارات/ أبوظبي/ الشارقة.

في حضورِ الحبيبِ

أنا صنوهُ...

أيُّما نَوْرَسٍ

لا يُهاجِرُ قَبْلَ امتثالِ الرِّياحِ

لِغايَتِهِ في المِساءِ الحزينِ

أنا صنوهُ...

أيُّما نَوْرَسٍ

لا يَسْتَعيرُ

وَإِنْ ضَلَّ بوصلةَ الآخِرِينَ

أنا صنوهُ...

نَورِسي لَيْسَ تَحْمِلُهُ الأَرْضُ

بَلْ يَحْمِلُ الأَرْضَ في قَلْبِهِ

وَيَطيرُ...

نَورِسي يَمَلأُ الأَرْضَ أَجْنَحَةً

حِينَ يَنوي الرِّحيلَ،

وَيَفْتَحُ بابَ الحِياةِ بِمِنقارِهِ المُسْتَحيلِ الصَّغِيرِ...

نَورِسي لَحْنُ مَنْ يَنهَضونَ مَعَ الشَّمسِ،

يَسْتَرشِدونَ بِأَحلامِهِمُ

في الصِّباحِ المُنيرِ...

نَورِسي

عَزَمُ كُلِّ الَّذينَ يَصوغونَ تَرحالَهُم مَوطِنًا؛

لانبعاثِ المَوْجَلِ في كُلِّ شَبْرٍ مِنَ الأَرْضِ

غادرَهُ حَظُّهُ في الشِّتَاءِ المطِيرِ...

أَيُّهَا السَّائِرُونَ على خَطِّ رُوحِي

إِنِّي قِصَّةُ كارتِحَالِ التَّوَارِسِ

لا تَنْتَهِي...

أَنْصَبُ الخِيمَةَ البدويَّةَ مُبْتَهَجًا

حيثُ تَبْرُقُ فوقِي سَمَائِي

وأرْحَلُ حيثُ تَسِيرُ السَّحَابَةُ

أَرْحَلُ

أَرْحَلُ

أَرْحَلُ...

أَحْمَلُ حُبَّ الحَيَاةِ

وَمَوْتِي بِدَايَةِ غَيْرِي بهذا الطَّرِيقِ...

كَانَ هُنَا بَحْرٌ* إبراهيم محمد إبراهيم

قَد كَانَ هُنَا بَحْرٌ

وَمَرَائِبُ تَجْرِي

حَيْثَانُ تَسْبُحُ

لَا تَدْرِي أَنَّ الْبَحْرَ يُهَاجِرُ أحيانًا...

كَانَ هُنَا بَحَارٌ

يَتَخَطَّفُهُ الْمَوْجُ،

وَأَخْرُ يَنْجُو...

كَانَ هُنَا قَلْبُ امْرَأَةٍ

يَتَضَوَّرُ شَوْقًا

وَيُرْفِرُ كَالنَّوْرِسِ

فَوْقَ سَفِينَةِ غَوَاصٍ

ضَيَّعَتِ السَّاحِلَ...

كَانَ هُنَا...

كَانَ هُنَا...

كَانَ هُنَا...

* من ديوان "ولدتُ ضحى"، ص95/ شعر: إبراهيم محمد إبراهيم، ط1/2102م/ منشورات دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة.

واليومَ أنا وحدي

في قِمةِ هذا الجبلِ الشَّامخِ

أَحْمِلُ في كَفِّي قَوْقَعَةً

تَحْمِلُ آلافَ الأعوامِ

مِنَ التَّارِيخِ

تقولُ:

لقد كانَ هُنَا بَحْرٌ...

مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الْبَرْدُ؟* إبراهيم محمد إبراهيم

مَنْ أَيُّ الْأَنْهَارِ الدَّفْقُ الْأَعْمَى هَذَا؟

كَمْ كُنْتُ شَفِيحًا

أَبْيَضَ

حِينَ تَحَدَّرْتَ مِنَ السَّفْحِ

لِقَطْفِ الْجَوْرِيَّةِ مِنْ حَضَنِ الْوَادِي.

كَمْ كُنْتُ بَسِيطًا،

يُغْرِيكَ الْبُوحُ

فَتَسْرِي فِي الْأَرْضِ الْعَطَشَى...

قُلْتُ بَأَنَّ مَعِينَكَ لَا يَفْنَى،

فَفَنَيْتَ، وَأَفْتَيْتَ.

كَيْفَ تَشْفُ كَقُمَصَانِ الصَّيْفِ عَنِ اللَّوْزِ؟

أَمَا تَخْشَى أَنْ يَكْوِي رُوحَكَ بَرْدُ الْغَفْلَةِ؟

أَوْ تَنْسَى الْجَوْرِيَّةَ مِعْطَفُهَا

مِنْ قَرَطِ الْخَدْرِ اللَّيْلِ عَلَى شُبَاكِ الْكَوْنِ؟

كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي أَنَّ السَّاعَةَ جَاوَزَتْ الْحَدَّ

وَأَنَّ الرِّيحَ الْمَجْنُونَةَ لَا يَعْنيهَا الْوَرْدُ.

أَسْتَارُ الْخِيْمَةِ دَوَّبَهَا غَزَلُ النَّجْمِ الْقُطْبِيِّ

وَتَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الْبَرْدُ!

* من ديوان "ما بعد فساد الملح" مختارات شعريّة، ص932/ شعر: إبراهيم محمد إبراهيم، ط7102/1م/ منشورات دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة.

كُنْ مَا شِئْتَ
 وَقِفْ مَا شِئْتَ عَلَى بَابِ الصُّبْحِ
 بِأوراقِ اللَّيْلِ الحُبلى بِالهِدْيَانِ
 وَقُلْ إِنَّكَ أَعْوَيْتَ الغَاوِينَ، فَتَابُوا
 وَدَعَوْتَ الشُّعْرَاءَ، فَأَبُوا
 وَتَمَاهَيْتَ مَعَ الأَلطافِ المَبْتُوثَةِ فِي الغَيْبِ
 فَكُنْتَ الأَلطَفَ والأَبهى...
 مِنْ أَيِّ الأَنْهَارِ نَفَذْتَ حَثِيثًا
 تَتَرَقَّرُقُ فِي أَحْداقِ العُشاقِ
 لِتَفْذِفَ فِي صَحْنِ الصُّبْحِ عَصَارَةَ رَوْحِكَ؟....
 جَاوَزْتَ الحَدَّ كَسَاعَةِ عُمْرِكَ
 أَدْخَلْتَ النُّخْلَ بِغَيْرِ مَواسِمِهِ
 وَسَرَيْتَ بِرَوْحِ حَمَامَتِكَ البِيضَاءِ
 عَلَى كَفِّ الفَرَحَةِ فِي غَابَاتِ النُّجْمِ
 وَعُدْتَ حَزِينًا
 تَتَحَسَّسُ ماءَ الوَرْدِ عَلَى عُرَّتِهَا
 وَتَضُمُّ جَنَاحَيْهَا فِي صَدْرِكَ
 عَلَّكَ تَوَعَّلُ أَكْثَرَ فِي أَسْرارِ الطَّيْرِ
 وَتَخْرُجُ أَكْثَرَ جَهْلًا بِالخَوْفِ
 وَعِلْمًا بِالجَهْلِ
 بِحالاتِ العِشْقِ القُصوى...

عدالة* أيمن أبو شعر

(أحضروا جثة القتيل والخنجر ثم استمعوا إلى إفادة القاتل)

أقولُ الصَّدَقُ يا مولاي

تَعَرَّضَ ظَهْرُهُ الغَدَاؤُ

لهذا الخنجِرِ المِسْكِينُ

وَصَارَ النَّصْلُ يَرْتَجِفُ.. وَيَلْتَحِفُ

بِكَفِّي مِثْلَ قِطِّ الدَّارِ

يُنَادِينِي لِأَحْمِيهِ

وهذا الماردُ الغدَاؤُ

يغويه.. وَيَقْتَرِبُ

بِلَحْمٍ جَامِحٍ كَالنَّارِ... يَقْتَرِبُ

وَحِرْتُ فَكَيْفَ أُخْفِيهِ

وهذا الماكرُ الجِبَارُ

يُحَاوِلُ بَلْعَ سَكِينِي

فَقَلْتُ : لَعَلَّهُ إِنْ نَامَ مِثْلَ مَلَائِكِ الرَّحْمَةِ

يَرِقُّ فَوَادُ بَاغٍ نَبْضُهُ اللَّعْنَةُ

فَأودَعْتُ الصَّغِيرَ الغرَّ مَهْدًا..

اسمُهُ الطَّعْنَةُ!!

* من ديوان "الحب في طريق المجرة"، الشَّاعرُ أيمن أبو شعر، حلب، 9791.

فَغَا فَلَئِنِّي.. وَمَا جَ الظَّهْرُ كالأفْعَى

وَعَصَّ بِلَحْمِهِ الْمَسْعُورُ

وَدَاعَةً شَفْرَةَ السَّاطُورِ

لَمْ يَرْحَمْ..

وَلَمْ يَحْذَرْ..

وَألقى جِسْمَهُ المَأْفُونِ فَوْقَ نَحَالَةِ الخِنْجَرِ

يُحَاوِلُ هَرَسَ مِسْكِينِي

وَأَنْ يُكْسِرَ

وَكَادَ النَّصْلُ يَخْتَنِقُ

وَتَحْتَ الجِسْمِ يَنْسَحِقُ

فَمَا أَفْعَلُ..؟

دَنُوتُ إِلَيْهِ أَرْجُوهُ

بَأَنْ يُفْلِتَهُ.. لَمْ يَقْبَلْ

تَمَدَّدَ فَوْقَهُ كَالثَّوْرِ

تَصَنَّعَ أَنَّهُ نَائِمٌ..

وَرَاحَ يَعْطُطُ فِي حُلْمِهِ

دَعَانِي السُّخْطُ: فَلْتَوْقِظْهُ مِنْ نَوْمِهِ..

فَلَمْ تَرْضَ اللِّبَاقَةَ.. أَوْ إِبَائِي

فَلَبَّتُ الرَّأْسَ عَطْفًا فِي حَنَانٍ..

ثُمَّ سَاعَدَنِي حِذَائِي

وَأَنْقَذْتُ الْبِرِّ الْخَنْجَرَ الطِّفْلِي

أَبْكِيهِ وَيَبْكِينِي

وَرَغَمَ فِظَاعَةِ الْمَآسَاءِ عِنْدِي

جَرَّحُوا جِسِي أَهَانُونِي

تَصَوَّرْ أَنْتَ يَا مَوْلَايِ..

تَلَطَّخَ نَصْلُ سِكِّينِي

فَجِئْتُ إِلَيْكَ تُنْصِفُنِي فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ.

قَرَارٌ قَاطِعٌ مَقْبُولٌ...

كَحَدِّ الْمِدْيَةِ الْمَصْقُولِ:

يُبْرَأُ خَنْجَرُ الْقَاتِلِ

وَتُشْتَقُّ جَنَّتُهُ الْمَقْتُولِ..

مَرَّ الْقَطَارُ* نازك الملائكة

اللَّيْلُ مُمْتَدُّ السُّكُونِ إِلَى الْمَدَى
 لَا شَيْءَ يَقْطَعُهُ سِوَى صَوْتِ بَلِيدٍ
 لِحَمَامَةٍ حَيْرَى وَكَلْبٍ يَنْبُحُ النَّجْمَ الْبَعِيدَ،
 وَالسَّاعَةَ الْبَلْهَاءُ تَلْتَهُمُ الْغَدَا
 وَهُنَاكَ فِي بَعْضِ الْجِهَاتِ
 مَرَّ الْقَطَارُ
 عَجَلَاتُهُ غَزَلَتْ رَجَاءً بَتُّ أَنْتَظِرُ النَّهَارُ
 مِنْ أَجْلِهِ ... مَرَّ الْقَطَارُ
 وَحَبَا بَعِيدًا فِي السُّكُونِ
 حَلَفَ التَّلَالِ النَّائِبَاتِ
 لَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِي سِوَى رَجْعٍ وَهَوْنٍ
 وَأَنَا أُحَدِّقُ فِي النُّجُومِ الْحَالِمَاتِ
 أَتَخَيَّلُ الْعَرَبَاتِ وَالصَّفَّ الطَّوِيلُ
 مِنْ سَاهِرِينَ وَمُتَعَبِينَ
 أَتَخَيَّلُ اللَّيْلَ الثَّقِيلُ
 فِي أَعْيُنٍ سَئِمَتْ وَجُوهَ الرَّاكِبِينَ
 فِي ضَوْءِ مِصْبَاحِ الْقِطَارِ الْبَاهِتِ
 سَئِمَتْ مُرَاقِبَةَ الظَّلَامِ الصَّامِتِ

* ديوان الشاعرة نازك الملائكة، المجلد الثاني / ص 06 / ط 2 / 9791 / دار العودة، بيروت.

أَتَصَوِّرُ الصَّجَرَ المَرِيرُ
فِي أَنفُسِ مَلَّتْ، وَأَتَعْبَهَا الصَّفِيرُ
هِيَ وَالْحَقَائِبُ فِي انْتِظَارُ
هِيَ وَالْحَقَائِبُ تَحْتَ أَكْدَاسِ العُجْبَارُ
تَغْفُو دَقَائِقُ، ثُمَّ يَوْقِظُهَا القِطَارُ
وَيُطَلُّ بَعْضُ الرَّاكِبِينَ
مُتَنَائِبًا، نَعْسَانَ، فِي كَسَلٍ يُحَدِّقُ فِي القِفَارُ
وَيَعُودُ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ الآخِرِينَ
فِي أَوْجِهِ العُجْرَاءِ يَجْمَعُهُمْ قِطَارُ
وَيَكَادُ يَغْفُو ثُمَّ يَسْمَعُ فِي سُرُودُ
صَوْتًا يَعْجَمُ فِي بُرُودُ
"هذي العقاربُ لا تسيروا!
كَمْ مَرَّ مِنْ هَذَا المَسَاءِ؟ مَتَى الوُصُولُ؟"
وَتَدُقُّ سَاعَتُهُ ثَلَاثًا فِي دُهُولُ
وَهُنَا يُقَاطِعُهُ الصَّفِيرُ
وَيَلُوحُ مِصْبَاحُ الخَفِيرُ
وَيَلُوحُ صَوءُ مَحَطَّةٍ عِبرَ المَسَاءِ
إِذْ ذَاكَ يَتَنَدُّ القِطَارُ المُجْهَدُ
... وَفَتَى هُنَالِكَ فِي انطِوَاءِ
يَأْبَى الرِّقَادَ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَنَهَّدُ
سَهْرَانَ يَرْتَقِبُ النُّجُومُ

فِي مُقْلَتِيهِ بَرُودَةٌ، حَطَّ الْوَجُومُ
 أَطْرَافَهَا... فِي وَجْهِهِ لَوْنٌ غَرِيبٌ
 أَلْقَتْ عَلَيْهِ حَرَارَةُ الْأَحْلَامِ آتَارَ احْمِرَارُ
 شَفْتَاهُ فِي شِبْهِ افْتِرَارُ
 عَنُ شِبْهِ حُلْمٍ يَفْرُشُ اللَّيْلَ الْجَدِيدُ
 بِحَفِيفِ أَجْنَحَةٍ حَفِيَّاتِ اللَّحُونُ
 عَيْنَاهُ فِي شِبْهِ انْطِبَاقُ
 وَكَأَنَّهَا تَخْشَى فِرَارَ أَشْعَةٍ خَلْفَ الْجَفُونُ
 أَوْ أَنْ تَرَى شَيْئًا مَقِيَّتًا لَا يُطَاقُ
 هَذَا الْفَتَى الصَّجِرُ الْحَزِينُ
 عَبَثًا يُحَاوِلُ أَنْ يَرَى فِي الْآخَرِينَ
 شَيْئًا سِوَى اللُّغْزِ الْقَدِيمِ
 وَالْقِصَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي سَنِمَ الْوَجُودُ
 أَبْطَالَهَا وَقُصُولَهَا، وَمَضَى يُرَاقِبُ فِي بُرُودُ
 تَكَرَّرَهَا الْبَالِي السَّقِيمُ
 هَذَا الْفَتَى...
 وَتَمَرُّ أَقْدَامُ الْخَفِيرُ
 وَيُطَلُّ وَجْهُ عَابِسٌ خَلْفَ الزَّجَاجِ،
 وَجْهُ الْخَفِيرِ!
 وَيَهْزُ فِي يَدِهِ السَّرَاجُ
 فَيَرَى الْوَجُوهَ الْمُتَعَبَةَ

وَالنَّائِمِينَ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي الْقَطَارِ
وَالأَعْيُنَ الْمُتَرَقِّبَةَ
فِي كُلِّ جَفْنٍ صَرَخَةً بِاسْمِ النَّهَارِ،
وَتَضْيِغُ أَقْدَامُ الْخَفِيرِ السَّاهِدِ
خَلْفَ الظَّلَامِ الرَّاكِدِ
مَرَّ الْقَطَارُ، وَضَاعَ فِي قَلْبِ الْقَفَارِ
وَبَقِيَتْ وَحْدِي أَسْأَلُ اللَّيْلَ الشَّرُودُ
عَنْ شَاعِرِي، وَمَتَى يَعُودُ؟
وَمَتَى يَجِيءُ بِهِ الْقَطَارُ؟
أَتْرَاهُ مَرَّ بِهِ الْخَفِيرُ
وَرَاهُ لَمْ يَعْبَأْ بِهِ ... كَالْآخِرِينَ
وَمَضَى يَسِيرُ
هُوَ وَالسَّرَاجُ، وَيَفْحَصَانِ الرَّاكِبِينَ
وَأَنَا هُنَا مازِلْتُ أَرْقُبُ فِي انْتِظَارِ
وَأَوْدُ لَوْ جَاءَ الْقَطَارُ...

أنشودة المطر* بدر شاكر السياب

عَيْنَاكَ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرِ،
 أَوْ شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنَآى عَنهُمَا الْقَمَرُ
 عَيْنَاكَ حِينَ تَبَسَمَانَ تَوْرِقُ الْكُرُومُ
 وَتَرْقُصُ الْأَضْوَاءُ... كَالْأَقْمَارِ فِي نَهْرٍ
 يَرْجُهُ الْمَجْدَاؤُ وَهَنَّا سَاعَةَ السَّحَرِ
 كَأَنَّمَا تَنْبُضُ فِي عَوْرَيْهِمَا، النَّجُومُ...
 وَتَغْرَقَانِ فِي صَبَابٍ مِنْ أَسَى شَفِيفٍ
 كَالْبَحْرِ سَرَّحَ الْيَدَيْنِ فَوْقَهُ الْمَسَاءُ،
 دِفْءُ الشِّتَاءِ فِيهِ وَارْتِعَاشَةُ الْخَرِيفِ،
 وَالْمَوْتُ، وَالْمِيلَادُ، وَالظَّلَامُ، وَالضِّيَاءُ؛
 فَتَسْتَفِيقُ مِلءَ رُوحِي، رَعَشَةُ الْبُكَاءِ
 وَنَشْوَةٌ وَحَشِيَّةٌ تُعَانِقُ السَّمَاءَ
 كَنْشَوَةَ الطُّفْلِ إِذَا خَافَ مِنَ الْقَمَرِ!
 كَأَنَّ أَقْوَاسَ السَّحَابِ تَشْرَبُ الْعُيُومَ
 وَقَطْرَةٌ فَقَطْرَةٌ تَذُوبُ فِي الْمَطَرِ...
 وَكَرَّكَرَ الْأَطْفَالُ فِي عَرَائِشِ الْكُرُومِ،
 وَدَغْدَغَتْ صَمْتِ الْعَصَافِيرِ عَلَى الشَّجَرِ
 أَنْشُودَةُ الْمَطَرِ...

* ديوان الشاعر بدر شاكر السياب، المجلد الأول/ ص474-184/ ط 7991/ دار العودة- بيروت.

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

تَنَاءَبَ الْمَسَاءُ، وَالغُيُومُ مَا تَزَالُ
تَسْحُ مَا تَسْحُ مِنْ دُمُوعِهَا الثَّقَالُ
كَأَنَّ طِفْلًا بَاتَ يَهْدِي قَبْلَ أَنْ يَنَامَ:
بِأَنَّ أُمَّهُ - الَّتِي أَفَاقَ مِنْذُ عَامٍ
فَلَمْ يَجِدْهَا، ثُمَّ حِينَ لَجَّ فِي السُّؤَالِ
قَالُوا لَهُ: " بَعْدَ غَدٍ تَعُودُ.. " -
لَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ

وَإِنْ تَهَامَسَ الرَّفَاقُ أَنَّهَا هُنَاكَ
فِي جَانِبِ التَّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّحُودِ
تَسْفُ مِنْ تُرَابِهَا وَتَشْرَبُ الْمَطَرَ؛
كَأَنَّ صَيَادًا حَزِينًا يَجْمَعُ الشُّبَاكَ...
وَيَنْثُرُ الْغِنَاءَ حَيْثُ يَأْفُلُ الْقَمَرُ.

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

أَتَعْلَمِينَ أَيَّ حُزْنٍ يَبْعَثُ الْمَطَرُ؟
وَكَيْفَ تَنْشِجُ الْمَزَارِيبُ إِذَا انْهَمَرَ؟
وَكَيْفَ يَشْعُرُ الْوَحِيدُ فِيهِ بِالصِّيَاعِ؟
بِلا انْتِهَاءٍ - كَالدَّمِ الْمُرَاقِ، كَالْجِيَاعِ،

كالحُبِّ، كالأطفالِ، كالموتى - هو المَطَرُ!

ومُقلَّتاكِ بي تُطيفانِ مَعَ المَطَرِ

وعَبَّرَ أمواجِ الخَلِيجِ تَمَسَحُ البَروُقُ

سَواحِلَ العِراقِ بِالنُّجومِ والمَحارِ،

كَأنَّها تَهْمُ بِالشُّروقِ

فَيَسْحَبُ اللَّيْلَ عليها مِنْ دَمٍ دِثارٍ...

أصيحُ بالخَلِيجِ: "يا خَلِيجُ

يا واهِبَ اللُّؤْلُؤِ، والمَحارِ، والرَّدَى!"

فيرجِعُ الصَّدى

كَأنَّهُ النِّشِيجُ:

"يا خَلِيجُ

يا واهِبَ المَحارِ والرَّدَى..."

أَكادُ أَسْمَعُ العِراقَ يَذْخُرُ الرُّعودُ

ويخزَنُ البَروُقَ في السُّهولِ والجِبالِ،

حَتَّى إذا ما فَضَّ عنها خَتَمَها الرِّجالُ

لم تتركِ الرِّياحُ مِنْ ثَمودُ

في الوادِ مِنْ أَثَرِ.

أَكادُ أَسْمَعُ النِّخيلَ يَشْرِبُ المَطَرُ

وأَسْمَعُ الفُرى تَتَنُّ، والمَهاجِرِينَ

يُصارِعونَ بِالمَجاذِيفِ وبالقُلُوعِ،

عَواصِفَ الخَلِيجِ، والرُّعودِ، مُنشدِينَ:

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

وفي العراقِ جوعٌ

وينثرُ الغلالَ فيه مَوْسِمُ الحِصَادِ

لِتَشْبَعَ العِرْبَانُ والجِرَادُ

وتطحنَ الشَّوَانَ والحَجَرُ

رَحَى تَدُورُ في الحَقُولِ ... حولها بَشَرُ

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

وَكَمْ دَرَفْنَا لَيْلَةَ الرَّحِيلِ مِنْ دُمُوعِ

نُؤْمِ اعْتَلْنَا - خَوْفَ أَنْ نُلَامَ - بِالمَطَرِ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

وَمُنْدُ أَنْ كُنَّا صِغَارًا كَانَتِ السَّمَاءُ

تَغِيْمُ في الشِّتَاءِ

وَيَهْطُلُ المَطَرُ،

وَكُلَّ عَامٍ - حِينَ يُعْشِبُ الثَّرَى - نَجُوعُ

ما مَرَّ عَامٌ والعِرَاقُ لَيْسَ فِيهِ جُوعٌ.

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

فِي كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَطَرِ
 حَمْرَاءُ، أَوْ صَفْرَاءُ، مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهْرِ.
 وَكُلُّ دَمْعَةٍ مِنَ الْجِياعِ وَالْعُرَاءِ
 وَكُلُّ قَطْرَةٍ تُرَاقِ مِنْ دَمِ الْعَبِيدِ
 فَهِيَ ابْتِسَامٌ فِي انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيدٍ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

مَطَرٌ...

سَيُعْشِبُ الْعِرَاقُ بِالْمَطَرِ...

أَصِيحُ بِالْخَلِيجِ: "يَا خَلِيحُ..."

يَا وَاهِبَ اللُّؤْلُؤُ، وَالْمَحَارِ، وَالرَّدى!

فِيرَجِعُ الصَّدى

كَأَنَّهُ النِّشِيحُ:

"يَا خَلِيحُ"

يَا وَاهِبَ الْمَحَارِ وَالرَّدى."

وَيَنْثُرُ الْخَلِيحُ مِنْ هِبَاتِهِ الْكِتَارُ،

عَلَى الرَّمَالِ: رَغْوَهُ الْأَجَاغِ وَالْمَحَارِ

وَمَا تَبْقَى مِنْ عِظَامِ بَائِسٍ غَرِيقُ

مِنْ الْمُهَاجِرِينَ ظَلَّ يَشْرَبُ الرَّدى

مِنْ لُجَّةِ الْخَلِيجِ وَالْقَرَارِ،
وَفِي الْعِرَاقِ أَلْفُ أَفْعَى تَشْرَبُ الرَّحِيقُ
مِنْ زَهْرَةٍ يَرُبُّهَا الْفُرَاتُ بِالنَّدَى
وَأَسْمَعُ الصَّدَى
يَرُنُّ فِي الْخَلِيجِ
مَطَرًا...
مَطَرًا...
مَطَرًا...
فِي كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَطَرِ
حَمْرَاءُ، أَوْ صَفْرَاءُ مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهْرِ
وَكُلُّ دَمْعَةٍ مِنَ الْجِيَاعِ وَالْعُرَاةِ
وَكُلُّ قَطْرَةٍ تُرَاقِي مِنْ دَمِ الْعَبِيدِ
فَهِيَ ابْتِسَامٌ فِي انْتِظَارِ مَبْسَمٍ جَدِيدٍ...
فِي عَالَمِ الْعَدِ الْفَتَى...
وَيَهْطُلُ الْمَطَرُ..

ذكريات الطفولة*

عبدالوهّاب البيّاتي

بالأمس كُنّا، آه من كُنّا: ومن أمسٍ يكونُ
 نعدو وراءَ ظلالنا...
 كُنّا، ومن أمسٍ يكونُ
 لا نرهبُ الصّمتَ الذي تُضفيهِ أشباحُ الغُروبِ
 فوقَ الحدائقِ والدّروبِ
 لا نرهبُ السّورَ الذي من خلفه يأتي الصّياءُ
 ولرّبّما مات الصّياءُ، ولم يُعدْ، ونقولُ: "جاء!"
 كُنّا نقولُ كما نشاءُ
 حتّى النّجومِ
 كُنّا نقولُ بأنّها - كانت - عيونُ
 للأرضِ تنظرُ في فتونِ
 حتّى النّجومِ
 كانت عيونُ
 لا نعرفُ "الشّيءَ الصّغيرَ"، ولا نُصدّقُ ما يُقالُ
 ولا نزالُ
 لا نعرفُ الشّيءَ الصّغيرَ، ولا نُصدّقُ ما يُقالُ
 ولرّبّما كُنّا نُحدّقُ في الفراغِ، ولا ننأَمُ
 وفي الظّلامِ

* ديوان الشّاعر عبدالوهّاب البيّاتي، المُجلّد الأوّل / ص 171-371 / ط4 / دار العودة، بيروت 0991م.

مأوى ...

كَانَتْ مَدَائِنُنَا الْجَدِيدَةَ فِي الظَّلَامِ

بِمَنَازِلِ الأَمْوَاتِ، أَشْبَهَ، أَوْ قُرَى

النَّمْلِ - ... الْجَدِيدَةَ فِي الظَّلَامِ-

كَانَتْ مَدَائِنُنَا تُقَامُ

وَفِي الظَّلَامِ

كُنَّا نُحَدِّقُ فِي الفِرَاقِ، وَلَا نَنَامُ

إِلَّا عَلَى أَصْوَاتِ عَالَمِنَا المُمَوِّضِ، وَالعَبِيدِ

يَتَسَكَّعُونَ...

وَخِيُولُنَا الخَشَبِيَّةُ العِرْجَاءُ، كُنَّا فِي الجِدَارِ

بِالْفَحْمِ نَرَسُمُهَا، وَنَرَسُمُ حَوْلَهَا حَقْلًا وَدَارِ

حَقْلًا وَدَارِ

وَنُطَارِدُ القِطَطَ الهَزِيلَةَ فِي الأَزَقَّةِ بِالجِجَارِ

وَإِلَى "الحَبِيبَةِ" كَانَ يَدْفَعُنَا، وَيَدْفَعُنَا الحَنِينُ ...

كُنَّا لِخَفَقِ نِعَالِهَا الفِضِّيِّ، نُصْغِي سَاهِمِينَ

بَعْدَ المَسَاءِ، وَبَعْدَ حِينِ

وَتَثَوَّرُ أَحْقَادُ السَّنِينِ

فَنَعُودُ نَبْحُ فِي بَقَايَا الذُّكْرِيَّاتِ عَنِ الحَيَاةِ

الْأَمْسُ مَاثُ

الْأَمْسُ مَاثُ

لَمْ يَبْقَ حَوْلَ "مَدِينَةِ الأَطْفَالِ" إِلَّا مَا نَشَاءُ...

إلّا بقايا السور والشّحاذُ يستجدي، وأقدامُ الزّمانِ
إلّا العجائزُ في الدّروبِ الموحّشاتُ
يسألنَ عنّا الغادياتِ الرّائحاتُ
ولرّبّما مرّت بهنّ... بهنّ هذي الذّكريات:
"السّورُ" و "الشّحاذُ" و "الطّفّلُ الذي بالأمسِ ماتُ"...

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة * أمل دنقل

أَسْأَلُ يَا زَرْقَاءُ ...

عَنْ وَفَّقْتِي الْعَزَلَ بَيْنَ السَّيْفِ ... وَالْجِدَارِ!

عَنْ صَرْخَةِ الْمَرْأَةِ بَيْنَ السَّبْيِ وَالْفِرَارِ؟

كَيْفَ حَمَلْتُ الْعَارَ ...

ثُمَّ مَشَيْتُ؟ دُونَ أَنْ أَقْتَلَ نَفْسِي؟ دُونَ أَنْ أَنْهَارَ؟!

وَدُونَ أَنْ يَسْقُطَ لَحْمِي ... مِنْ غُبَارِ التُّرْبَةِ الْمُدَنَّسَةِ؟!

تَكَلِّمِي

تَكَلِّمِي ... بِاللَّهِ ...

لَا تُغْمِضِي عَيْنَيْكَ ...

تَكَلِّمِي ... لَشَدِّ مَا أَنَا مُهَانٌ

لَا اللَّيْلُ يُخْفِي فَضِيحَتِي ... وَلَا الْجُدْرَانُ!

... تَقْفِزُ حَوْلِي طِفْلَةً وَاسِعَةً الْعَيْنِينَ ... عَذْبَةً الْمُشَاكِسَةَ

(كَانَ يَقْضُ عَنْكَ يَا صَغِيرَتِي ... وَنَحْنُ فِي الْخِنَادِقِ

فَنَفْتَحُ الْأَزْرَارَ فِي سِتْرَاتِنَا ... وَنُسْنِدُ الْبِنَادِقِ

وَحِينَ مَاتَ عَطْشًا فِي الصَّحْرَاءِ الْمُشْمَسَةُ ...

* زرقاء اليمامة: هي امرأة من قبيلة (جديس)، كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قتلت (جديس) (طسما) خرج رجل من (طسم) إلى حسان تبع اليمن، فاستجاشه، ورعبه في الغنائم، فجهز جيشا، فلما صاروا من (جو) على مسيرة ثلاث ليال، صدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش، وقد أمروا بأن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها، فقالت: يا قوم، قد أتتكم الشجر، أو أتتكم (جميز)، فلم يصدقوها، فقالت على مثال الرجز:

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ جَمِيرٌ قَدَرٌ أَحَدْتُ شَيْئًا أُحَرُّ

فلم يصدقوها، فقالت: أقسم بالله لقد أرى رجلاً ينهس كئفا، أو يخصف نعلًا، فلم يصدقوها، ولم يستعدوا حتى صبّحهم حسان، فاجتاحهم، وقتل الزرقاء.

رَطَّبَ بِاسْمِكَ الشُّفَاهَ الْيَابِسَةَ...
 وارتختِ العَيْنَانُ!
 فأينَ أخفي وَجْهَيِ الْمُتَّهَمِ الْمُدَانُ؟
 وَالضَّحَكَةَ الطُّرُوبَ: ضِحَكَتَهُ...
 وَالوَجْهَ... وَالغَمَّازَتَانِ؟!
 يَا زَرْقَاءَ...
 لَا تَسْكُتِي... فَقَدْ سَكَّتْ سَنَةٌ فَسَنَةٌ...
 لَكِي أَنَالَ فَضْلَةَ الْأَمَانِ
 قَيْلَ لِي (أَخْرَسُ...)
 فَخْرَسْتُ... وَعَمِيْتُ...
 ظَلَلْتُ فِي عَبِيدِ (عَبَسِ) أَحْرَسُ الْقِطْعَانَ
 أَجْتَزُّ صَوْفَهَا...
 أَرْدُ نَوْفَهَا...
 أَنَامُ فِي حِظَائِرِ النَّسِيَانِ
 طَعَامِي: الْكِسْرَةُ... وَالْمَاءُ... وَبَعْضُ الثَّمَرَاتِ الْيَابِسَةِ
 وَهَا أَنَا فِي سَاعَةِ الطَّعَانِ
 سَاعَةً أَنْ تَخَاذَلَ الْكُمَاهُ... وَالرُّمَاهُ... وَالْفُرْسَانُ
 دُعِيْتُ لِلْمِيدَانِ!
 أَنَا الَّذِي مَا دُقْتُ لِحَمِ الضَّانِ...
 أَنَا الَّذِي لَا حَوْلَ لِي وَلَا شَأْنُ...
 أَنَا الَّذِي أَقْصَيْتُ عَنْ مَجَالِسِ الْفِتْيَانِ،

أُدْعَى إِلَى الْمَوْتِ... وَلَمْ أَدْعُ إِلَى الْمُجَالَسَةِ!!

تَكَلِّمِي يَا زَرْقَاءُ

تَكَلِّمِي... تَكَلِّمِي...

فَهَا أَنَا عَلَى التُّرَابِ سَائِلُ دَمِي

وَهُوَ ظَمِيٌّ... يَطْلُبُ الْمَزِيدَا...

أُسَائِلُ الصَّمْتَ الَّذِي يَخْنُقُنِي:

"مَا لِلْجِمَالِ مَشِيهَا وَئِيدَا...؟!"

أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدَا...؟!"

فَمَنْ تُرَى يَصَدُقُنِي؟

أُسَائِلُ الرُّكَّعِ السُّجُودَا

أُسَائِلُ الْقِيُودَا:

"مَا لِلْجِمَالِ مَشِيهَا وَئِيدَا...؟!"

"مَا لِلْجِمَالِ مَشِيهَا وَئِيدَا...؟!"

زَرْقَاءُ...

مَاذَا تَفِيدُ الْكَلِمَاتُ الْيَابِسَةَ؟

قُلْتِ لَهُمْ مَا قُلْتِ عَنْ قَوَافِلِ الْغُبَارِ...

فَاتَّهَمُوا عَيْنِيكَ - يَا زَرْقَاءُ - بِالْبَوَارِ!

قُلْتِ لَهُمْ مَا قُلْتِ عَنْ مَسِيرَةِ الْأَشْجَارِ...

فَاسْتَضْحَكُوا مِنْ وَهْمِكَ الثَّرَاثَا!

وَحِينَ فَوْجِيئَا بِحَدِّ السَّيْفِ: قَايِضُوا بِنَا...

وَالْتَمَسُوا النَّجَاةَ وَالْفِرَاثَا!

ها أنتِ يا زرقاءِ
وحيدةٌ... عمياءُ!
وما تزالُ أغنياءُ الحُبِّ... والأضواءِ
والعرباءُ الفارهاةُ... والأزياءُ!
فأينَ أخفي وجهي المشوِّها
كي لا أعكِّرَ الصِّفاءَ... الأبلَّةَ... المُمَوِّها.
في أعينِ الرِّجالِ والنِّساءِ؟!
وأنتِ يا زرقاءِ...
وحيدةٌ... عمياءُ!
وحيدةٌ... عمياءُ!

العائدُ*
ممدوح عدوان

لَمْ يُطَارِدْهُ جُنُونُ الْبَحْرِ

لَمْ يَلْسَعَهُ سَوْطُ الشَّمْسِ

فِي تِيهِ الصَّحَارَى

عِنْدَمَا عَادَ إِلَيْنَا

دُونَ أَشْوَاقٍ ... وَلَا نَجْوَى لَدَيْنَا

لِتَرُدَّ الْقَلْبَ مِنْ سَاحِ الْمَجْرَهْ

لَمْ يَزَلْ كَالْهَمْسِ: أَنْتَى شَاءَ طَارَا

كَمْ تَسَاءَلْنَا، وَرَاقِبْنَاهُ كِي نَفْهَمَ سِرَّهُ

وَتَهَامَسْنَا حَيَارَى:

"مَا الَّذِي يَبْغِيهِ مَجْنُونٌ لَدَيْنَا"؟!

لَمْ يَكُنْ يَرِبْطُنَا حَبْلُ مَسْرَهْ

غَيْرَ أَنَا

عِنْدَمَا فَرَّ ... تَرَامَتْ وَحْشَةُ الْمَوْتِ عَلَيْنَا

وَبَكِينَا ... عِنْدَمَا عَادَ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْنَا

* الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر ممدوح عدوان، المجلد الأول / ص 19 / ط / 6891 / دار العودة، بيروت.

لَمْ نُحْمَلْ خَلْفَهُ يَوْمًا نَسِيمَ اللَّيْلِ نَعْمَهُ
لَمْ نُسَائِلْ عَنْهُ نَجْمَهُ
لَمْ نُقُلْ سِرًّا، وَلَمْ نَحْكَمْ: "تَرَى هَلْ سَيَعُودُ؟"
عَادَ فِي إِطْلَالَةِ الْفَجْرِ لِكَيْ يَبْلُغَ عَشَّهُ
وَهُوَ يَدْرِي
أَنَّ رِيحَ الْمَوْتِ لَمَّا عَبَّرَتْ
لَمْ تُخَلِّفْ فِيهِ قَشَّهُ...

طفل*
صلاح عبدالصبور

(1)

قولي ... أمات؟

جُسيه ... جُسي وجنتيه!

هذا البريقُ

مازالَ وَمَضَ مِنْهُ يَفْرَشُ مَقَلَتِيه

هذي أصابعهُ النَّحِيلَة

هذي جدائلهُ الطَّويلَة

أنفاسُهُ الْمُتَرَدِّدَاتُ بِصَدْرِهِ الْوَرْدِي كَالنَّعَمِ الْأَخِيرِ

مَنْ عَازِفٍ وَفَدَ النُّعَاسُ عَلَيْهِ فِي اللَّيْلِ الْأَخِيرِ

وتلكَ جَبْهَتُهُ النَّبِيلَة

بيضاءَ يلمعُ فوقَ موجتِها الزَّبْدُ

قولي ... أمات

وأنا عَدَوْتُ بِلا أَحَدٍ؟!

(2)

وسألتنِي ... ما الوقتُ، هلْ دَكَفَ المساءُ؟

* ديوان الشاعر صلاح عبدالصبور / ص 533-833 / ط 1 / 2791، دار العودة، بيروت.

- أتذهبين؟

وَلِمَ نُطِيلُ عَذَابَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ؟

لَنْ يُرْجَعَ الصُّبْحُ الْحَيَاةَ إِلَيْهِ،

مَا جَدَوِ الصَّبَاحِ؟

(3)

وَمَضَّ الشُّعَاعُ بِعَيْنِهِ الْهَدْبَاءِ وَمَضَّتْهُ الْأَخِيرَةُ

ثُمَّ احْتَرَقَ

وَرَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ تُرَابِ الْوَجْنَتَيْنِ

رَبَاهُ: فَوْقَ الصَّدْرِ، فَوْقَ السَّاعِدَيْنِ

وَالْعَازِفُ الْمَغْلُوبُ نَامَ، وَمَاتَ فِي الصَّمْتِ الْكَبِيرِ

نَعَمْ أَخِيرُ

وَسَأَلْتِ ... مَا...؟ أَجَلُ سَابِكِيهِ،

سَنَبِكِيهِ مَعًا

وَوَجَمْتِ، لَا الْجَفْنَ اخْتَلَجِ

وَنَهَضْتِ، ثُمَّ فَتَحْتِ هَذَا الْبَابَ فِي صَمْتِ مَلُولٍ

وَنَظَرْتِ خَلْفَ الْبَابِ تَلْتَمِسِينَ (سُلْمَةً) النَّزُولِ

وَوَقَفْتِ، ثُمَّ رَجَعْتِ فِي عَيْنِيكَ شَيْءٌ مِنْ وَهَجِ

كِي تَلْمِيسِيهِ

أَوْ تُغْمِضِي عَيْنِيهِ، أَوْ تَتَأَمَّلِيهِ

لَا تَلْمِئِيهِ!

هَذَا الصَّبِيُّ ابْنُ السَّنِينِ الدَّامِيَاتِ الْعَارِيَاتِ مِنَ الْفَرَحِ

هُوَ قَرَحْتِي،

لَا تَلْمِئِيهِ!

أَسَكَّنْتُهُ صَدْرِي، فَنَامَ

وَسَدَّتْهُ قَلْبِي الْكَبِيرُ ...

وَجَعَلْتُ حَائِطَهُ الضُّلُوعَ

وَأَثَرْتُ مِنْ هُدْبِي الشُّمُوعَ

لِيَزْرُوهُ عُمْرِي الظَّمِي...

أقول لأصحابي* علي جعفر العلاق

أقول لأصحابي:

هو البرد فاحملوا

إلى حُلْمِي غُصْنَا مِنَ الصُّوءِ

كي أرى

بلادًا توافيني قِطَاةً يَتِيمَةً

أُغْنِي لِعَيْنَيْهَا، وَأَبْكِي لِعُرْيِهَا...

يَتِيمَانِ عَاقَتْنَا الحَضَارَاتُ

والقُرَى...

وحيدٌ فلا هذا الحنينُ أُطِيقُهُ

ولا بَلَدٌ يدنو من التَّوَمِ

أخضرا ...

قِطَاةٌ تُناديني ... وَثَمَّ قَصِيدَةٌ

تغيمُ لكي أصحو... وأصحو

لِتُمْطِرَا...

* ديوان "السفينة" للشاعر علي جعفر العلاق / ص 19 / ط 1 / 5102 / المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

أيار وملاح جديد* إبراهيم السعافين

(1)

وَكُلَّ عامٍ يُرْفَعُ السُّتَارُ
وَيَسْمَعُ الْجُمْهُورُ قِصَّةَ الْبَحَّارِ
بلونها الجديدِ لكنْ ليسَ مِنْ جَدِيدِ
فَمَشْهَدٌ مُؤَثَّرٌ وَبَعْدَهُ فِصُولُ
تُشَدُّ فِيهَا الْخَيْلُ ...
تُقْرَعُ الطُّبُولُ
وَبَعْدَ دَمْعَتَيْنِ... كَلِمَتَيْنِ لِلْبَحَّارِ
نودُّعُ الرُّؤْيَى، وَيُسَدُّ السُّتَارُ

(2)

الموجُ والأنواءُ والسَّحابُ
والحلمُ والمجدافُ والشَّبابُ
تَنَاطَرَتْ فِي خَاطِرِ السُّنِينِ
وَقَارِبُ الْمَلَّاحِ يَمْضِي شَامِخَ الْجَبِينِ
يَهْزُهُ إِلَى الْمَدَى الْحَنِينِ
فَقَدْ غَفَّتْ فِي رَوْحِهِ أَشْبَاحُ الْانْكَسَارِ
وَمَنْ دَرَى!
لَعَلَّهُ يَصْطَادُ هَذَا الْيَوْمَ أَرْوَاعَ الْمَحَارِ

* ديوان "أفق الخيول" للشاعر إبراهيم السعافين/ ص 721 - 031 / ط1 / 5002 / المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

فَرَّبَمَا يزهو أمامَ البدرِ... عندَ نجمتينِ
تَلْثَمَانِ صفحَةَ الميَاهُ
بأنَّهُ الَّذِي مَا خَابَ فِي معاركِ الحِيَاةِ

(3)

تَجَهَّمَتْ ... تَمَرَّدَتْ فِي أَفْقِهِ الأَنْوَاءُ
وَأَنْشَبَتْ فِي حَلْقِهِ الظَّامِي مَخَالِبَ الصَّقُورِ
وَحَوْلَهُ الحِيتَانُ تَفْغُرُ الأَفْوَاهَ فِي انتِظَارِ
والمَوْجُ فِي شِرَاسَةِ يَكُرُّ فِي الصَّخُورِ
وَكُلُّ مَا فِي البَحْرِ حَاقِدُ القِرَارِ
..... وَيَفْتَحُ العَيْنِينَ كَانْتِبَاهَةَ القَضَاءِ
وَيُطَبِّقُ اليَدَيْنِ ضَارِعًا، يُغَالِبُ التِّيَّارَ
وَيَسْتَعِينُ بالأَحْلَامِ، بالنَّجُومِ، بالإِصْرَارِ
بأنَّ يُصَارِعَ الأَنْوَاءَ، أَنْ يُقَارِعَ الدَّمَارَ

(4)

لَكِنَّهُ التِّيَّارُ، يَا لِقُوَّةِ التِّيَّارِ!
اللَّيْلُ جَيْشُهُ الضَّرِيرُ
وَالرِّيَّاحُ خَيْلُهُ العَنِيدَةُ
تَدُوسُ مَنْ يَقُولُ: لَا
بَأَشْرِسِ السَّنَابِكُ ...

(5)

وتكتسي الشوارعُ الحزينةُ الظلامَ

وَيَخْتَفِي أَيَّارُ فِي الزَّحَامِ
وَكُلَّ عَامٍ يُرْفَعُ السُّتَارُ
وَيَسْمَعُ الْجُمْهُورُ قِصَّةَ الْبَحَارِ
بِلُونِهَا الْجَدِيدِ لَكِنْ لَيْسَ مِنْ جَدِيدٍ
وَيَسْتَعِدُّ تَائِرٌ لِأَخْذِ التَّارِ
وَيُسَدِّلُ السُّتَارُ ...

مازلتُ أُغني* محمّد الفيتوري

لم تَمُتْ فِي أَغَانِيٍّ، فَمَا زِلْتُ أُغْنِي

لَكَ يَا أَرْضَ انْفِعَالَاتِي، وَحَزْنِي

لِلْمَلَايِينِ الَّتِي تَنْقُشُ فِي الصَّخْرِ، وَتَبْنِي

وَالَّتِي مَا فَتَتَتْ تُبَدِّعُ قَنِي

وَالَّتِي تَعْرِفُ أَتِي...

أَنَا مِنْهَا ... وَهِيَ مِنِّي

لَمْ تَمُتْ فِي أَغَانِيٍّ

وَفِي صَدْرِكَ كَلِمَهُ

لَمْ تَقْلُهَا شَفْتَايَ

وَعَلَى وَجْهِكَ غَيْمَهُ

لَمْ تُمَرِّقْهَا يَدَايَ

أَنْتِ يَا مَنْ تَهْبِينِ الشَّمْسَ

فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَعَشِيٍّ

مِنْ دِمَائِي

لِتُنِيرِي خُطُواتِ البَشَرِيَّةِ

بِخُطَايِ..

* ديوان "محمّد الفيتوري" / ص 043 / ط 3 / 9791 / دار العودة، بيروت.

أنا في حُبِّكَ مليونُ صَحيِّه
تتَهاوى تحتَ أَقدامِ جَلالِكَ
فاجعليني، في نِضالِكَ
لِأَكُنْ قَطْرَةَ دَمٍ
شَهَقَةً قَمً
بَسَمَةً مَجْلُودٍ هُنالِكَ
حيثُ تمشينَ مَهيبَةً
في جِراحِكَ
في كِفاحِكَ ...

بَدَأْتُ مَعَ الْبَحْرِ محمد عبد الله البريكي

وَقَبَلَ الْأَحَدُ
 بَدَأْتُ مَعَ الْبَحْرِ
 أَرْكَبُ أَمْوَاجَهُ
 يَوْمَ بَشَّرَتِ الدَّايَةَ الْبَيْتَ
 قَالَتْ: وَكَدَّ
 يَقُولُونَ: حَارَّتْنَا ابْتَهَجَتْ،
 وَالنِّسَاءُ يُصَافِحْنَ أُمَّي،
 وَأُمَّي تَهْزُ الْبِشَارَةَ فِي قَلْبِهَا،
 ثُمَّ يَسْقُطُ عَنْهَا الْكَمَدُ
 وَأَبِي،
 ذَلِكَ الْعَالِمُ الشَّيْخُ،
 أَدَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ الصَّلَاةَ؛
 لِتَبْدَأَ رِحْلَةَ هَذَا الصَّبِيِّ
 مَعَ الْوَقْتِ...
 ثُمَّ كَبُرْتُ،
 وَقَلَّمْتُ مِنْ غَفَوَاتِي أَظْفِرَ نَوْمِي
 وَحِينَ يَجِيءُ إِلَى بَابِنَا "الْبَاصُ"
 يَأْخُذُ قَلْبِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ

* ديوانه "بَدَأْتُ مَعَ الْبَحْرِ"، ط1/فبراير 5/102 الإصدار (221) مع مجلة "دُبي الثَّقَافِيَّة" دُبي.

سلامٌ عليّ إذا ما بدأتُ الحياةَ،
سلامٌ على الأهلِ،
قالوا: انطلقِ
سلامٌ على قريتي،
وهي تنفضُ عنها نُعَاسَ النَّخِيلِ،
وتلبسُ فَجَرَ البَدَدِ
سلامٌ إذا ما بدأتُ أُطَارِدُ أرغفةَ الصَّبْرِ
يومَ الأَحَدِ
سلامٌ على البدءِ والمُنْتَهَى
على الأرضِ حينَ تُفْتَشُّ عن ضِحْكَةٍ فوقها...

عالمُ المجدِ* د. عبد الحكيم الزبيدي

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ أَخْلَاقِ آبَائِي،

وَأَجْدَادِي تَرَفَّقُوا.

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ

كَيْفَ الْخَيْرِ فِيهِمْ يَتَدَفَّقُ.

أَنْتَ لَا تَدْرِي

بَأَنَّ التَّوَرَ مِنْ كُتُبَانِهِمْ لَلْكَوْنِ أَشْرَقُ.

حَمَلُوا الْهَدْيَ، وَسَارُوا،

يَنْشُرُونَ الْعَدْلَ وَالْحَقَّ.

أَيْنَمَا حَلُّوا، أَقَامُوا،

عَلَّمَ الْأَخْلَاقِ يَخْفِقُ.

بَسَطُوا السُّلْمَ،

فَأَضْحَى الْكَوْنُ بِالْأَمَالِ يَبْرِقُ.

نَشَرُوا الْعِلْمَ فَقَامَتْ نَهْضَةٌ

فِي عَالَمِ الْمَجْدِ تُحَلِّقُ.

وَتَسَامَتْ دَوْحَةُ الْحَقِّ،

* مختارات شعرية "خفقات القلب الشعاري" للدكتور شهاب غانم، منشورات: دار الهدى، دبي، ط 6102/1

وَطالَتْ،

غُصْنُهَا الْمُثْمِرُ أَوْرَقٌ.

يَتَفَيَّا ظِلَّهَا الْغَادُونَ وَالْعَافُونَ،

بِالْحَيَّرَاتِ تُغْدِقُ.

لَا فَقِيرٌ يَشْتَكِي الْجُوعَ،

وَلَا خَائِفٌ يَفِرُّ.

يَنْعَمُ الْكُلُّ بِأَمْنٍ

وَسَلَامٍ دَائِمٍ فِيهَا

وَمُطْلَقٍ.

وردة أمي* د. راشد علي عيسى

جاء عيدُ الأمِّ يا أمِّي
فَرَّقِي، واحْضِنِي،
واقْبَلِي الوردَةَ مِنِّي،
واغْفِرِي،
وَدَعِينِي أَتَهَجِّي قَلْبِكَ العَالِي؛
لأنْجُو من غَوَايَاتِ يَدِي،
أَجَلِّي حُزْنِكَ يا أمِّي قَلِيلًا
وابْسِمِي لي
فَلَكُمْ أَشْتَاقُ لِلطُّفْلِ الَّذِي غَادَرَنِي
بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ذِرَاعَاكَ سَرِيرِي
وَصَدَى صَوْتِكَ فِي البَيْتِ تِرَانِيمَ غَدِي...
جاءَ عيدُ الأمِّ يا أمِّي
فَرَدَّيْنِي إِلَى عَهْدِ الطُّفُولَةِ
لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّ العُمَرَ كَالوَرْدِ
سَيَذْبَلُ
وَرُجَاجِي يَتَكَسَّرُ
وَالأَمَانِي البَيْضَ تَرَحَّلُ

* الشاعِر الدكتور راشد علي عيسى، عضو رابطةِ الكُتَّابِ الأُردُنِيِّينَ، وعضو لجنةِ تَأْلِيفِ المَناهجِ في وزارةِ التَّربِيَةِ والتَّعْلِيمِ الأُردُنِيَّةِ، والنَّصُّ من ديوانه (دمعة النمر) منشورات وزارة الثقافة/الأردن/6102.

ها أنا من بعد أن كنتُ بكفِّكَ أُرَبِّي

زهرة الحُلْمِ الجَمِيلَةُ

خَدَعْتَنِي كِدْبَةُ الدُّنْيَا فَتُهْتُ،

وَكَبُرْتُ ..

وَتَوَرَّطْتُ بِأَحْلَامِ الرُّجُولَةِ

فَاقْبَلِي الْوَرْدَةَ مَنِّي .. سَامِحِينِي،

فَعَدًّا أَوْ بَعْدَ شَمْعَةٍ

وَعَدًّا أَوْ بَعْدَ دَمْعَةٍ

سَوْفَ أَغْدُو شَتْلَةً صَفْرَاءَ فِي أَرْضِ الْكُھُولَةِ

أَجَلِي حُزْنِكَ يَا أُمَّ دَقِيقَةٍ

وَاحْضُنِينِي

إِنَّ لِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ كِتَابًا وَنُجُومًا وَحَدِيقَةً

كُلُّ مَا حَوْلِي وَهَمٌّ،

وَحَدِّكَ الْآنَ حَقِيقَةً

فَاقْبَلِي الْوَرْدَةَ مَنِّي، وَاغْفِرِينِي ..



النصوص القصصية

القِصَّةُ القَصِيرَةُ

«القِصَّة» مشتقة من الفعل «قَصَّ»، الذي يأتي بمعنى التَّبَع، يقال: قَصَّ فلانٌ أُنْرَ فلان: أي تَبَّعَهُ. ومنه قوله تعالى في سورة القصص: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾). ويأتي أيضًا بمعنى الإخبار والرواية، يقال: قَصَّ عليه الخبر: أي حَدَّثَهُ، وقَصَّ القِصَّة: أي حكاها. فالقِصَّة: هي الحكاية التي تُحكى.

أمَّا «القِصَّة» في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنَّ معظم هذه التعريفات يؤكد على أنَّ القِصَّة سرد متخيَّل قصير نسبيًّا، يهدف إلى إحداث تأثير معين، وفي أغلب الأحوال تركز القِصَّة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد، في لحظة واحدة، في مكان بعينه. وقد اختصر بعضهم تعريف القِصَّة بقوله «فَنُّ أدبيُّ نثريٌّ يتناول بالسرْد حدثًا وقع، أو يمكن أن يقع».

وأهم ما يمكن أن يقال عن القِصَّة (والرواية كذلك) إنَّها فنٌّ غايته الإمتاع في المقام الأول، فليس من أهداف القِصَّة (أو الرواية) أن تقدم معلومات للقارئ تقديمًا مباشرًا، وليس من أهدافها أن تُعلم أو تعظ. إنَّ القِصَّة فن، والفن لا يتخذ من الخطاب المباشر وسيلة أو طريقة للتعبير والوصول إلى وجدان القارئ.

إنَّ القِصَّة تستحث القارئ على التفكير والتأمل، وعلى أن ينظر إلى الحياة من زوايا مختلفة، ومن خلال تفاصيل صغيرة جدًّا قد لا ينتبه إليها، لكنها تشكل حياة الناس وتؤثر فيهم، لذلك نقول: إنَّ القِصَّة الناجحة هي التي تجعل القراء يفكرون، ويشعرون.

وهناك عناصر أساسية تقوم عليها القِصَّة (أو الرواية)، والكاتب الناجح هو الذي يشكل من هذه العناصر بناءً فنيًّا متجانسًا متماسكًا، يؤثر في القارئ، ويوصل إليه فكرة ما توصيلًا غير مباشر، ومن أهم عناصر القِصَّة:

1. الحدث: عادة ما تقوم القِصَّة القصيرة على حدث مفرد؛ فالقِصَّة تجري في زمان محدد،

ومكان محدد، وتتناول موقفاً محدداً، أو شريحة من الحياة بغية تسليط الضوء عليها.

2. **الشخصيات:** عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القصة، فلا يمكن أن تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنساناً أو حيواناً أو كائناً متخيلاً.

3. **الإطار الزمني والمكاني:** يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفاً يناسب جو القصة، والفكرة.

4. **الراوي ووجهة النظر:** الراوي هو الذي يروي القصة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروى من خلالها القصة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القصة، وقد يكون راوياً خارجياً، ووجهة النظر التي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية؛ لأنها تعبر عنها.

5. **الحبكة:** الطريقة التي يجمع بها الكاتب أحداث قصته أو روايته ليصنع منها عملاً فنياً، يجذب القارئ، ويشده في اتجاه النص من بدايته حتى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القصة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلا أن بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليا، ثم انحدار نحو النهاية.

6. **التشويق:** هو العنصر الذي يشد القارئ نحو القصة وعالمها، وغالباً ما يكون مرتبطاً بشيء تريده الشخصية الرئيسية، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية التي تعتمد على التشويق وتأزم الموقف، خاصة تلك التي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو التي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية» و«قصة حبكة أو حدث». أما الثانية، في الغالب، هي التي قد تحوي عنصر التشويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزم عليا.

7. **الفكرة أو الموضوع:** وهي الرسالة المبطنة في القصة، والتي يريد الكاتب من القارئ أن يصل إليها.

8. **اللغة:** اللغة ترتبط بحجم القصة، ويجب أن تكون مكثفة تعتمد التلميح بدل التصريح؛ فلا مجال للوصف المسهب فيها، وغالبًا ما يتراوح عدد كلماتها بين خمسمئة إلى عشرة آلاف كلمة، وقد تستخدم الحوار الذي يجب أن يناسب الشخصية، مما يفتح الباب للعبارات العامة والشعبية.

ويمكننا أن نجمل القول في القصة فنقول: إنّ القصة لا تتناول -خلافًا للرواية- شخصية كاملة بكل ما يحيط بها من حوادث وظروف وملابس، وإنما تكتفي بتصوير جانب واحد من جوانب حياة الفرد، ولا تتعدد الشخصيات في القصة القصيرة، ومن الضروري أن تتوفر وحدة الفعل والزمان والمكان؛ فيجب أن يكون المكان محدودًا، وأن يكون الزمان قصيرًا، وأن ينتقي القاصّ -عكس الروائي- حدثًا من الحياة اليومية، ويحاول أن يجعل منه موقفًا فنيًا، يوضح به حقيقة من الحقائق.

ولم تعد بنية القصة القصيرة وعناصرها كما كانت وقت ظهورها، فقد اختلفت بعض الشروط، واختلفت بعض العناصر، حتى تكاد كل قصة قصيرة لها شكلها الخاص، ولقد تعددت موضوعاتها وأغراضها ومجالاتها، وتباينت في مدى ارتباطها بالواقع أو ابتعادها عنه.

إنّ الإلحاح السابق على ملحظ التركيز في القصة القصيرة، سواءً أكان في البنية الفنية أم في اللغة، يسوقنا إلى الحديث عن أهم خصائص القصة القصيرة، التي يمكن حصرها، بشكل عام، في ثلاث خصائص:

1. **الوحدة:** وقد أكد عليها كبار الكتاب والتزموا بها، والمقصود بالوحدة هنا: الوحدة العضوية التي تؤدي إلى وحدة الانطباع، والتأكيد على أن تحمل القصة فكرة واحدة، وترتكز على شخصية واحدة في الغالب، وأن تبني بناءً محكمًا يولد في القارئ انطباعًا واحدًا.

2. **التكثيف:** وهو مطلب جوهرى لنجاح القصة فنيًا، ولذلك قال عنها يوسف إدريس «القصة القصيرة رصاصة» انظر كيف تصيب الرصاصة الهدف، فهي ليست حجرًا ولا كرة، بل رصاصة تنطلق لتصيب الهدف بسرعة ودقة تامتين، ولذلك فإن كل كلمة محسوبة في القصة، وكل جملة لها دورها، وليس هناك مكان للاسترسال في الكلام لمجرد أنه كلام جميل أعجب الكاتب، كما أنّ والتكثيف يختلف باختلاف القصة، وطولها، وبنيتها الفنية.

3. **الدرامية:** ويقصد بها التوتر الذي يجعل القارئ يتابع القراءة، ويرغب في الوصول إلى النهاية، حتى لو خلت القصة من الصراع، واعتمدت على أفكار الشخصية الداخلية فإنّ الكاتب الناجح يستطيع أن يشدّ خيط القصة، ويجذب القارئ إلى عالمها. وهناك تقنيات كثيرة تساعد الكتاب على تصعيد درجة التوتر في القصة، كالبداية المثيرة للتساؤل، أو الشخصية المحيرة أو المحتارة، أو الحوار الداخلي، أو حركة الزمان أو المفارقات، وغيرها كثير.

وكما قال النقاد إنّ القصة تأخذ من المسرح دراميتها، ومن الشعر توتره. إنّ القصة القصيرة تفتح نافذة صغيرة للقارئ ليطل منها على مشهد من مشاهد الحياة لم يكن قد فطن إليه من قبل، وكلما زادت النوافذ أتيح لهذا القارئ أن تتوسع نظرتة للحياة، وتزداد عمقًا ومعرفة، وإنّ قارئ الأدب هو إنسان أكثر تسامحًا وتقبلًا للحياة بكل تناقضاتها.



القصة القصيرة

قبل أن تشرع في القراءة،
حاول أن تفكر في العنوان.

نظرة خارج النافذة* (ليندا فون كيزر)

منذ سنواتٍ عديدةٍ حدثتُ حادثَةُ سَيَّارةِ للسَّيِّدِ (شفارز) وزوجتِهِ، نتجَتْ عن هذه الحادثةِ وفاةُ زوجتِهِ، كما أُصيبَ هوَ إصابةً خطيرةً، ومن ذلكَ الحينَ وهوَ يجلسُ في كُرسيِّ متحرِّكٍ، لا يستطيعُ الحركةَ، وهوَ يعيشُ الآنَ معَ ابنِهِ الطَّفلِ الوحيدِ في شقَّةٍ بالدَّورِ الأرضيِّ في مدينةٍ صغيرةٍ وفقيرةٍ، وقد ازدادتْ هذه المدينةُ فقرًا بعدَ الحربِ¹.

كيف توضح هذه الفقرة
العنوان؟.

لقد استيقظ السَّيِّدُ (شفارز) هذا الصَّبَّاحَ مبكرًا بعدَ ليلةٍ سيِّئةٍ؛ لم يستطعَ فيها التَّومَ؛ وذلكَ من شِدَّةِ الأرقِ والأحلامِ السيِّئةِ، ثمَّ تحرَّكَ بكرسيِّه المتحرِّكِ تجاهَ المطبخِ، حيثُ أعدَّ لنفسِهِ فنجانًا من القهوةِ، وذهبَ بكرسيِّه المتحرِّكِ تجاهَ النَّافذةِ المُطلَّةِ على الشَّارعِ؛ كي يراقبَ حركةَ المارَّةِ في الشَّارعِ.

لقد اعتادَ أن يرى النَّاسَ مسرعينَ مهرولينَ إلى أعمالِهِم، كما اعتادَ أن يرى ربَّاتِ البيوتِ وهنَّ يتسوقُنَ، ويشترينَ الخبزَ من المخبزِ، كذلكَ العصافيرَ التي راحتْ تصوِّصُ بأصواتٍ عاليةٍ مبتعدةً عن القططِ التي كانتْ تتربَّصُ بها بغيةً اقتناصِها وافتراسِها، ثمَّ يجيءُ في الشَّارعِ مسرعًا كلبٌ وقد وضعَ الجريدةَ في فيه؛ لكي يعطيها للسَّيِّدِ، كذلكَ رأى حمامةً وهي بجوارِ العصافيرِ تأنسُ بصياحها وضجيجها.

حاول أن ترسم صورة عن
عاملة النظافة: أسرتها، بيتها،
هل لديها أطفال؟ عمرها،
صحتها...

على الجهة الأخرى من المنزل كان هناك منزلٌ به العديدُ من المكاتبِ، وأمَامَهُ رصيفٌ، تأتي كلُّ يومٍ عاملةُ نظافةٍ تقومُ بتنظيفِ هذا الشَّارعِ، وكذلكَ الرِّصيفِ. كانتْ هذه العاملةُ ترتدي دومًا ملابسَ خضراءَ، سواءً أكانتْ في الشَّتاءِ أم في الصَّيفِ، لقد كانتِ العاملةُ تنظفُ كلَّ بلاطةٍ على حدةٍ بإتقانٍ وإمعانٍ، وكانَّها تقومُ بتنظيفِ غرفةٍ معيشةٍ في بيتِ شخصٍ نبيلٍ، كانتْ بلاطاتُ الشَّارعِ من الجرانيتِ، وكانتْ ذاتُ ألوانٍ مختلفةٍ؛ فواحدةٌ لونها أسودٌ، تليها

(1) الحرب العالمية الثانية.

* من المجموعة القصصية "العالم من خلال قلوبهم"، للكاتبة (ليندا فون كيزر)، ترجمة أشرف أحمد، المركز القومي للترجمة.

أخرى ذات لونٍ أحمر، ثمَّ أخرى ذات لونٍ أحمرٍ متقاطعٍ مع اللونِ الأسود.

وهكذا حتّى نهاية المنزل الذي يحتوي على المكاتب. في البداية كانت بلاطات الشارع متساويةً وملساءً، ولكن مع مرور الزمن أصبحت خشنةً وغير متساوية، واعتقد السيّد (شفارز) أنّه ربّما كثرة التظافة التي قامت بها عاملة التظافة، قد أدت إلى هذا؛ إذ إنّها كانت تنظف كل حجرٍ على حدة، كما كانت تعرف كل حجرٍ، وكأنّها على علاقة حميمة بكلّ منها. لقد رأى السيّد (شفارز) بلاطات الشارع بأعين عاملة التظافة التي راح يتابع كل تحركاتها في الشارع دون أن تشعر به.

كانت البلاطات مستديرةً وكبيرةً، وكان على عاملة التظافة أن تنظفها بحركة دائريّة، حتّى تجمع القمامة من حولها، ثمّ تعرفها بجاروفها، لقد استغرق كل ذلك من العاملة ساعةً ونصف الساعة كلّ صباح، ثمّ ترحل العاملة حاملةً جاروفًا وجردل المياه ومقشّة وخرقةً باليةً لتنظف بها القاذورات، بعد ذلك يتحرك السيّد (شفارز) داخل مسكنه، فيوقظ ابنه كي يعدّ له الإفطار، ويذهب إلى المدرسة.

هكذا كان البرنامج اليومي للسيّد (شفارز) منذ عامين. وفي ذات صباح نظر السيّد (شفارز) خارج التافذة كعادته، ولكنّه لم ير عاملة التظافة، ممّا أصابه بالدهول؛ لقد اعتاد السيّد (شفارز) أن يرى هذه السيّدة كلّ صباح، سواءً أكان ذلك شتاءً أم صيفًا، لقد أعطت حياته معنىً وقيمةً، كان يشعرُ بهما دون غيره.

ما المعنى والقيمة اللذان
أعطتهما عاملة النظافة لحياة
السيد شفارز؟

وبدلاً من هذه السيّدة النشيطة جاء عامل التظافة الذي كان ينظف المجلس المحلي، وسكب الماء في الشارع مرّةً واحدةً، ومرّر عليه المساحة، وفي خلال اثنتي عشرة دقيقةً انتهى من نظافة الشارع، ولم يعجب هذا العامل المهمل السيّد (شفارز)، ولم تأت عاملة التظافة في الغد، وكذلك لم تأت بعد غدٍ.

ما الذي يصوره لك اهتمام
السيد شفارز بعاملة النظافة؟
هل الأمر يستحق؟

وراح السيد (شفارز) يفكر: ماذا عساه أن يكون قد حدث مع هذه السيدة؟ هل تركت العمل، ولن تعود مرة أخرى؟ هل طردت من العمل؛ لأنها كانت تؤديه بإتقان زائد على الحد؟ عند ذلك رجا ابنه أن يسأل عن هذه السيدة.

فذهب الطفل إلى بواب العمارة المقابلة ذات المكاتب الكثيرة، فأخبره البواب بأن العاملة مريضة، وأعطاه عنوانها. عند ذلك قرّر السيد (شفارز) أن يرسل لها ابنه؛ لكي يخبرها بأنه يفتقد لها في عملها، وأنه يُقدّر عملها تقديرًا كبيرًا، ثم اشترى السيد (شفارز) عسلًا وقربةً للتدفئة وبعضًا من الكعك وعُلب شاي طبيّ، وأعطاهما جميعًا لابنه كي يهديها إلى عاملة النظافة في بيتها، كما أنه لم ينس أن يصنع بطاقةً داخل هذه الهدية، مكتوبًا عليها اسمه وتمنياته لها بالشفاء.

ذهب الابن بالهدية إلى منزل سكني بالدور الخامس؛ مقرّ سكن عاملة النظافة، فكانت راقدة على سريرها، فاقدة كل رغبة في الحياة أو العمل، تُعاني السعال وارتفاع درجة الحرارة، كذلك كانت تُعاني من صعوبة التنفس وضيق في الصدر.

إنها لم تشتري طعامًا منذ عدّة أيام، ولم يكن لها أقارب كي يشتروا لها طعامًا، حتى طرق الصبي الباب، وأحضر لها الهدية، ولم تكن تعرف ممّن هذه الهدية، اعتقدت أنها في حلم، ثم فتحت الكرتونة، ورأت البطاقة الخاصة بالسيد شفارز، والذي كان مكتوبًا عليها "السيدة ذات الرداء الأخضر! إنني أحد المعجبين الصامتين، إنني أراك كل يوم تعملين بنشاط، وأعجب بإتقانك العمل واعتنائك بالأحجار، إنني مُجبّب لها، خصوصًا الجرانيت الأحمر، وكذلك الأسود، وكذلك الأحجار المشطوفة في الأجناب، حتى وإن كانت غير مريحة في أثناء السير عليها، بالرغم من أنني لا أستطيع السير منذ عدّة أعوام، ولكنني أرى جيّدًا، حيثُ أسكن في الجهة الأخرى من الشارع. إن هذه الأحجار تفتقدك مثلي تمامًا، أرجو أن تشفي بسرعة، وتعودي إلى عملي بسرعة، إنّ عامل المجلس المحلي لم يُقّم بعمله بحبّ وإتقان مثلك، مع

تميّاتي لك بالشفاء العاجل."

عندما قرأتِ العاملةُ الرسالةَ فرحّتُ بها، وغمرها شعورٌ مُريخٌ، وراحتِ تقولُ لنفسِها: مَنْ كانَ يعتقدُ هذا؟ مَنْ كانَ يفكّرُ أنّ هناكَ أناسًا يُقدّرونَ عملي، ويحترمونه؟! ونهضتُ من سريريها، ووضعتِ الماءَ على (البوتوجاز) كي تصنعَ منه ماءً ساخناً في قربةِ التدفئة، وكذلك وضعتُ منه في فنجانٍ كبيرٍ بعضاً من الشاي الطّبيّ، ووضعتُ بهِ ملعقةً من العسلِ، وراحتِ تشربُ الشاي، وتستنشقُ نكهته، وتُحدّثُ نفسها قائلةً: إنني أرقدُ هنا مريضةً فاقدةً الرغبةِ في الحياة!! بينما يوجدُ أناسٌ بجواري يحبّونني، ويقدّرونَ ما أقومُ بهِ من عملٍ، إنّ هذه الحياةَ تستحقُّ أن أحياها، إنني لا بُدَّ أن أُشفى، كي أعودَ إلى عملي وأصدقائي!!.

ما الذي فكرت به وأنت تقرأ
الفقرة الأخيرة من القصة؟

علامة تعجب فاطمة الكعبي

الوقتُ بدا لي كسلحفاةٍ تحبو بكسلٍ، وأنا لم أكفَّ عن التثاؤبِ لحظةً، رغمَ ركلاتِ جنيني وهو يعلنُ تدمره، وضعتُ يدي على بطني، وأنا أتمنى لو باستطاعتي الاستلقاء على ظهري حتى يحينَ موعدِي في صرفِ الدواءِ.

نظراتُ العجوزِ ذاتِ البرقعِ الأخضرِ اللامعِ تستفزني، يبدو أن منظرِي هكذا - كاشفةً عن وجهي لا يروقُ لها كثيرًا، أدزْتُ وجهي عنها، وما إن فعلتُ حتى قفزتُ من مقعدها بخفةٍ لا تناسبُ عمرها، وجلستُ بجوارِي.

منذُ ربع ساعةٍ وأنا أنتظرُ دوري.

هكذا، بلا مقدماتٍ بدأتِ الحديثَ، وهي تحشرُ جسدها في فراغٍ صغيرٍ بجانبِي على الكرسي الخشبيِّ، ثمَّ أردفتُ تشتمُ إدارةَ المستشفى، وتبدي رأيها في نظامِ الأرقامِ الجديدِ في الانتظارِ الذي تراه يؤخِّرُ الناسَ كثيرًا. ساءني رأيها، وأنا أتخيّلُ نفسي أفقُ لدى شبّاكِ الصيدليّةِ وسطَ أكوامِ من النساءِ بانتظارِ حفنةٍ فيتاميناتٍ.

بالعكسِ، أنا أرى أن هذا النظامَ أفضلُ بكثيرٍ، على الأقلِّ لمن مثلكِ ومثلي ممّن لا يقوِّينَ على الوقوفِ والزحامِ كثيرًا.

تبدي تبرّمها كتعليقٍ، يبدو أن طفلي لم يستسغها مثلي؛ فقد عاودَ رفاي ما إن سمعَ صوتها الحادَّ، وهي تسألني أسئلةً كثيرةً، وترجّني في أحاديثٍ فارغةٍ. اكتفيتُ بردودٍ مقتضبةٍ حتى بدأتُ تشعُرُ أن الحديثَ معَ امرأةٍ مكوَّرةٍ مثلي بالكادِ تلتقطُ أنفاسها لن يكونَ ممتعًا، فصمتتُ عني، واكتفتُ بمراقبةِ الناسِ المارينَ من أمامنا، معَ بعضِ تعليقاتٍ لا تخلو في أغلبها من تهكّمٍ.

- لو كانَ أبوكَ معنا!

حدّثتُ جنيني، وأنا أرى عددًا من الرجالِ يرافقونَ زوجاتهم في فحوصاتِ الحملِ، شعرتُ بوخدةٍ قاسيةٍ تشبهُ اليثمَ، وتمنّيتُ لو يرافقني مرّةً في هذه

إلامَ يشيرُ تدمرُ المرأةِ
العجوزِ من النظامِ الجديدِ؟

وضَّح العلاقة بينَ مشاعرِ
المرأةِ المساءةِ، وبينَ موقفِ
زوجها من مرافقتها إلى
المستشفى؟

ما رأيك في موقفِ الزوج؟

الفحوصات الشَّهرية؛ يدخلُ معي إلى غرفةِ الكشفِ، يشاهدُ ابنه المتكومَ في
بطني، أو -حتَّى- ينتظرني عندَ البابِ بشغفٍ، ويسألني بلهفةِ الزوجِ وحرصِ
الأبِ.

- لديكِ السائقُ... يوصلُك أينما تريدينَ.

كانتِ الصَّحيفةُ حائطاً بيننا، تطالعُني بوقاحةٍ وهي بينَ يديه.

- أنتِ زوجي، وليسَ السائقُ.

يتأقَّفُ، وتأقَّفُ العجوزِ ونظراتُها التي تنهشُ المازةَ تزيدُ من ضيقي، كما
تشعرُني تعليقاتُها اللاذعةُ بالصَّجَرِ.

- لا وقتَ لديّ..

أنا التي لديّ منَ الوقتِ تسعةُ أشهرٍ أحملُ فيها ابنكَ بينَ أحشائي، لا
يهُمُّكُ خلاؤها سوى سؤالٍ واحدٍ:

- ولدٌ أم بنتٌ؟

يداهُمني الأسي كلِّما حرثتُ ذاكرتي في مواقفَ لا جدوى منها، أحاولُ
إقضاءَها عن تفكيري وأنا أعاودُ تقليبَ الورقةِ التي تحملُ رقمي، وأقارنُها بالرقمِ
الذي كانَ يضيءُ الشَّاشةَ السوداءَ بجانبِ الصيدليَّةِ، ولما هممتُ بالتهوُّضِ
أعادتني العجوزُ بيدها وهي تشيرُ:

- انظري!

نظرتُ إلى حيثُ أشارتُ، فرأيتُ امرأةً تسيِّرُ برفقةِ زوجها، شعزتُ بالغيرةِ،
ولم أستطعُ إبعادَ نظري عنهما، والعجوزُ تتمتُّ بكلماتٍ متداخلةٍ لم أفهمها، ولكني
استشعرتُ ضيقها، ظلَّتْ نظراتُنا معلقةً بهما حتَّى اختفيا، فلتتُ من بينِ شفطي
تنهيدةً طويلةً، بينما نفثتِ العجوزُ غيظها في برقعها، وعلقتُ عليهما بهتكم:

- (وين احنا)؟ في (باريس)!

ما رأيك في تعليقِ العجوزِ؟

شنتني عبارتها، فحدقتُ في تغصناتِ وجهها بدهشةٍ، قبلَ أنْ أغادرها
بعجلٍ دونَ أدنى تعليقٍ.

رَأَيْتُ النَّخْلَ*

رضوى عاشور

علام يدل توقّف فوزية عند
الشجر؟

طال الشتاء فلم أعد قادرة على الانتظار، فلبست معطفي القديم، وربطت رأسي بمنديلي الصوفي، ونزلت إلى الشوارع أقطعها، وأتوقّف عند الشجر، أنظر، وأتحقّق، وعندما تفشل عيناى في رؤية شيء على الفروع الجافة، أمدّ يدي، أجسّ، وأتحسّس، وأحياناً كانت يداى تتوقّفان، ويخفق قلبي، ثمّ أكتشف أنّ ما وجدت ليس هو المنشود، بل مجرد عقدة على فرع جافّ، ولكنني كنت واثقة أنني سأجدها، أقصد الكرويات الصلبة الدقيقة التي يخدعك لونها في البداية فتظنّها لا شيء، ولكنك لو دققت النظر وجدتّها كروية، ورماها ليس رمادياً، ولا جفافها جفافاً، عليك أن تتابعها، وتنتظرها تكبر، وتتفتح، وتكشف لك عن أخضرها الكامن.

كنت أبحث عنها عندما رأني ذلك الرميل، فقال:

- فوزية، ماذا تفعلين في الشارع في هذا البرد الشديد، كل الناس تلزم بيوتها؟
قلت:

- أبحث عن البراعم!

فهتف:

- والله إنك مجنونة يا فوزية!

كان يمزح، أذكر بوضوح أنّ صوته كان ضاحكاً، وأنّ النظرة في عينيه كانت دافئة وودودة.

وفي نهاية يوم قضيتُه أبحث، عدت إلى بيتي خائبة، أتساءل إلى متى؟ ساعتها تذكرت زهرة الصبار التي حملتها لي عمّتي فاطمة من البلد، وكنت قد وضعتها بجوار الباب، ونسيتها، وعندما تذكرت، قلت لنفسى: لا بدّ أنّها ماتت، فأنا لم أسقها منذ عدّة شهور، ولكنني قمت لأراها، كان طينها قد

* من مجموعتها القصصية "رأيت النخل"، دار الشروق، مصر.

جَفَّ، وتَشَقَّق، وأصْبَحَ في لونِ البُنِّ الأشقرِ، وعودُها يَبَسُّ، واصْفَرَ، رَغِمَ أَنَّهُ
نَمَا، وطَالَ، وكَانَتْ أوراْفُها ذاتُ الحوافِ الإبريَّةِ على حالِها ناهضةً، تَتَفَرَّعُ من
الساقِ عريضةً، وتفتَحُ إلى الأسفلِ ربيعةً ومُدبَّبةً، وكَانَتْ صِبَارَةً عَمَّتِي تستوي
على سوقِها خضراءَ، رَوَيْتُهَا.

أَحْبَبْتُ الزَّرْعَ، وصَزْتُ أزرُعُ في آنيةٍ مِنْ فَخَّارٍ، في علبَةٍ فارغةٍ، في كَوْبٍ،
في أيِّ شيءٍ يصلحُ للزَّرْعِ، أملأُهُ بالطَّينِ، وأُتْبِتُ في العَمقِ اللَّازِمِ نواةَ ثَمرةٍ،
أَوْ فرعًا أخضرًا، وأروي.

أَيَّامَهَا، لَمْ يُقَلْ لي أَحَدٌ إِنَّني مجنونةٌ، ولكنَّهُم قالوها بعدَ ذلكَ، يومَ حملوا
لي خبرَ وفاةِ ابنِ عَمِّي:
- ماتَ ابنُ عَمِّكَ يا فوزيَّةُ.

- ماتَ؟

فلَمَّا أَكَدوا الخَبَرَ طَلَبْتُ منهم أنْ ينتظروا كي أَصحبَهُم لتقدِيمِ واجبِ العزاءِ.
رأوني أَقْرِضُ أَمامَهُم، وأُملأُ علبَةً فارغةً بالطَّينِ، وأرَشُقُ فيه عودَ ريحانٍ، وأُتْبِتُهُ
بالضَّغَطِ المُتكرِّرِ بِقبضتِي على الطَّينِ حتَّى يُمِسِكَ بالفرعِ تامًّا، ويحتضنُهُ،
ويتماسكُ، ثُمَّ غمرتُهُ بالماءِ، وَقُلْتُ:
- الآنَ بإمكاننا أنْ نذهبَ.

لَمْ فعلتُ فوزيَّةُ ذلكَ؟

رَأَيْتُهُمْ يَضربونَ كَفًّا بكفِّ، وسمعتُهُم يقولونَ: "جَنَّتْ فوزيَّةُ، وَعَوَضْنَا على
اللَّهِ"، ولم أفهمَ لماذا قالوا ذلكَ؟ واستغرَبْتُ أَكثَرَ عندما سمعتُ أحدهمُ
يهمسُ: "فوزيَّةُ تُقلِّدُ الأَغنياءَ الَّذين يُزَيِّنونَ بيوتَهُم بالتَّباتِ!"، استغرَبْتُ؛ لأنَّهُ
مِنْ قريتنا، ويعرفُ، فنحنُ فلاحونَ، صحيحٌ أَنَّ النِّساءَ في عائلتنا الصَّعيديَّةِ
لا يخرُجنَ إلى الحقولِ للفلاحةِ، ولكنَّ الفلاحةَ هي حياتُهُنَّ التي يفتَحْنَ
عيونَهُنَّ عليها، وَيغمضنَ ساعةَ الموتِ عيونَهُنَّ عليها أيضًا، وأنا أَذكرُ أَنَّ بيتنا
في القريةِ كَانَتْ على سطحِهِ نعاةٌ، وفي قاعِهِ صِبَارَةٌ، وبِبابِهِ نخلةٌ، وأذكرُ
أَنَّ أباي -رحمَهُ اللهُ- كانَ يقولُ: إِنَّ النخلةَ شَجرةٌ مُباركةٌ، أنعمَ اللهُ بها على
عبادِهِ، وَكرَّمَهَا بِذِكْرِها في القرآنِ، وإنَّ النَّبيَّ -صلواتُ اللهُ عليه- قالَ: "أكرموا

لماذا كانتِ النسوةُ يستغربنَ
مَنْ فعلَ فوزيَّةُ؟

عَمَاتِكُمْ النَّخْلَ¹، وإِنَّهُ سَمَى النَّخْلَ عَمَاتِنَا؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ، وَأَنَّهَا تُشْبِهُ الْإِنْسَانَ، خُلِقَتْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، طَوِيلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ الْقَدِّ، وَجَمَارُهَا عَلَى رَأْسِهَا، كَعَقْلِ الْإِنْسَانِ فِي رَأْسِهِ، إِنْ أَصَابَهُ سُوءٌ هَلَكَ.

كَانَ أَبِي يُوَصِي أَخَوِيَّ بِالنَّخْلِ، كَمَا كَانَتْ أُمِّي تُوصِينِي كُلَّ فَجْرٍ، وَهِيَ تُتْلِي تَعْلِيمَاتِهَا الْيَوْمِيَّةَ بِكُنُسِ الدَّارِ، وَإِطْعَامِ الدَّجَاجِ، وَأَنْ أُسْقِيَ التَّنْعَانَةَ، وَعِنْدَمَا كُنْتُ أُنْسَى -كُنْتُ دَائِمًا عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِي، أُوَدِّي تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ- كَانَتْ تَغْضَبُ، وَيَعْلُو صَوْتُهَا مَوْبِخَةً: "حَرَامٌ عَلَيْكَ يَا بُنَيْتِي، هَذَا فَالٌ سَيِّئٌ، رَبُّنَا يَمُدُّ فِي عُمْرِ أَبِيكَ، وَيُبْقِي الدَّارَ عِمَارًا"، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمُدَّ فِي عُمْرِهِ، وَلَا فِي عُمْرِهَا، حَتَّى أَحْوَايَ ذَهَبَا، فَأَصْبَحْتُ أَنَا -بَعْدَ أَنْ أَقْمْتُ فِي الْقَاهِرَةِ- كَالْمَقْطُوعَةِ مِنْ شَجَرَةٍ، وَبَدَأَ أُنْتِي نَسِيْتُ التَّنْعَانَةَ وَالصَّبَارَةَ وَالتَّخْلَةَ، وَكُلَّ شَيْءٍ.

ثُمَّ جَاءَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ لِزِيَارَتِي، وَضَمَّتْنِي إِلَى صَدْرِهَا، وَبَكَتْ عَلَى خَرَابِ بَيْتِنَا الَّذِي انْطَفَأَتْ نَارُهُ، وَجَفَّتْ صَبَارَتُهُ، ثُمَّ كَفَكَفَتْ دَمْعَهَا، وَتَرَبَّعَتْ عَلَى الْبَسَاطِ الْأَسْيُوطِيِّ، وَفَتَحَتْ السَّلَّةَ الَّتِي حَمَلَتْهَا مَعَهَا لِلزِّيَارَةِ. قَالَتْ: "أَحْضَرْتُ لَكَ رَغْفَانًا خَبَزْتُهَا، وَتَمْرًا مِنْ نَخْلَةِ أَبِيكَ، وَكَسَرْتُ لَكَ فَرْعًا مِنَ الصَّبَارَةِ الَّتِي فِي دَارِنَا"، وَمَدَّتْ عَمَّتِي لِي يَدَهَا بِالصَّبَارَةِ، وَهِيَ تَقُولُ، وَالِدَمُوعُ مَا زَالَتْ فِي عَيْنَيْهَا: "الصَّبَارَةُ الَّتِي فِي دَارِنَا كَسَرْتُهَا لِي أُمِّي مِنْ صَبَارَتِهَا يَوْمَ تَزَوَّجْتُ، وَانْتَقَلْتُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِي، هَذِهِ إِذْ صَبَارَةٌ جَدَّتِكَ، وَجَدَّةُ جَدَّتِكَ، رَبُّنَا يُبَارِكُ فِيكَ يَا فَوْزِيَّةَ، يَا بُنَيْتِي، وَيَحْفَظُ لَكَ الدَّارَ عِمَارًا".

دَكَرْتُني عَمَّتِي، وَلَمَّا تَذَكَّرْتُ زَرَعْتُ، فَقَالَ النَّاسُ عَنِّي: مَجْنُونَةٌ.

فِي الْعَمَلِ أَيْضًا، يَتَهَامِسُونَ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَذَاتَ مَرَّةٍ، قَالَتْ لِي زَمِيلَتِي:

- انظري يا فوزية إلى يديك.

فَفَهِمْتُ أَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى الْخَطُوطِ السَّوْدَاءِ تَحْتَ الْأَظْفَارِ، فَقُلْتُ: "هَذِهِ لَيْسَتْ وَسَاخَةً، إِنَّهُ طِينٌ مُتَخَلِّفٌ مِنَ الزَّرْعِ الَّذِي أزرَعُهُ".

(1) ورد الحديثُ بعبارة "أكرموا عُمَّتَكُمْ النَّخْلَةَ"، وهو حديثٌ ضعيفٌ. (انظر "زاد المعاد"/الجزء الرابع/663/4).

قالت لي، وهي تُرَبِّتُ على كَتْفِي: "لا يَلِيقُ، لا يَلِيقُ أبداً، وأنتِ موظفةٌ!".

لا أفهمُ ما الذي يسيءُ زُملائي عندما أزرعُ. المكان الذي نعملُ فيه مُعتمٍ وقديمٌ، تساقطَ طلاءُ جدرانِهِ، ونسجَ العنكبوتُ خيوطَهُ في الزوايا، وعشَّشتُ فيه الحشراتُ، وأنا واثقةٌ أنّ الفئرانَ لها جحورٌ فيه تتركُها في المساءِ والليلِ، وتسرحُ بينَ المكاتبِ بلا ضابطٍ، وكلُّ يومٍ أحمدُ اللهَ أنها لم تقرضْ بعدُ أيّاً منْ أوراقِ الملقّاتِ التي في عُهدتي: الملقّاتُ الزمادِيَّةُ القديمةُ المصفوفةُ على رفوفٍ خشبيَّةٍ مُتآكلةٍ، يصعبُ معرفَةُ لونِها الأصليِّ، وحتى المساحةُ المُستطيلةُ التي أمامَ المبنى، والتي تُشيرُ إليها بـ "الحديقة" يُغطيها طفحُ المجاري، فلا نستطيعُ دخولَ المبنى أو الخروجَ مِنْهُ إلاّ بالسَّيرِ الحذرِ على خمسةِ أحجارٍ مُتجاورةٍ تُشكِّلُ جسراً إلى عتبةِ البابِ.

لم أقصُرْ مع زُملائي، وعندما وجدتُ الوضعَ على ما هو عليه زَرَعْتُ ثلاثَ شجراتٍ من الياسمينِ الهنديِّ، وتعهَّدْتُها، فلَمَّا نَمَتْ، وتكاثفتُ أوراقُها حَمَلْتُها إلى المكتبِ، ووضَعْتُها مُتجاورةً في الشَّرْفَةِ الوحيدةِ التي بالمبنى، ولكنْ زُملائي لم يلتفتوا لجمالِ الياسمينِ حتى عندما أزهَرَ، مع أنّهم التفتوا للطينِ تحت أظفري.

مادلالةُ زراعةِ الياسمينِ في المكتبِ؟

في عملي، لا يفهمونني، ولا في الحيِّ أيضاً. سَمِعْتُهُمْ بأذني يقولون: "فوزيَّةُ المجنونةُ التي تُلقِي بِنَفْسِها على نوى التمرِ كأنَّهُ جُنيهاً الذهبِ، وهُم يستغربون سلوكي، فالواحدُ منهم يأكلُ البلحةَ، ويلفظُ التواةَ، يبصقُها مِنْ فَمِهِ فتسقطُ بعيداً، أو يبصقُها في يَدِهِ، أو يرميها بعدَ ذلكَ بطولِ ذراعِهِ فتسقطُ أبعد.. أركضُ لألتقطَها، وأُخبئُها في جيبِي العميقة، وعندما أرجعُ إلى البيتِ أضعُها في قنينةٍ مُبلَّلةٍ أربعةَ أو خمسةَ أيَّامٍ، وأتعهدُها كلَّ يومٍ، وأتابعُها وهي تنتفخُ، وتلينُ حتى أمسَ بيدي طراوتها، فأعرفُ أنّ الوقتَ قد حانَ، وبعدَ ذلكَ أدفنها في الطينِ، وأغمرها بالماءِ.. وانتظرُ.

لماذا يتهمُ النَّاسُ فوزيَّةَ بالجنونِ؟

كُنْتُ أتمنى أن يكونَ بيتي فسيحاً تُحيطُ بِهِ أرضي، فأزرعُها، ويحزنُني أَنَّهُ يتكوَّنُ مِنْ حجرةٍ واحدةٍ، وأنَّ شرفتهُ الوحيدةَ ضيقةٌ إلى هذا الحدِّ، ولا تتسعُ لكلِّ ما أزرعُ.

في الماضي كنتُ أضغُ أضغَ الزرع على سور الشرفة، ولكنني عدلتُ عن ذلك؛ لأن الصغار العابثين كانوا يرمونها بالحجارة. أول مرةٍ وجدتُ أصيصَ زرعٍ مُحطَّمًا، والعودُ المزروع فيه مكسورًا، ذابل الأوراق، فكزتُ فيهم، ولكنني قلتُ لنفسِي: "إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ"، فلما تكرر الأمرُ تأكدتُ، وتأكدتُ أكثرَ عندما أخذ الصغارُ يضايقونني وأنا عائدةٌ إلى البيتِ، أحملُ صفيحةً أو صفيحتين من تلك الصفائح الكبيرة التي تُستخدمُ في حفظِ الجبن الأبيض، أو الزيتون - كان العمُّ متولِّي البقالِ يُعطيها لي لكي أزرع فيها - وعندما وجد أنني لا أشتري منه الصابونَ المعطَّرَ والجبنَ المستوردَ المُغلَّفَ بأوراق فضيَّةٍ وذهبيَّةٍ غضبَ، واستاء، ولم يُعدْ يُعطيني الصَّفائحَ، ذلكَ رغمَ تأكيدي له أنني لا أشتري هذه الأشياءَ، لا منه، ولا من سواه؛ لأنها غاليةٌ، وراتبي قليلٌ، وعندما كان العمُّ متولِّي الصَّفائحَ كان الأولادُ يمشونَ ورائي، ويزقونني، ويقولون: المجنونة... راجعةٌ، وماسكةٌ في يدها صفيحٌ، (عقل ما فيش، مُخ ما فيش)، (مُخ فالصو، وعقل صفيح).

مارأيك في تصرفِ صاحبِ الدكانِ؟

كان سلوكُهُم يُحزُنني، فأشعرُ بغصَّةٍ في حلقي، ورغبةٍ في البكاء، إلا أنني لم أكنُ أبكي، بل أنحني، وألتقطُ أولَ حجرٍ في الطريقِ، وألقيه عليهم.

وفي مرَّةٍ من المراتِ ظهرتُ لي أمُّ سليمانَ المرأةَ البدينةُ ذاتُ السنِّ الذهبيةِ، واعترضتُ طريقِي، فقلتُ لها مُعتذرةً:

- أنا آسفةٌ يا أمُّ سليمانَ، لم أقصدِ الإساءةَ، لكنَّ سليمانَ والأولادَ الآخرينَ سَبُوني، وأيضًا يا أمُّ سليمانَ بالأمسِ كسروا آنيةَ الزرعِ التي وضعتها عندَ مدخلِ البيتِ.

فجأتنِي ضحكُها، ولكنني واصلتُ:

- أنتِ أمُّ سليمانَ تقومينَ برعايةِ سليمانَ وحمائتهِ أليسَ كذلكُ؟ اعتبريني أنا أيضًا أمًّا، أنا أمُّ الزرعِ!

لعبتُ أمُّ سليمانَ حاجبِها، وأخرجتُ صوتًا متحشرجًا من حلقيها، وقالتُ:

- "مبروك عليكِ "زرع" يا "أم زرع" تعيشي، وتحببي!"

وأدارت ظهرها، وتركتني، وهي تواصل ضحكاتها العالية المُنيفة، ولم أجد
من أشكو له سوى "أبوي" الذي يعمل أجيرًا في المشتل، ويسكن في كوخ
خشبي في مكان عمله.

في بداية تعارفنا كنتُ أناديه بـ "عم محمد"، وهو يُناديني "الست فوزية"،
ولما تآلفنا، صرْتُ أَسْمِيهِ "أبوي محمد"، وهو يُسَمِّيني "أم أحمد" نسبةً إلى أبي
-رحمه الله- الذي كان اسمه "أحمد".

عندما تضيقُ بي الدنيا أذهبُ إليه، وأشكو.

وعندما أصفو أرى في الأحلام الحقول، فتكونُ الأحلام جميلةً كالحقول، ...
وملونةً.

عندما يكونُ الحقلُ قمحًا أراه كالذهبِ الخالصِ تميلُ به السنابلُ، وتنحني،
وتموجُ في بحرٍ من زعفرانٍ.

وعندما يكونُ الحقلُ ذُرَّةً، أرى الكيزانَ وقد استوت على عيدانها، وسرت
في شواشيها حُمرةً خمريَّةً، فيبدو الحقلُ وهو الأخضرُ بُنيًا أحمرَ كماءِ النيلِ
في الشهرِ التاسعِ، مُثقلًا بالطمي قبلَ الفيضانِ.

هل تؤمنُ بالآثر الذي أحدثته
الزُرْعُ في نفسِ فوزية؟

وعندما يكونُ الحقلُ حديقةً بُرتقالٍ، أرى الشجراتِ صغيرةً ومُدورةً ومُحملةً
بالتُّمارِ، ويكونُ البُرتقالُ على أخضرِ الغصونِ بُرتقالِيًّا، والشمسُ كمثلِه في
الزُرْقَاءِ العاليةِ.

مرَّةً واحدةً رأيتُ التخلَّ غابةً في السحرِ، ولم تكنِ الشمسُ قد أشرقت
بعدُ، ولكنها كانت على وشكٍ، فتخصَّبَ الأفقُ البنفسجيُّ بلونِ الحنَّاءِ. رأيتُ
التخلَّ مُستقيمَ القَدِّ، شاهقَ الطَّولِ، وعميمًا، ورأيتُ وجوهَ أهلي فيه، أبي،
وأُمِّي، وعمَّتِي، وابنَ عمِّي. كانتُ وجوهُهُم خضراءَ شاحبةً بلونِ السَّعْفِ،
ولكنني لم أتحمقُ إن كانوا يقفونَ خلفَ الجذوعِ أم كانتِ الجذوعُ خلفَهُم.

وسَمِعْتُ صوتًا رخيماً ودافئًا كأنه صوتُ مقرئٍ يتلو الآياتِ قبلَ أذانِ الفجرِ،

أَوْ سَاعَةَ السَّحْرِ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: "أَنْتِ يَا فَوْزِيَّةُ عَلَى الْأَعْتَابِ، فَتَهَيَّئِي"، وَلَكْتَنِي صَحَوْتُ، وَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَجِدْ سِوَى الصُّورَةِ الْمُعَلَّقَةِ عَلَى الْجِدَارِ الْقَدِيمِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ كَانَ حُلْمًا، فَانْسَكَبْتُ مِنْ عَيْنِي دَمْعَةٌ ثُمَّ اسْتَجَمَعْتُ نَفْسِي، وَقُمْتُ.

اليومَ جَاءَتْني امْرَأَةٌ تَسْكُنُ فِي الشَّارِعِ نَفْسِهِ، وَقَالَتْ: رَأَيْتُ أُصْصَ الزَّرْعِ فِي الشُّرْفَةِ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ، وَسَأَلْتَنِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ أَنْ أَعْلَمَهَا، فَأَرَيْتُهَا كَيْفَ، وَأَهْدَيْتُهَا عَوْدَ نَعْنَاعٍ كُنْتُ زَرَعْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْنَا، وَتَحَدَّثْنَا.

هل ترى أنَّ خيطَ الأملِ قد
بدأ في الظُّهورِ؟

بم يوحى لك العنوان؟

الهرباء (أنطوان تشيخوف)

عبر ميدان السوق يسير مفتش الشرطة (أنشوميلوف) في معطف جديد، ويحمل في يده لفافة، ومن خلفه يسير شرطياً أحمر الشعر، ومعه غربال مملوء لحافته بثمار عنب الثعلب المصادرة، والشكون مخيم، ولا أحد في السوق، وتطل أبواب المتاجر المفتوحة على العالم بنظرة كابية كالأشداق الجائعة، ولا يوجد بجوارها حتى الشحاذون، وفجأة يسمع (أنشوميلوف) صوتاً يقول:

آه، إذن فأنت تعض أيها المتوحش.. أمسكوه يا أولاد! العض الآن ممنوع!
أمسك! آه!..

ارصد في هذه الفقرة
المبالغات في الوصف.

ويتردد عويل كلب، ويلتفت (أنشوميلوف) فيرى كلباً يركض من مخزن الخطب التابع للتاجر (بتشوجين) وهو يقفز على ثلاث أرجل ويلتفت، ويطارده شخص في قميص من الشيت المنشئ وصديري مفتوح. يركض وراء الكلب، ثم يسقط على الأرض ماداً جذعه إلى الأمام، ويقبض على ساق الكلب الخلفيتين، ويتردد من جديد عويل الكلب وصيحته: "امسكوه". وتطل من المتاجر سحن ناعسة، وسرعان ما يتجمع الناس بالقرب من مخزن الخطب، وكأن الأرض انشقت عنهم، ويقول الشرطي:

يبدو هنا اضطراب يا صاحب المعالي!

ارصد المبالغات في هذه
الفقرة.

ويستدير (أنشوميلوف) نصف دورة إلى اليسار متجهًا إلى الجمع، ويرى بجوار بوابة المخزن مباشرة الشخص المذكور في الصديري المفتوح، وهو يرفع يده اليمنى؛ ليرى الجمع إصبعه المدماة، وكأنما كتب على سحنته: "سوف أريك أيها المتوحش"، وأصبعه نفسها تشبه علامة النصر. ويتعرف (أنشوميلوف) في هذا الرجل الصائغ (خريوكين)، وفي وسط الجمع يجلس المتسبب في هذه الضجة-جرؤ صيد أبيض ذو أنف حاد وبقعة صفراء على

ظهره، ماذا ساقبه الأماميتين، وجسده كله يرتعش، وفي عينيه الدامعتين نظرة حزنٍ ورعبٍ.

ويسأل (أتشوميلوف) وهو يقتحم الحشد:

بأية مناسبة أنتم هنا؟ لماذا هنا؟ وأنت لماذا إصبعك؟.. من الذي صاح؟

ويشرع (خريوكين) في الكلام وهو يتنخخح في قبضته:

كنت سائراً يا صاحب المعالي لا أمس أحداً.. بخصوص الخطب مع (ميتري ميتريتش).. وفجأة إذا بهذا الوغد، ودون أي سبب ينهش إصبعي.. أرجو المعذرة، فأنا رجل، يعني، من العاملين.. وعملي دقيق.. فليدفعوا لي؛ لأنني ربّما لا أستطيع أن أحرّك هذه الإصبع أسبوعاً.. ولا يوجد في القانون يا صاحب المعالي ما ينص على أن يتحمّل الإنسان هذه المخوقات.. فلو أنّ كل واحد أخذ يعض، فالأفضل ألا يعيش الإنسان على ظهر الأرض.

أين تجد المبالغة في كلام خريوكين؟

فيقول (أتشوميلوف) بصرامة وهو يسعل، ويحرّك حاجبيه:

همّ! حسناً.. حسناً.. كلب من هذا؟ أنا لن أدع ذلك هكذا! سأريكم كيف تطلقون كلابكم! أن أن أتبه إلى أولئك السادة الذين لا يريدون أن يمثلوا للقوانين! عندما يدفع الغرامة سيعرف ما معنى الكلاب وغيرها من الدوابّ الصّالة! سأريه العفاريّة الزرق!

أين تجد المبالغة في حركات أتشوميلوف وكلامه؟

ويُخاطب الشرطيّ (يلديرين):

اعرف كلب من هذا، واكتب محضراً! أمّا الكلب فينبغي إعدامه فوراً! لا بدّ أنّه مسعور.. إنني أسألكم: كلب من هذا؟

ويقول شخص من الجمع:

يبدو أنّه كلب الجنرال (جيجالوف)!

ما دلائل ارتباك أتشوميلوف؟ وما دلائل تلوّن موقفه؟

الجنرال (جيجالوف)؟ هَمْ!! انزع عني المعطف يا (يلديرين).. أْف،
يا للحرّ! يبدو أنّ المطر سيسقط.. شيءٌ واحدٌ لا أفهمه، كيف استطاع أن
يعضّك-يقولُ مخاطبًا (خريوكين)-أمنَ المعقول أنّه يطالُ إصبعك؟ إنّه صغيرٌ!
أمّا أنتِ فانظرِ ما طولك! يبدو أنّك جرحتِ إصبعك بمسمارٍ، وخطرث لكِ
فكرةٌ أن تحصلَ على تعويضٍ.. أنتم هكذا.. أعرفكم أيّها الشياطين!

من قائل هذه العبارة؟

يا صاحب المعالي، كان يلسعه بالسيجارة في بوزه ليضحك عليه، فلم
يكذب الكلبُ خبرًا وعضّه.. إنّه شخصٌ مشاكسٌ يا صاحب المعالي!

أنتِ لم تر شيئًا، فلماذا تكذب؟ إنّ معاليه سيّد ذكي، ويعرف من
الكذاب، ومن الشّريف التّقي الضّمير أمام الله.. وإذا كنتِ أكذب فليحكم
القاضي.. فليده مكتوبٌ في القوانين.. الجميع الآن سواسية.. وأنا لي أخ في
الدرك إذا أردت أن تعلم..

ممنوع الكلام!

ويقول الشرطي بنبرة تأمل عميق:

كلّا، هذا ليس كلب الجنرال، ليس لدى الجنرال كلاب كهذه.. كلابه أكثرها
سلوقية..

هل أنت متأكّد؟

متأكّد يا صاحب المعالي..

أين تجد المبالغات في كلام
أتشيولوف؟ ماذا يعكس
ذلك؟

أنا نفسي أعرف ذلك.. كلاب الجنرال غالية، أصيلة، أمّا هذا.. فالشيطان
يعلم ما هو! لا شعر، ولا هيئة.. مجرد حجارة لا غير. أهذا كلب يقتني؟! أين
عقولكم؟ لو أنّ كلبًا كهذا ظهر في بطرسبرج أو موسكو، أتعلمون ماذا كان
يحدث؟ ما كان أحدٌ ليلتفت إلى القانون، بل على الفور.. ولا كلمة! هس!
أنتِ يا (خريوكين) قد تضررت، ولا تدع الأمر يمر هكذا.. ينبغي أن نؤدّبهم..

آن الأوان!

ويقول الشرطي وهو يفكر بصوتٍ مسموعٍ:

وربّما كان كلب الجنرال.. فليس مكتوبًا على سحنته.. رأيت من مدّة كلبًا
مثله في فناء منزله.

ويقول صوت من الحشد:

واضح!.. كلب الجنرال.

هم! ألبسني المعطف يا (يلديرين).. يبدو أن النسيم يهب.. لقد بردت..
احمله إلى الجنرال، واسأل هناك.. قل لهم أيضًا ألا يخرجوه إلى الشارع..
فهو كلب غال، الكلب حيوان مهم.. وأنت أيها المذنب أنزل ذراعك! كفاك
إبرازًا لإصبعك الحمقاء! أنت المذنب!

الكلام هنا كله مبالغات،
ارصدها.

ها هو ذا طبّاخ الجنرال قادم، فلنساله.. إي، يا (بروخور).. تعال هنا يا
عزيزي.. انظر.. انظر إلى الكلب.. أهو كلبكم؟

يا سلام! لم يكن لدينا أبدًا كلاب مثله! فيقول (أثشوميلوف):

ليس هناك داع للسؤال.. هذا كلب ضال! لا داعي للكلام كثيرًا.. إذا قلت
إنه ضال فهو ضال.. ينبغي إعدامه وكفى.

واستطرد الطّباخ:

ليس كلبنا.. إنه كلب شقيق الجنرال الذي وصل من مدّة. جنرالنا لا
يحب كلاب الصيد. أمّا أخوه فيحبها.

ويسأل (أثشوميلوف)، ويفيض وجهه بابتسامة تأثر:

أحقًا وصل شقيق الجنرال؟ (فلاديمير إيفانتش)؟ آه يا ربّي! وأنا لا أعلم!

هل تتخيل المشهد هنا؟
ما الذي يجعلك تفكر فيه؟

هل جاء للزيارة؟

للزيارة..

آه يا ربّي..أوحشهُ شقيقُهُ..وأنا لا أعلم؟ إذن فهذا كلبُهُ؟.. سعيدٌ جدًّا..
خُذهُ.. يا لهُ من كلبٍ شقيٍّ!.. هبشَ هذا من إصْبَعِهِ.. ها.. ها.. ها..

مالك ترتعشُ؟ أوّه إنّه غاضبٌ هذا الماكِرُ.. يا لك من صغير!

ويدعو (بروخور) الكلب، ويمضي معه مبتعدًا عن مخزن الحطَبِ..
ويُفْهقه الجَمْعُ سُخْرِيَةً ب(خريوكين).

ويقولُ لهُ (أتشوميلوفُ) متوعّدًا:

مهلاً، سوفَ أفرغُ لك!

ويمضي في طريقه عبرَ ميدانِ السُّوقِ متدنِّيًا بالمِعْطَفِ.

ما الذي لن يأتي عبر النافذة
في رأيك؟

ما دلالة إشارة بطلة القصة
إلى الزمن بقولها: إنه كعصر
كل يوم؟

ما مصدر الأصوات الأخرى
التي ذكرتها بطلة القصة؟

كيف تصف العلاقة الأسرية
التي كانت سائدة في بيت
بطلة القصة؟

مَا لَنْ يَأْتِيَّ عَبْرَ النَّافِذَةِ جَوْحَةُ الْحَارِثِيِّ

عَصُرُ هَذَا الْيَوْمِ، كَعَصْرِ كُلِّ يَوْمٍ، مُسْتَلْقِيَةٌ أَنَا عَلَى سَرِيرِي وَحَوْلِي دِفَاتِرُ تَلْمِيذَاتِي، فِي الرَّفِّ عَلَى يَمِينِي النَّظَّارَةُ وَالْقَلَمُ الْأَحْمَرُ وَكُوبُ الشَّاي السَّادَةِ، أَرْتَاحُ مِنَ التَّصْحِيحِ، وَأَرْمِي رَأْسِي عَلَى الْوِسَادَةِ، وَأَحْدُقُ فِي السَّقْفِ.

مِنْ نَافِذَتِي الْكَبِيرَةِ وَالْوَحِيدَةِ تَدْخُلُ شَمْسُ الْأَصِيلِ مُتَكَسِّرَةً بِأَشْكَالٍ مُرَبَّعَةٍ، وَتَدْخُلُ -كَكُلِّ عَصْرِ- أَصْوَاتُ احْتِكَائِكِ عَجَلَاتِ الدَّرَاجَةِ الثَّلَاثِ (بِالْأَتْرَلُوكِ) فِي الْحَوْشِ، وَصِيَاخُ أَخِي الصَّغِيرِ فَرَحًا بِقَفْزَاتِ الدَّرَاجَةِ الْجَدِيدَةِ، وَبَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى تَدْخُلُ تَحْذِيرَاتُ أُمِّي لَهُ مِنْ نَافِذَتِي أَيْضًا: "مَلَابَسَكَ.. يَدِيكَ.. رَكْبَتَكَ.. انْتَبَهُ.. لَا تَنْسِخُ.. لَا تَدْعَسِ الثَّمَرَ.. لَا تَتَقَلَّبِ.. تَدْخُلُ أَصْوَاتُ أُخْرَى غَامِضَةً، مُتَقَطَّعَةً، خَافِتَةً، مَشْرُوحَةً، لَا تَأْتِي مِنَ النَّافِذَةِ. تَتَحَرَّكُ السَّارَةُ بِنَسَائِمٍ بَلِيلَةٍ، فَأُقَلِّبُ الدَّفَاتِرَ بِكَسَلٍ، وَتَنْبُثُ تَدْوِيرَاتُ الْحُرُوفِ فِي عَيْنَيَّ خُطُوطًا مُضْجِرَةً، غَيْرَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ قُرْبَ الْأَلْفَةِ.

يَدْخُلُ مِنَ النَّافِذَةِ صَوْتُ أُمِّي وَهِيَ تُدْنِدِنُ أَغْنِيَةً قَدِيمَةً، يَتَقَطَّعُ الصَّوْتُ فَأَخْمَنُ أَنَّهَا مُنْحِنِيَّةٌ عَلَى صَوَانِي الثَّمَرِ، تَصَفُّ الرُّطْبَ لِلشَّمْسِ، وَتَدْخُلُ الْيَابِسَ الْمَخْزَنَ، تَصَلُّ بَعْضَ حُرُوفِ الْأَغْنِيَةِ مَطْحُونَةً، فَاتَّصُورُ تَمْرَةً فِي فَمِ أُمِّي تُخَالِطُ الْحُرُوفَ، أَرَشَفُ الشَّايَ الَّذِي بَرَدَ الْآنَ، أَفَكِّرُ فِي تَلْمِيذَاتِي "سَلْوَى" الَّتِي مَاتَ أَخُوهَا الرِّضِيُّعُ مَلْدُوعًا مِنْ يَوْمَيْنِ، أَتَخَيَّلُ انْحِنَاءَ رَقَبَتِهَا الْمُطَوَّقَةِ بِتَعْوِيذَةٍ وَهِيَ تُطْرُقُ وَاجِمَةً، أَمْنَحُهَا عَلَامَةً مُرْتَفَعَةً.. "فُوووب.. فُوووب..". يَبْدُو أَنَّ أَخِي أَكْمَلَ عِدَّةَ دَوْرَاتٍ حَوْلَ حَوْشِ بَيْتِنَا الْوَاسِعِ، وَيُحَاوِلُ الْآنَ إِيْهَامَ أُمِّي بِأَنَّهُ سَيَمُرُّ عَلَى صَوَانِي الثَّمَرِ بِدَرَا جَتِّهِ، "انْتَبَهُ.. يَا وَلَدًا!.. أَضْحَكَ فِي سِرِّي لِهَذِهِ الْمُنَاوَرَةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَأَهْمُ بِالْخُرُوجِ مَعَهُمَا بَدَلِ التَّمْلِيلِ فِي غُرْفَتِي، أَحْمِلُ كُوبَ الشَّايِ الْفَارِعَ، وَأَقْفُلُ الْبَابَ بِالْمِفْتَاحِ خَوْفًا مِنْ هَجُومِ أَخِي الْمُبَاغِتِ، أَسِيرُ فِي الْمَمَرِّ الْفَاصِلِ بَيْنَ غُرْفَتِي وَالصَّلَاةِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى الْحَوْشِ، أَقْرَأُ -رَغْمًا عَنِّي- الْحِكْمَةَ الَّتِي عَلَّقْتُهَا أُمِّي فِي الْمَمَرِّ: "احْذَرِ الْكَرِيمَ إِذَا أَهْنَتْهُ، وَاحْذَرِ

اللَّيْمِ إِذَا أَكْرَمْتَهُ" كَلِمَاتٌ قَرَأْتَهَا.. تَحَيَّلْتُ الْبَشَرَ يَقْفُونَ فِي طَابُورَيْنِ: كُرْمَاءٌ
وَلِئَامٍ، فَأَيْنَ سَيَقِفُ الْأَطْفَالُ حِينَهَا؟

المَمَرُ طَوِيلٌ، دَائِمًا أَقُولُ لِأُمِّي: إِنِّي لَا أَفْهَمُ تَصْمِيمَ بَيْنِنَا الْغَرِيبِ، فِي آخِرِ
الْمَمَرِ كَانَ بَابُ غُرْفَةِ أُخْتِي مَفْتُوحًا عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ، أَلْقَيْتُ نَظْرَةً سَرِيعَةً عَلَى
الدَّخْلِ مُحَاوَلَةً أَلَّا أَتَوَقَّفَ، غَيْرَ أَنَّ أُخْتِي كَانَتْ بِمُوجَهْتِي تَمَامًا، وَأَشَارَتْ
مُبَاشِرَةً إِلَى كُوبِ الشَّايِ، قَلْبُهُ فِي الصَّخَنِ لِأُرِيهَا أَنَّهُ فَارِعٌ، فَظَلَّتْ تُشِيرُ إِلَيْهِ
وَهِيَ تَرْحَفُ بِاتِّجَاهِي، صَحْتُ فِيهَا: "إِنَّهُ فَارِعٌ.. فَارِعٌ"، اقْتَرَبَتْ مِنَ الْبَابِ حَيْثُ
أَقِفُ، فَأَوْمَأَتْ لَهَا بِرَأْسِي، وَذَهَبَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ لِأَمْلَأَهُ بِالشَّايِ، حِينَ لَمَحْتَنِي
عَائِدَةً كَوَّرَتْ جَسَدَهَا بِسُرْعَةٍ، مَدَّتْ رَقَبَتَهَا وَظَهَرَهَا إِلَى الْأَمَامِ، وَهِيَ تَسْتَنْدُ
بِكَفِّي حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِنَ الْجُلُوسِ، فَضَحَكَتْ بِصَوْتِ خَشَنِ، وَمَدَّتْ إِلَيَّ يَدَيْهَا
الْمُرْتَجِفَتَيْنِ، نَاوَلَتْهَا الْكُوبَ فَرَفَعْتُهُ بِحَرَكَةٍ خَرَقَاءَ إِلَى فَمِهَا، أَصَابِعُهَا جَافَةٌ يَكَادُ
جِلْدُهَا يَتَقَشَّرُ، وَأَظَافُهَا طَوِيلَةٌ شَاحِبَةٌ، أَزَاحَتِ الْكُوبَ، وَأَخَذَتْ تَنْظُرَ إِلَيَّ
وَهِيَ تُنْهَمُّ بِصَوْتِ مَشْرُوحٍ: "آآآ.."، تَذَكَّرْتُ أَنَّ الشَّايَ بِلَا سُكَّرٍ، فِي الْمَطْبَخِ
وَأَنَا أَقْلَبُهُ بِالْمَلْعَقَةِ تَذَكَّرْتُ أَنَّهَا تَصْغُرُنِي بِسِنْتَيْنِ فَقَطْ، عُدْتُ إِلَيْهَا فَجَثْوَتْ عَلَى
رُكْبَتِي بِمُوجَهْتِي، أَسْقَيْتُهَا إِيَّاهُ، فَضَحَكَتْ، ظَلَّتْ أَسْنَانُهَا تَرْتَمُ بِحَافَةِ الْكُوبِ،
وَحِينَ سَأَلَ بَعْضُهُ مِنْ جَانِبِي فَمِهَا مَسَخْتُهُ بِكُمِّي، فَاهْتَزَّ جَسَدُهَا فِي حَرَكَةٍ
لَا إِرَادِيَّةٍ، وَمَالَتْ بِجَدْعِهَا إِلَى الْيَمِينِ حَتَّى انْبَطَحَتْ، وَانْطَلَقَ لِسَانُهَا بِالْأَصْوَاتِ
السَّعِيدَةِ: "تع..تع..تع.."، أَرَقَدْتُ رَأْسَهَا فِي جِجْرِي، قَدَمَاهَا الصَّغِيرَتَانِ
انْخَرَطَا فِي مَوْجَةٍ تَشْتَجِيَّةٍ، تَقَلَّصَتْ عَضَلَاتُ وَجْهِهَا وَلَمْ تُرْحِخْ عَيْنَيْهَا الْبُنَيْتَيْنِ
عَنْ وَجْهِ، مَسَدْتُ شَعْرَهَا الْمَحْلُوقَ فَتَسَاقَطَتِ الْقِشْرَةُ عَلَى رُكْبَتِي، إِصْبَعِي
مَرَّ عَلَى خَدِّهَا الشَّدِيدِ التُّعُومَةِ، وَجْهٌ جَدِيدٌ، جَدِيدٌ تَمَامًا، خَدَّاهَا قَدْ شَجَبَا،
وَعَيْنَاهَا تَغَيَّرَتْ نَظْرَتُهُمَا، وَأَحَاطَتْهُمَا الْهَالَاتُ الدَّاكِنَةُ، لَقَدْ كَبُرَتْ، مُنْذُ سِنِينَ
لَمْ أَتَقَرَّسْ فِيهَا، مُنْذُ سِنِينَ أَتَجَنَّبُ الدُّخُولَ فِي الْغُرْفَةِ الَّتِي فِي آخِرِ الْمَمَرِ،
أَقِفُ عَلَى الْبَابِ هَاتِفَةً: "صَبَاحَ الْخَيْرِ رَجَاءٌ" أَوْ "مَسَاءَ الْخَيْرِ رَجَاءٌ"، دُونَ أَنْ
أَنْظُرَ، لَعَلَّهَا فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ لَمْ تَكُنْ بِالْغُرْفَةِ، لَعَلَّ أُمِّي تُحَمِّمُهَا فِي الْمَسْبَحِ
أَوْ تُتَعِدُّهَا أَمَامَ التَّلْفَازِ فِي الصَّالَةِ، لَمْ أَرِ رَجَاءً مِنْذُ سِنَوَاتٍ، وَوَجْهٌ جَدِيدٌ،

ما الذي يشير إليه قول
الشخصية "محاولة ألا
أتوقف؟"

علام يدل إدراك بطلة القصة
أن ملامح أختها قد تغيرت
كثيراً؟

تَغَيَّرَتْ مَلامِحُه، وَجَسْمُها طالَ وَنَحْفُ، نَظَرَتْ إِليَّ رِجاءُ بِتَمَعْنٍ، لَم تَزُحِخْ
عَينَها، سَكَنَتْ، مَدَّتْ ذِراعَها المِرتَجِفَينِ لِتَطوِّقَ رَقبَتِي، فَبَكَيْتُ، لَم يَكُنْ
عَضْرُ هذا اليَومِ كَعَضْرِ كُلِّ يَومٍ.

طفل وكلب، ذات ليل (آماليا رندايك)*

• بعد أن تقرأ تعريف "النعمة في القصة القصيرة" في كتاب التطبيقات اللغوية، اقرأ قصة "طفل وكلب ذات ليل" للكاتبة (آماليا رندايك)، قراءة أولى، ثم اقرأها قراءة ثانية، وسجل على هامشي النص الانطباعات والمشاعر التي خلقتها الكلمات والجمل والصور المظلمة بالرّمادي. من مجموعها يمكن لك أن تستنتج النعمة السائدة في القصة، وهل هي ثابتة أم متغيرة، ويمكنك أن تتبع خطها، وانعطافاتها.

تراجعت الشمس بأشعتها الذهبية وخبّت. تمكّن ضوء مصابيح الشارع الخافت بصعوبة من أن يكبح الظلام والظباب اللذين غزيا كل معسكر المنجم، وكانت مجموعة من الرجال مكونة من دقاقي الزكائز؛ ميكانيكيين أو عمّال، وزارعي الغام، عائدة إلى بيوتها، خلال رحلة بطيئة صامتة؛ لصعوبة التنفس بسبب الهواء والفتيل؛ لأن منجم (شيككا ماتا) كان يقع على ارتفاع أكثر من ألفين وخمسمئة متر فوق سطح البحر.

أصبحت المجموعة مجاورة (لبنكروفت) السكنية، وبدأت تتفرق وفق اتجاهات شوارع عمال المعسكر المختلفة، وكان يمكن رؤية أضواء البيوت مناسبة من التوافد والأبواب نصف المفتوحة. استمر العامل (جوان لابرا)، الذي كان ميكانيكياً قوياً وصديقاً مخلصاً، في السير عبر واحد من شوارع عديدة ضيقة، ماتزال تتردد فيها أصداً صفارات حادة (سارينات) مناطق العمل.

وسرعان ما تلاشت التجمّعات من وجه (لابرا) الشاب الذي تعصّن بتجمّعات عميقة مثل عروق المعدن الخام، وملأت عينيه دفقة ورقة بعد أن تقبل بحفاوة استقبال أسرته المحبّة، فقد كان جوان الصغير يقف على باب البيت كما اعتاد أن يفعل كل يوم من فترة المساء.

كان ولداً، عمره تسع سنوات، بعينين حيتين فضوليتين، قوياً تماماً بالنسبة لعمره، وبقدمين محبتين للمشي. لم يمثل المنجم أية أسرار له؛ فقد كان يعرف كل بوصة منه، وكل ما غمض من أمره، كما كان طفلاً كثير الكلام، ولم تكن ثرثرته تقاطع إلا بالابتسام. الآن راح الطفل يراقب بفضول، وبوجهه الضاغط على بوابة الحديقة الحديدية أمريكياً شمالياً طويلاً جداً يمشي وراء أبيه. همس لأبيه خائفاً: "أبي، هناك (جرينجو) يتبعك، إنه قادم

* (آماليا رندايك): كاتبة من التشيلي.

إلى بيتنا!".

كَانَ الشَّارِعُ مَهْجُورًا، وَكَانَ (جَوَانُ) الصَّغِيرُ مُسْتَنَارًا بِحُضُورِ (بَلَكَ)، كَلْبِ الرَّاعِي الضَّخْمِ، الَّذِي يَتَّبِعُ سَيِّدَهُ السَّيِّدَ دِيفِيزَ. كَانَ بَلَكَ وَاحِدًا مِنْ أَشْيَاءٍ قَلِيلَةٍ قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَلْجَ إِلَى مَشَاعِرِ (دِيفِيزَ)، كَرَفِيقِ فَرِيدِ لَوْجُودِ مُتَوَحِّدٍ عَلَى أَرْضِ أُجْنِبِيَّةٍ.

"تَقَدَّمْ، مِنْ فَضْلِكَ، يَا سَيِّدُ (دِيفِيزُ)، مَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجْلِكَ؟" قَالَ عَامِلُ الْمَنْجَمِ (جَوَانُ لِابْرَا) بِاحْتِرَامٍ نَازِعًا خُودَتَهُ الْمَعْدِنِيَّةَ، وَفَاتِحًا بَابَ بَوَابَةِ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ، بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ بِصُعُوبَةٍ مِنْ إِخْفَاءِ دَهْشَتِهِ لِرُؤْيَةِ أَحَدِ مُلَّاكِ الشَّرْكَةِ عِنْدَ بَابِهِ:

"سَوْفَ أَكُونُ مُخْتَصِرًا، يَا سَيِّدُ (لِابْرَا)، إِنِّي أَحْتَاجُ مَعْرُوفًا كَبِيرًا مِنْكَ؛ لِأَنَّي يَجِبُ أَنْ أَغَادَرَ حَالًا إِلَى (أَنْتُوفَا جَاسْتَا)، وَأَنْ أَتَرَكَ فِي كَرَمِ ضِيَافَتِكَ لَعَدَّةِ أَيَّامِ صَدِيقِي الْعَزِيزِ (بَلَكَ). سَتَكُونُ رُؤُومًا لِأَنَّكَ فِي "كَالْمَا" تَنْظُمَتِ جَمَاعَةٌ لِحِمَايَةِ الْحَيَوَانَاتِ، وَكُلُّ فَرْدٍ يَعْرِفُ ذَلِكَ" - قَالَ (مَسْتَرِ دِيفِيزَ)، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى كَلْبِهِ:

"هَذَا حَسَنٌ. يَا سَيِّدُ (دِيفِيزُ)، وَأَشْكُرُكَ عَلَى ثَقَاتِكَ بِي، سَيَكُونُ الْكَلْبُ سَعِيدًا هُنَا، وَسَأَتَأَكَّدُ دَائِمًا مِنْ أَنَّهُ لَا يَعْانِي، وَلَسَوْفَ يَعْتَنِي بِهِ ابْنِي فِي غِيَابِي، (جَوَانُ) الصَّغِيرُ" - هَكَذَا وَعَدَ (لِابْرَا) السَّيِّدَ، وَهُوَ يُعَدِّلُ مِنْ وَضْعِ (جَاكْتِيهِ)، شَاعِرًا بَرَضًا دَاخِلِيًّا غَرِيبًا.

"سَأَتْرُكُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَشْكُرُكَ كَثِيرًا. أَرَاكَ قَرِيبًا يَا سَيِّدُ (لِابْرَا)، سَأَعُودُ سَرِيعًا جَدًّا. (بَلَكَ).. آه، لَقَدْ نَسِيتُ، سَأَتْرُكُ هُنَا مَخْصَصَاتِهِ مِنْ لَحُومٍ مَعْلَبَةٍ، إِنَّهَا طَعَامُهُ الْمُفْضَلُ".

بَدَأَ السَّيِّدُ وَكَلْبُهُ حَزِينِينَ. تَمَسَّحَ (بَلَكَ) فِي بَنْطَالِ سَيِّدِهِ، وَانْحَنَى (دِيفِيزَ) لِيُرَبِّتَ عَلَى رَأْسِ الْكَلْبِ بِخَطْمِهِ الْبَارِزِ، ثُمَّ غَادَرَ الدَّارَ، فَبَدَأَ الْكَلْبُ يَتَّبِعُهُ، لَكِنَّ ذِرَاعِي (جَوَانُ) الصَّغِيرِ قَيَّدَتَاهُ كَسَلْسَلَتَيْنِ. نَبَحَ (بَلَكَ) مُتَرْتَجًا، وَهُوَ يَتَنَشَّقُ الْهَوَاءَ، وَكَانَ لِسَانُهُ الْأَحْمَرُ الْمَبْتَلُ مُتَدَلِّيًا مِنْ فَمِهِ، وَهُوَ يَلْهَثُ قَلْبًا. أَغْلَقَ الْوَلَدُ الْبَوَابَةَ، وَقَفَ (بَلَكَ) مُنْتَصِبًا، شَاعِرًا بِالْوَحْدَةِ، كَانَ فِرَاؤُهُ الْمُتَأَلِّقُ حَوْلَهُ، وَاحْتِمَالُهُ الرِّزِينُ لَمَّا يَحْدُثُ، كُلُّهَا دَلَائِلُ عَلَى أَصْلِ كَرِيمٍ؛ فَقَدْ كَانَ كَلْبًا ثَمِينًا، فَازَ فِي عَدَدٍ مِنْ عَرُوضِ الْكَلَابِ بِفَضْلِ هَذَا الْأَصْلِ.

بَدَأَ الْوَلَدُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الْكَلْبِ كَأَخٍ أَصْغَرَ، وَلِفْتَرَةٍ طَوِيلَةٍ رَاقِبَ كُلِّ مِنْهُمَا الْآخَرَ، دُونَ أَنْ تَطْرَفَ أَعْيُنُهُمَا. كَانَتْ حَمَلَقَةُ الْكَلْبِ رَزِينَةً، بَيْنَمَا انْعَكَسَ وَجْهُ الْوَلَدِ عَلَى عَيْنَيْهِ مِثْلَ نَقَاطٍ

مضيئة بالغة الصغر. ربت الولد بخفة على ظهر الكلب الذي كان يتنشق الهواء، ومجيباً أخيراً بحركة ممانعة من ذيله.

استمر (جوان) الصغير في حوارهِ الذاتيِّ مع (بلاك). بدأ كلُّ منهما يغرُم بالآخر، ثم فتَحَ يومٌ جديدٌ حينَ جاءَ الفجرُ عبرَ الظلامِ وساعاتِ ضبابِ الليلِ، وبزغِ كالمعتادِ من بينِ رايتينِ ضخمتينِ تكُونانِ بركائِي (سان بيدرو) و(سان بابلو)، فبدأ كلُّ شيءٍ مبتلاً باللون الأزرق.

صحا (بلاك) على صوتِ أولِ صافرةٍ في فناءِ منزلِ العمّالِ، وراقبَ حركةَ عمّالِ المناجمِ، وبدأ كما لو أنّ شيئاً عظيماً قد استيقظَ في قلبه أيضاً، فردّ على هذه الانطباعاتِ بنباحٍ بدا كأنفجاراتٍ. وكانَ أولُ ما فعله (جوان) الصغيرُ، في عالمه المدهشِ، هو أنْ خرجَ ليرى صديقَه الجديدَ. وخلالَ الأيامِ التاليةِ، ذهباً سويةً إلى كلِّ مكانٍ؛ تحدياً للرياحِ، ركضاً عبرَ زمامِ أرضٍ شديدةِ الرياحِ، كانَ هوَ الطريقُ إلى كالاما، مخترقينِ دونَ تعبٍ، الاتساعَ الهائلَ للهواءِ الضئيلِ.

لعباً معاً، غاصا في حفرةِ بقايا رماديةِ اللّونِ لمنجمِ رصاصِ، كانتْ دونَ شكلٍ، كتلةٌ مهيبةٌ من أرضٍ معدنيّةٍ. كما حاولا أنْ يجمعا الانعكاساتِ المتألّقةَ للأخضرِ المزرقِّ والأصفرِ التي تصنعُ ألواناً براقّةً في ضوءِ الشّمسِ.

وهكذا، أمضيا ساعاتٍ طويلةً حتّى ربطتِ الليالي بينَ (جوان) الصغيرِ و(بلاك) بروابطِ صداقةٍ، سرعانَ ما أصبحتْ أقوى وأقوى، لكنّ سحبَ قلبي متناميةً ظللتْ سعادةَ الولدِ الحيّةِ القصيرةَ، فقد كانَ يخشى اليومَ الذي سينتهي فيه وجودُهُما معاً، لأنّه كانَ متأكداً أنّ السيّدَ (ديفيز) سيعودُ ثانيةً.

"بابا، ألا يمكنكُ أنْ تطلبَ من السيّدِ أنْ يعطينا (بلاك)؟ ولماذا لا يمكنكُ شراءه؟"

"لا، يا صغيري (جوان)، إنّ الكلبَ لن يكونَ لنا أبداً، إنّهُ كلبٌ ممتازٌ، يساوي وزنه ذهباً، إنّهُ كلبٌ رجلٍ غنيٍّ، يحبُّ (الجرينجو) أنْ يمشوا معَ كلابٍ مثلِ هذا الكلبِ، كما أنّهم يقدمونهم في عروضِ الكلابِ". أجابَ العاملُ بابتسامةٍ مريّة. "حينَ أكبُرُ سأشتريه"، أجابَ (جوان) الصغيرُ بإصرارٍ، ثمّ ارتفعَ صوتهُ موضّحاً لأبيه ما يريدُ: "أنا لا أريدهم أنْ يأخذوه! إنّهُ صديقي!".

ذات يوم، خلال عودتهما من نزهتهما، سائرَينِ على ضفافِ نهرِ (لوا)، بدأتْ تهبُّ رياحٌ جبليَّةٌ كريهةٌ، حتَّى ابتلا من رذاذِ ضبابٍ رقيقٍ، وحينَ وصلا إلى بابِ البيتِ توقفاً، كما لو كان ذلك بسببٍ من خوفٍ أو فزعٍ.

"السَّيِّدُ (ديفيز)" لقد عادَ. حاولَ الولدُ الصَّغِيرُ أن يشرَحَ ما يعنيه الكلبُ، لكنَّ الكلماتِ غاصتْ في قلبه، وظلَّ الظمأُ في حلقه، لقد كانتْ لحظةً حزينةً.

"إلى اللقاءِ يا صديقي العزيزَ، وحظاً سعيداً"، تمتَمَ الولدُ باكياً، عاصراً يديه بعصبيةً.

شكرهُ السَّيِّدُ (ديفيز) بإخلاصٍ، لكنَّ الطفلَ - كرجلٍ مهذبٍ صغيرٍ - رفضَ أن يقبلَ آيةً مكافأةً.

بدا (بلاك) كارهاً المشي وراءَ مالكه الرسميِّ، وراحَ متلهفًا يتفحصُ أركانَ الطريقِ، مودعاً مجاورةَ العمالِ السَّكنيةِ، في الطريقِ إلى المعسكرِ الأمريكيِّ. كانتْ قد انتهتِ الآنَ مواجهةُ (جوان) الأولى مع اليأسِ، بعدَ أن تفكَّرَ ملياً في حقيقةَ أنه لا يمكنُ له أبداً أن يمتلكَ كلباً ممتازاً، وفي ذاتِ الوقتِ استمرَّ (بلاك) في مسيره، وكانَ هناكَ انسجامٌ في المشاعرِ قد ترسَّخَ بينهما.

لكنَّ سرعانَ ما جاءتْ وحدةُ الليلِ، حينَ تفكَّرَ الأرواحُ في نفسها حتَّى آخرِ شظيةٍ في الحياةِ ذاتها، فإذا هي تكتشفُ عبثَ كلِّ شيءٍ، عندئذٍ انهارتْ دفاعاتُ (جوان) الصَّغِيرِ وبدأ يبكي، ولعلَّ شيئاً ما أثارَ دُفقَ الاتصالِ بينَ الولدِ والحيوانِ عبرَ الفضاءِ، لأنَّه في اللحظةِ نفسِها بدأ الكلبُ يعوي في المعسكرِ الأمريكيِّ، حينَ توهَّجتْ ذكرياتُ (بلاك) عبرَ ذهنِ الولدِ، وكما لو كانتْ مدفوعةً بقوةِ سرِّيَّةٍ، فنبَحَ الكلبُ بعنفٍ صارٍ، سائلاً الرِّيحَ أن تنقلَ رسالتهُ إلى الولدِ. بدا الأمرُ حفلاً موسيقياً حزيناً، سرعانَ ما أصبحَ يصيبُ بالصممِ من شدَّةِ النَّباحِ.

كما بكى (جوان) الصَّغِيرُ طوالَ الليلِ، متوسِّلاً بالنُّواحِ الذي سرعانَ ما أصبحَ حفلاً موسيقياً غريباً، سادَ شوارعَ مدينةِ المناجمِ الساكنةِ.

كانَ السَّيِّدُ (ديفيزُ) مذهولاً من تصرُّفِ (بلاك). ماذا يمكنُ لرجلٍ أن يفعلَ حينَ يواجههُ كلباً يبكي؟ تملكثَ عقلُ (الجرينجو) حقيقةً جديدةً مفادها أنَّ (بلاك) لم يُعدْ يخصُّه بعدَ

الآن؛ لقد فقد حبه.

لم يتمكن (لابرا) أن يريخ ولده الصغير الباكي المحموم؛ لأنه ماذا يمكن لرجل أن يفعل حين يواجه ولداً يبكي؟ أراد (لابرا) أن يرى ثانية ابتسامة ابنه السريعة الواثقة، وأحس بضرورة أن يسترد تلك الابتسامة. كم مرة سابقة لسعه الفقر! لكنه لم يستطع أن يحتمل هذه المرة، يجب أن يحدث شيء غير عادي في مدينة المناجم في هذا الليل الصعب.

وكما لو أن الزمن قد جعل من كل الرجال إخوة، رمى (لابرا) عباءته على كتفيه، أخذ كشاف الضوء، ومضى إلى المجاورة السكنية العليا؛ ليرى إذا كان ممكناً أن تتحقق معجزة. نعم، يجب أن يكون شجاعاً وجسوراً، لقد كان دائماً عاملاً خجولاً صامتاً، لكنه الآن يجب أن يطلب إلى أحد ملاك الشركة (بلاك) العظيم الجميل الفائز بالجوائز. استنشق بعمق هواء الليل البارد، وارتعش وهو يفكر في جرأته الخاصة، ثم مضى صاعداً باتجاه المعسكر الأمريكي.

فجأة، توهجت على ضوء الفانوس عينان ببيتان فسفوريّتان، فجفل (لابرا). ولكن أوقفه نباح أليف؛ ففي ذات اللحظة، كان السيد (ديفيز) قد خرج أيضاً كي يراه، وكان ماضياً باتجاه منطقة سكن العمال!

لقد مس شيء ما قلبي الرجلين، فلم تعد للكلمات ضرورة.

"إنه لم يعد يخصني بعد الآن"، تتمم السيد ديفيز، مُقدِّماً طوق بلاك المعدني الثقيل إلى يدي العامل.

أخذ لابرا الكلب بيديه المرتعشتين، وأطفأت ابتسامة سعيدة انقباضه.

لم تكن هناك (تشكرات) مفضلة، بل فقط مجرد فهم متبادل صامت. جرّ (بلاك) الرجل، وأجبره على أن يستمر متابعاً خطاه باتجاه مجاورة (جوان) الصغير.

في تلك اللحظة المعجزة، لطف دفء جديد ليل منطقة شوكي.

السَّماور سعيد فائق

رُفِعَ أَذَانُ الفَجْرِ.. انهض يا بُنَيَّ، ستتاخرُ عَنْ عمليكَ.

من قراءة الفقرات الأربع
الأولى كيف تصف حياة علي
وأمه؟

أخيراً، وَجَدَ عليُّ عملاً. منذُ أسبوعٍ وهو يذهبُ إلى المصنع. كانتُ أمُّهُ سعيدةً وراضيةً. أقامتُ صلاتها، وأكملتُ دُعاءها. دخلتُ والإيمانُ باللَّهِ يغمُرُها إلى غرفةِ ابنها الشَّابِّ الطَّويلِ والعريضِ المنكبينِ الَّذي كانَ غارقاً في أحلامه بينَ ضجيجِ المُحرَّكاتِ والبطارياتِ الكهربائيَّةِ ومصابيحِ الإنارةِ وزيتِ المُحرَّكاتِ والديزل. كانَ عليُّ غارقاً في العرقِ مُتورِّدَ الوُجنتينِ كأنَّهُ خارجٌ للتَّوَّ منَ المصنع. كانتُ مدخنةُ المصنعِ الواقعِ في "هاليجي أوغلو"¹ ترتفعُ بوقارٍ، وكأنَّها ستصيحُ كديكٍ مغرورٍ رافعٍ رأسهُ ينتظرُ طلوعَ الصِّباحِ.

استيقظَ عليُّ أخيراً، وحضنَ أمُّهُ، وسحبَ اللِّحافَ لِيُعْطِيَ رأسهُ كما يفعلُ كُلُّ صِباحٍ. دغدغتهُ أمُّهُ مِنْ قَدَمَيْهِ اللَّتينِ بَقَيْتا خارجَ اللِّحافِ.

ما الَّذي أوحى لك به
استخدام الاستفهام في هذه
الفقرة؟

ضجكتُ كفتاةٍ صغيرةٍ بسعادةٍ بعدَ أَنْ وَثَبَ ابنها مِنَ الفراشِ، ثُمَّ عادَ وسقطَ عليه. ليسوا كثيرينَ مَنْ هُمْ سعداءُ في هذا الحيِّ. ماذا تملكُ الأمُّ سوى ابنها، وماذا يملكُ الابنُ سوى أمِّهِ؟ دخلتُ غرفةَ الطَّعامِ يحتضنُ كُلُّ منهما الآخرَ. تفوحُ رائحةُ الخبزِ المحمَّصِ الزَّكيَّةُ في الغرفةِ.

ما معنى أن ينتج السماور
سعادة الصباح؟

كانَ الماءُ يغلي في السَّماورِ بشدَّةٍ! كانَ عليُّ يُشَبِّهُ السَّماورَ بمصنعٍ يخلو مِنَ العذابِ والإضراباتِ والحوادثِ، فهو لا يُنتِجُ سوى البُخارِ ورائحةِ الشَّايِ المعتَّقِ وسعادةِ الصِّباحِ. كانَ عليُّ يستمتعُ عندَ الصِّباحِ بالسَّماورِ وغلَّايةِ بائعِ السَّحلبِ الَّذي يقفُ أمامَ بابِ المصنعِ، ثُمَّ الأصواتِ، بوقِ مدرسةِ "هليجي أوغلو" العسكريةِ، وصقارةِ المصنعِ التي تهزُّ أرجاءَ الخليجِ، تُحيي أُمْنِياتِ، وتحبِّطُ طموحاتٍ أخرى. ذلكَ يعني أنَّ لِعَليِّ روحاً شاعريَّةً، معَ أَنَّ الأحاسيسَ

(1) أحدُ أحياءِ مدينةِ (إسطنبول) الصناعِيَّةِ، ويقعُ على خليجِ القرنِ الذهبيِّ وسطَ المدينةِ.

المرهفة لعاملٍ كهرباءٍ بضجيجِ المصنع، كإيلاجٍ باخرةٍ من عابراتِ المحيطِ
في الخليج، إلا أننا -عليًا ومحمدًا وحسنًا- هكذا، في قلبِ كُلِّ مِنَّا يقبعُ أسدٌ.

قَبَلِ عَلِيٍّ يَدِ أُمِّهِ، ثُمَّ لَعَقَ شَفْتَيْهِ كَأَنَّهُ أَكَلَ قِطْعَةَ سُكَّرٍ. كَانَتْ أُمُّهُ تَضْحَكُ،
لقد اعتادَ التصرُّفَ على هذا النحوِ كُلِّمَا قَبَلُ أُمِّهِ. كانَ يوجدُ أصيصُ وريحانٍ
في حديقةِ البيتِ الصَّغيرةِ، قُطِفَ عَلِيٌّ بِضَعِّ وَرَقَاتِ رِيحَانٍ، وَفَرَكَهَا بَيْنَ كَفَيْهِ
وَعَادَرَ مُبْتَعِدًا، وهو يستنشِقُ رائحةَ الرِّيحانِ في كَفَيْهِ. هواءُ الصَّبَاحِ كانَ بارِدًا
قليلاً، والخليجُ كانَ غائِمًا. التقى أصدقاءَهُ عندَ رصيفِ القواربِ، جميعُهُم كانوا
شُبَّانًا أَشَدَّاءَ. أبحرَ خمسةُ أشخاصٍ إلى "هاليجي أوغلو".

يُظهِرُ عَلِيٌّ فِي عَمَلِهِ كُلِّ جِدٍّ واستمتاعٍ وحماسٍ، لكنَّ لَيْسَ رغبةً بإظهارِ
تفوقِهِ على زُملائِهِ، فقد كانَ مُستقيمًا، ولا يحبُّ الاستعراضَ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يُجيدُ
عملَهُ إلى أَقصى دَرَجَةٍ مِنَ المِهْنَةِ، إِذْ تَعَلَّمَ على يَدَيِ أَشْهَرِ الكَهرِ بَاتِيئِينَ
الألمانِ الَّذِي كانَ يُحِبُّ عَلِيًّا كَثِيرًا، فأخلصَ في تعليمِهِ كُلَّ أسرارِ المِهْمَةِ؛
ليصبحَ مِثْلَهُ مُعَلِّمًا بارِعًا لا يُضاهيه أَحَدٌ.

عادَ في المساءِ إلى بيتِهِ سَعِيدًا، مُطمئنًا مِن تَقديمِهِ أَقصى جُهدِهِ في عَمَلِهِ
فريقًا واحدًا مع زُملائِهِ، وبعْدَما حضنَ أُمُّهُ، اتَّجَهَ نحوَ المقهى المقابلِ ليلتقي
أصدقاءَهُ، ثُمَّ تدرَّجَ عائِدًا إلى بيتِهِ، بينما كَانَتْ أُمُّهُ تُؤدِّي صلاةَ المغربِ.
ربضَ أَمامَ أُمِّهِ، وقالَ:

- سَيَغْفِرُ لِي اللهُ يَا أُمِّي.

بعْدَ الأَكْلِ، غَرِقَ عَلِيٌّ في قِراءةِ رِوايةِ بوليسِيَّةٍ أُمُّهُ كَانَتْ تحيكُ لَهُ كِنزَةً
صوفيَّةً، ثُمَّ تَمَدَّدَا، وناما على فراشَيْنِ يَفوُحُ مِنهما عِطْرُ زَهْرِ الخُزامَى.

أيقظتِ الأُمُّ عَلِيًّا بينما كانَ أذانُ الفَجْرِ يُرْفَعُ، كَانَتْ رائحةُ الخُبْزِ المُحَمَّصِ
الزكيَّةُ تفوحُ في الغرفةِ، وكانَ الماءُ يغلي في السَّماورِ بشدَّةٍ! كانَ عَلِيٌّ يُشَبِّهُ
السَّماورَ بمصنوعٍ يخلو من العذابِ والإضراباتِ والحوادثِ، فهو لا ينتجُ سوى
البُخارِ ورائحةِ الشَّاي المُعتَّقِ وسعادةِ الصَّبَاحِ.

جاء الموت لأُمِّي كَسَيِّدَةٍ جَارَةٍ زَائِرَةٍ تَضَعُ عَلَى رَأْسِهَا غَطَاءً كَأَنَّهَا تَسْتَعِدُّ
لِلصَّلَاةِ. كَانَتْ تُعِدُّ الشَّايَ كُلَّ صَبَاحٍ، وَتُمْسِي وَهِيَ تُعِدُّ طَعَامَ العِشَاءِ لِابْنِهَا،
لَكِنَّهَا كَانَتْ تَشْعُرُ بِوَجْزٍ فِي قَلْبِهَا، وَخَدَرٍ، وَتَعْرِقُ فِي أُنْحَاءِ جَسَدِهَا الْمُتَغَضِّنِ
عِنْدَمَا تَصْعَدُ الدَّرَجَ مُسْرِعَةً قُبَيْلَ المَسَاءِ.

ذات صَبَاحٍ، وَقَبْلَ أَنْ تَوْقِظَ عَلِيًّا، وَبَيْنَمَا كَانَتْ تُعِدُّ السَّمَاوَرِ، شَعْرَتْ بِدَوَارٍ،
فَجَلَسَتْ مُتَهَالِكَةً عَلَى كُرْسِيِّ إِلَى جَوَارِهَا، ذَلِكَ الْجَلُوسُ، كَانَ جُلُوسَهَا الْأَخِيرَ.

استغربَ عَلِيٌّ تَأَخُّرَ أُمِّهِ بِإِقَاظِهِ، وَصَلَ إِلَى مَسَامِعِهِ صَوْتُ صَفَّارَةِ المَصْنَعِ
الحَادِّ مُخْتَرِقًا بِنِعْمَةٍ زُجَاجِ التَّافِذَةِ المُغْلَقَةِ، وَثَبَّ مِنْ فَرَاشِهِ، وَقَفَّ أَمَامَ
بَابِ غُرْفَةِ الطَّعَامِ، شَاهِدًا أُمَّهُ وَقَدْ أَخْنَتْ رَأْسَهَا عَلَى ذِرَاعَيْهَا المُسْتَنْدِينَ عَلَى
الطَّالِوَةِ، ظَنُّهَا نَائِمَةً، فَتَقَدَّمَ بِهَدْوٍ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ كَتِفَيْهَا، ارْتَعَدَ عِنْدَمَا أَحَسَّ
بِبرُودَةِ حَالِمَا لِامْسَ تَشَفَاتِهِ وَجَنَّتِهَا.

ما نفعُ أُمَامِ المَوْتِ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا يَفْعَلُهُ مُمَثِّلٌ بَارِعٌ، لَكِنْ مَا بَدَرَ مِنْهُ
كَانَ حَقِيقِيًّا.

لماذا لم يستطع عليُّ البكاء
على أمِّه؟

عَانَقَهَا، وَحَمَلَهَا إِلَى فَرَاشِهَا، غَطَّاهَا بِاللِّحَافِ، وَحَاوَلَ تَدْفِئَةَ جَسَدِهَا البَارِدِ.
تَشَبَّتَ بِإِعَادَةِ الحَيَاةِ إِلَى هَذَا الجَسَدِ البَارِدِ، ثُمَّ انْهَارَ فِجَاءَةً عَلَى الفَرَاشِ إِلَى
جَوَارِهَا عَاجِزًا. لَمْ يَسْتَطِعِ البُكَاءُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ رَغْبَتِهِ الجَامِحَةِ
فِي البُكَاءِ، تَوَقَّدَتْ عَيْنَاهُ دُونَ دُمُوعٍ، نَظَرَ إِلَى المِرَاةِ، كَانَ مُحْيَاهُ كَوَجْهِ امْرِئٍ
قَضَى لَيْلَةً بِيضَاءً إِثْرَ مُجَابَهَتِهِ أَعْظَمَ مُصِيبَةٍ فِي الحَيَاةِ.

لماذا في رأيك - ذهب عليُّ
إلى المصنع بعد إبلاغ الجارية
بوفاة أمِّه؟

شَعَرَ عَلِيٌّ كَأَنَّ وَهْنًا قَدْ أَصَابَ جَسَدَهُ، وَكَأَنَّ الشَّيْبَ قَدْ غَطَّى شَعْرَهُ، وَأَلْمَأَ
شَدِيدًا وَانْحِنَاءَةً فِي ظَهْرِهِ، وَكَأَنَّهُ قَدْ هَرِمَ كَشَخْصٍ تَجَاوَزَ المِئَةَ مِنْ عُمُرِهِ.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الجَسَدِ المَيِّتِ، لَمْ تَكُنْ مُخِيفَةً، بَلْ عَلَى العَكْسِ، كَانَتْ
تَبْدُو وَدُودَةً بِمُحْيَاهَا القَدِيمِ الحَنُونِ الرِّقِيقِ نَفْسِهِ. أَغْمَضَ عَيْنَيْ المَيِّتَةِ نِصْفَ
المَفْتُوحَتَيْنِ بِأَحَدِي يَدَيْهِ القَوِيَّتَيْنِ، انْطَلَقَ إِلَى الشَّارِعِ، أَخْبَرَ جَارَتَهُ المِيسَّةَ،

هَرَعَتِ الجاراتُ إلى البيتِ راكِضاتٍ، واتَّجَهَ إلى المصنَعِ، وبينما كانَ على
الطَّرِيقِ في القاربِ، بدا وكأنَّه قد اعتادَ على رؤيةِ الموتِ.

لقد اعتادا على الالتحافِ باللحافِ نَفْسِه إلى جانبِ بَعْضِيهِمَا، وكما أخذَ
الموتُ أُمَّهُ المُؤنِسَةَ، أخذَ أيضًا كُلَّ مَشاعِرِها بالحنانِ والعطفِ، لكنَّه، كانَ
باردًا قليلًا، والموتُ ليسَ مُخيفًا كما نظنُّ، لكنَّه باردٌ قليلًا...

ظَلَّ عليّ أيامًا عديدةً، يتفقَّدُ غُرَفَ البيتِ بلا هدَفٍ، ظلَّ يجلسُ ليلاً دونَ
إضاءةِ الثُّورِ، يُصغِي للَّيْلِ، يُفكِّرُ بأُمَّه، لكنَّه لم يَسْتَطِعِ البُكاءَ.

ذاتَ صَباحٍ، تقابلا وَجْهًا لوجْهِه في غُرْفَةِ الطَّعامِ، كانتَ على مائدةِ الطَّعامِ
نفسِها مُشرقةً هادئةً. أشعَّةُ الشَّمْسِ كانتَ تنعكسُ عنَ كُلِّ إناءٍ معدنيٍّ.
أمسكتُهُ مِن زَنْدِيهِ، وَحَدَقْتُ في عَيْنِيهِ، انهارَ على الكرسيِّ، وانهمرتِ الدُّموعُ
مِن عَيْنِيهِ بشدَّةٍ كالمطرِ بصمتٍ، ثُمَّ غادرَ ذلكَ البيتَ مِن غيرِ رجعةٍ.

بعدَ ذلكَ دخلَ إبريقُ السَّحلبِ إلى حَيَاةِ عليّ.

الشِّتَاءُ في مُحيطِ الخَلِيجِ أَشدُّ وأكثرُ ضبابًا مِنَ المَدِينَةِ، كانَ المُعلِّمونَ
والسَّائِقونَ واللَّحامونَ وَ طُلَّابُ المَدارسِ والعُمَّالُ، وقد أداروا ظهورَهُم لجدارِ
المصنَعِ الضَّخْمِ، يُمَسِّكونَ فَناجينَ السَّحلبِ بأَكْفِهِم المُغطَّاةِ بالقَفَّازاتِ
الصُّوفِيَّةِ، وأنوفُهُم الرَّاشحةُ تنفثُ هَوَاءً ساخنًا كالبخارِ المُتصاعدِ مِن سَماورِ
حزِينِ، يحتسونَ جُرْعَةً جُرْعَةً سَحلبًا ذُرَّتْ عليه أَحلامٌ بَعيدةٌ.

هل ما زال السماور يصنع
سعادة الصباح؟

قصص رديفة

البدين والنحيف (أنطوان تشيخوف)*

في محطة سكة حديد (نيقولاي) التقى صاحبان؛ أحدهما بدين والآخر نحيف، كان البدين قد تغدى لتوّه في المحطة، ولمعت شفّته من الدهن، كما تلمع ثمار الكرز الناضجة، وفاحت منه رائحة الحلويات المعطرة، أمّا النحيل فكان خارجاً لتوّه من عربة القطار محمّلاً بالحقائب والصّرر وعلب الكرتون، وفاحت منه رائحة القهوة الرخيصة، ولاحت من وراء ظهره امرأة نحيفة طويلة الذقن.. زوجته، وتلميذ طويل بعين مزرورة.. ابنه، وهتف البدين عندما رأى النحيف:

- (بورفيري)! أهو أنت؟ يا عزيزي! كم مرّ من أعوام لم أرك!

ودّهش النحيف:

- يا سلام! (ميشا)! يا صديق الطفولة! من أين جئت؟

وتبادل الصاحبان القبلات ثلاثاً، وحدّق كل منهما في الآخر بعينين مغرورقتين بالدموع، وكان كلاهما في حالة من الدهول اللذيذ.

وقال النحيف بعد القبلات:

- يا عزيزي! لم أتوقع أبداً! يا لها من مفاجأة! هلّا نظرت إليّ جيّداً! جميل كما كنت! حبّوب كما كنت! آه يا إلهي! كيف أحوالك؟ أصبحت غنيّاً؟ تزوجت؟ أنا تزوجت كما ترى.. وهذه زوجتي (لويزا)، من عائلة (فانستباخ).. أما هذا فابني (نفانائيل)، تلميذ بالصف الثالث. يا (نفانا). هذا صديق طفولتي، درسنا معاً في المدرسة.

وفكّر (نفانائيل) قليلاً، ثم نزع قبّعته.

ومضى النحيف يقول:

- درسنا معاً في المدرسة! أتذكر كيف كانوا يغيظونك؟ بلقب (هيروستراتوس) أحرقت كتاب العهدة، وكانوا يغيظونني بلقب (ايفانتوس) لأنني كنت أحبّ النميمة. ها ها.. كم كتّا صغاراً! لا تخف يا (نفانا).. اقترب منه.. وهذه زوجتي، من عائلة (فانستباخ).

وفكّر (نفانائيل) قليلاً، ثم اختبأ خلف ظهر أبيه.

* ترجمة أبوبكر يوسف، دار (رادوغا)، موسكو.

وسأل البدين وهو ينظر بإعجاب إلى صديقه:

- كيف حالك يا صديقي؟ أين تخدم؟ وماذا بلغت في الخدمة؟

أخدم يا عزيزي! بلغت محكم هيئة أمنذ سنة، وأحمل وسام (ستانسلاف). الراتب سيء، فليكن. زوجتي تعطي دروسًا في الموسيقى، وأنا أصنع علب هدايا من الخشب، علب ممتازة! أبيعها الواحدة بروبل، ومن يشتري عشر علب أو أكثر أقدم له خصمًا. ندبر أمورنا كيفما كان، أتدري؟ كنت أخدم في الإدارة، وقد نقلت إلى هنا الآن كرئيس قسم في الوزارة نفسها، سوف أخدم هنا، وأنت، كيف؟ أظنك بلغت مستشار دولة؟ هه؟

فقال البدين:

- لا يا عزيزي، بل أعلى، لقد بلغت "المستشار السري" أحمل نجمتين.

وفجأة امتقع النحيف، وتجمد، ولكن سرعان ما التوى فمه في الاتجاهات جميعها ليصنع ابتسامة عريضة للغاية، وبدا وكأن الشرار قد تطاير من وجهه وعينيه، أما هو فانكمش، وتحذب، وضاق، وانكمشت حقايبه وصرره وعلبه وتجدت.. واستطال ذقن زوجته الطويل، وشدّ (نفنائيل) قامته، وزرر أزرار سترته جميعها.

- إنني يا صاحب السعادة مسرور جدًا! صديق الطفولة، يعني، وإذا به يصبح من السادة الأكابر! (هه هه).

فامتعض البدين وقال:

- دعك من هذا! ما هذه النبوة؟ إننا أصدقاء الطفولة، فما معنى عبادة الألقاب هذه؟!

- العفو.. ماذا تقولون.. إن اهتمام سعادتكم الكريم هو كالبسم الشافي.. هذا هو ابني (نفنائيل) يا صاحب السعادة.. وزوجتي (لويزا).

وأراد البدين أن يعارض بشيء ما، ولكن وجه النحيف كان يطفح بالتبجيل والتعبير المعسول والخنوع إلى درجة أثارت الغثيان في نفس المستشار السري، فأشاح بوجهه عن النحيف، ومدّ له يده مودّعًا.

وصافح النحيف ثلاث أصابع، وانحنى بجسده كلّه، وضحك كالصيني: "هه-هه-هه" وابتسمت الزوجة، ومسح (نفنائيل) الأرض بقدمه، وسقطت منه القبعة، وكانوا ثلاثتهم في حالة من الذهول اللذيذ.

(1) رتبة مدنية من الدرجة الثامنة في روسيا القيصرية.

بيت إبتسام المعلا

عندما أُغلق الباب الخارجي بالفتح، كانت الساعة تقترب من الرابعة عصرًا، وكان رذاذُ ناعمٍ قد بدأ في نشر لمعته على قبضة الباب، وهيج سيقان الرِّيحان المزروعة في المساحة الصغيرة غير المُبلّطة بين السور وباب المنزل الداخلي، ففاحت رائحتها، وطلعت على بقايا رائحة السمك التي كانت تفعم البيت الصغير.

على جبل الغسيل الذي كان يمتد بين شجرتي لوز كان يتدلى ثوبٌ برتقالي مشجّر بالأخضر، وسروالٌ أبيض، ومنشفةٌ صغيرةٌ قانية الحمرة، بدا أنّها كانت على وشك أن تجفّ لولا أنّ الرّذاذ عاد فرطبها من جديد.

أبواب الغرف كانت مغلقة، لكن رائحة السمك المنبعثة من باب المطبخ المفتوح تسربت من تحت الأبواب، وتداخلت مع الهواء.

الحمام وحده نجا من رائحة السمك، وانفرد وحده برائحة الحناء الذي ظلّت بقاءه في الطاسة الفضية الصغيرة التي استخدمتها صاحبها لصبغ شعرها، ربّما قبل خروجها بساعات؛ إذ تبدو الملعقة المتروكة في الطاسة وقد يبس عليها عجين الحناء دون أن تخبو الرائحة.

لولا الضوء المنبعث من إحدى الغرف الثلاث، وبالذات من ذلك الخيط أسفل الباب، ومن فتحة القفل لظلّ البيت غارقًا في ظلمة لا تُحتمل، ولا يبدو أنّ الضوء كان منسيًا؛ فثمة من تركه، ربما لتبديد وحشة البيت، ولكي لا تشعر تلك الغرفة وصالة الضيوف المطلة عليها بأيّ نوع من أنواع الغربة لخلوّ المكان. أمّا تلك الغرفة المضاءة فهي أكثر غرف البيت امتلاءً بالحياة، ففيها سرير قديم كبير الحجم، بأرجل أسطوانية قصيرة، يأخذ نصف مساحتها تقريبًا، وهو مغطى بملاءة وردية تطلّ من تحت غطاء صوفي سميك، يوحى مرآه بالدفء، بُنيّ اللون ومزخرف بورود كبيرة متفتحة، وقد انسدل جانبٌ منه على الأرض، وأطلت تلك العلامة التي تقول: (anihC ni edaM)، أمّا المخذتان اللتان لهما لون الملاءة الوردية فتتوسط إحداهما بقعة كبيرة دبكة، وبضع شعيرات بيضاء خالط لونها لون حناء قديم.

على (الكوميدينو) الملاصق للسرير من جهة اليمين تصطفّ علب وزجاجات أدوية، وبخاخ صغير للزبو، و(الريموت كنترول) الخاص بالتلفزيون وزجاجة ماء مقلوب على رأسها كأس ذو حافة ذهبية. أمّا الكوميدينو الأيسر فتتكئ عليه ثلاث صور، إحداها بإطار فضي وفيها صورة شاب يخلو من وسامة، يبدو في الرابعة أو الخامسة عشرة، يرتدي ملابس المدرسة، وبتسم، وقد وضع إحدى يديه في جيبه، بينما احتضن الكرة باليد الأخرى.

الصورة الثانية إطارها أسود حالك اللون، وفيها تجلس امرأة تبدو في نهاية الأربعينات، ترتدي ثوبًا ذا ألوان صارخة، كان يطلّ من عباءتها المفتوحة، وحول رقبتها سلسلة عريضة من الذهب تتدلّى من وسطها دائرة ذات شذرات تشبه تلك التي في خلاخيل الأطفال. تنظر المرأة إلى (الكاميرا) مباشرة دون أن تُفْلِح تمامًا في السيطرة على خجلها وابتسامتها، إلى جوارها تمامًا يجلس رجل أكبر منها قليلًا، يرتدي دشدشة بيضاء، ويضع يديه في حضنه، وثمة حَوْلٌ خفيف في عينيه يجعل من يرى الصورة يشكّ في أنّ الرجل كان ينظر إلى (الكاميرا) لحظة التصوير.

خلفهما مباشرة وفي منتصف الصورة تقريبًا كان يقف شاب بدا نصفه العلوي فقط، يرتدي ملابس رياضة حمراء اللون، وقد خطّ وجهه شارب ناعم، وكانت ملامحه تشي بعدم رغبته في أن يكون في الصورة. أما الصورة الثالثة فأطارها ذهبيّ مزخرف وثقيل وفيه صورة أربعة أطفال، بنت، وثلاثة أولاد، يجلسون على خلفية بنفسجية ذات فقاعات متفاوتة الحجم، يضحكون (للكاميرا)، وقد انكشف فم أوسطهم عن سنّ مفقودة.

هناك في إحدى زوايا الغرفة المواجهة للسرير تنتصب طاولة من الخيزران عليها تلفزيون متوسط الحجم (وراديو) و(غرامفون) مغبرّ، كأنه موجود للزينة فحسب، ومسجّل متهالك يبدو أنّه استُخدِم لسنوات طويلة حتى تقشّرت الطبقة الفضيّة التي تغطّيه، تصطفّ بالقرب منه أشرطة (كاسيت) ذات أغلفة باهتة لعلّي بن روغة وجابر جاسم وميحد حمد، وإلى جانبها طاولة أخرى أصغر حجمًا تتكدّس عليها قوارير صغيرة منوّعة من العطور التي تحتوي سوائل ثخينة، بعضها متخثّر بفعل الزمن. أعلى طاولة العطور تمامًا توجد مرآة مستطيلة بها شرخ صغير لكنه واضح، أمّا في الزاوية المقابلة فيقف مشجب جديد، لا يتناسب وباقي الأثاث القديم في الغرفة، علّق عليه ثوب "مُخَوَّر" جيبه مندلع، وشيلة سوداء معقود أحد أطرافها على هيئة صُرّة صغيرة، وقماشة أخرى كالشال تكاد تنزلق من

ضلع المشجب، بينما تُرك الضلع الرابع خاليًا.

على الحائط الأيمن يستند دولا ب ملابس بثلاثة أبواب مغلقة، يقابله في الحائط الأيسر صندوق فضي منجم، يمكن أن يثير فضول كل من تقع عينه عليه، تستند عليه تكية قديمة بجانبها سجادة صلاة ظاهر من أحد طرفيها خيط مسبحة قديمة بخرزات خضراء ناعمة.

هناك لوحة ورقية كبيرة مثبتة على الجدار بأشرطة لاصقة عند زواياها الأربع، وهي رسم بالألوان المائية لامرأة ورجل يقفان كحارسين، بينما يتوسطهما طفل يرتدي ثيابًا مخططة، وطفلة في مثل طوله تقريبًا، تضع يدها في يده، وترتدي فستانًا أزرق اللون على شكل مثلث. إلى جوار الرجل تنتصب شجرة لها جذع سميك، لكن أوراقها على شكل سعف النخلة، وخلف العائلة الصغيرة تطل شمس هي مزيج من اللونين البرتقالي والأصفر، كبيرة جدًا، ولها أشعة على هيئة خطوط صفراء عريضة تمتد إلى حدود الورقة، وهناك، عند أسفل الزاوية اليمنى يتوارى وراء الألوان توقيع باهت بالرصاص، مرسوم بأحرف مضحكة وغير متناسقة "مريم".

خارج سور ذلك البيت كانت ترتفع نداءات وضحكات صبية كانوا يلعبون الكرة، ويتصايحون "شبير" .. "موهاميد" .. أرشد". ثم فجأة، اهتزّ سكون البيت بصوت طرقات على الباب، بدأت متباعدة ثم تواصلت.

جاء صوت طفل من بعيد يقول إنه رأى العجوز تخرج من البيت قبل فترة، وآخر يقول ربما تكون نائمة، لكن الصبي الذي كان يطرق الباب واصل الطرق بالحاح وهو يصيح على رفاقه بأنهم لن يتمكنوا من مواصلة اللعب دون الكرة.

أجابه آخر: لماذا لا تتسلق السور وتجلبها ما دامت المرأة ليست في البيت؟

لا، لا تفعل، قد تكون موجودة.

لا تكن جبانًا، اركب على ظهري.

سأجلب الدرج من بيتنا.

لا، إياكم أن تفعلوا، قد تصل في أي وقت، وستحدث مشكلة.

وفي البيت رنّ جرس الهاتف طويلًا، ولم يرد أحد.

الحلم الأخير

(هانس كريستيان أندرسن)*

في أعلى منحدرات الشاطئ في الغابة، وليس بعيداً عن حافة البحر، وقفت سنديانة عجوز في منتهى الكبر، كانت قد بلغت من العمر ثلاثمائة وخمسة وستين سنة، ولكن عدد هذه السنين الطويلة لديها كان كعدد الأيام لدينا، نحن نستيقظ في النهار، وننام في أثناء الليل ونحلم، ولكن الأمر ليس كذلك مع الشجرة؛ فهي مضطرة إلى البقاء مستيقظة طوال ثلاثة فصول من السنة، ولا تحصل على قسطها من النوم إلا عندما يحل فصل الشتاء، فالشتاء هو ليلها، ووقت راحتها بعد يومها الطويل المتواصل: الربيع والصيف والخريف. ففي أيام الصيف القائضة كثيراً ما طارت (أفيميرا) الذبابة التي تحيا يوماً واحداً، وراحت تحوم حول السنديانة الهرمة وتتمتع بالحياة، وملؤها السعادة، وإذا ما استراحت هذه المخلوقة لحظة على وريقة من وريقاتها الغضة العريضة هتفت بها السنديانة قائلة:

- "يالك من مخلوقة صغيرة مسكينة! حياتك كلها ما هي إلا يوم واحد، فياله من يومٍ ما أقصره! شيء مؤسف حقاً."

وكانت المخلوقة الصغيرة تجيب دوماً:

- "مؤسف! ماذا تعنين؟ إن كل ما هو حولي براق ودافئ وجميل إلى درجة عجيبة، وهذا ممّا يشيع الفرح في نفسي."

- "ولكن ليوم واحد فقط، ثمّ ينقضي."

فكرت الذبابة: "ينقضي! ماذا تعنين: ينقضي؟ هل لن ينقضي يومك أنت أيضاً؟"

- "كلاً، إنني من المحتمل جداً أن أعيش آلاف الأيام من أيامك، وما يومي إلا ثلاثة فصول كاملة من السنة! وأيم الحق إنّه من الطول بحيث يصعب عليك جداً حسابانه."

- "إذن أنا لا أفهمك، قد يكون لك الآلاف من أيامي، ولكن أنا لي آلاف اللحظات، يمكنني أن أفرح فيها وأسعد، هل سينتهي جمال العالم كله عندما تموتين؟"

فأجابت الشجرة:

* كاتب دانمركي (5081-5781).

- "كلّ بل إنّه سيدوم أكثر من هذا بكثير، إلى ما لا نهاية، تفوق عن تفكيري".

فقالَت الذُّبَابَةُ الصَّغِيرَةُ:

- "حسنًا، إنّنا نعيش الزّمان نفسه إذن، ولكننا نختلف في الحساب،" ثمّ رقّصت المخلوقة الصَّغِيرَةَ، وانسابت في الهواء جذلة بجناحيها الرّقيقين الشّفافين المخمليين، طروبة في الأنسام العطرة المشبّعة بعبير الورود البرّية، ونور السّيسبان وزهر العسل الآتية من أسيجة الجنائن المحمّلة بالعطر البريّ وزهر الرّبيع والتّعناع. كانت الرّائحة قويّة يكاد عطرها يُغمي الذُّبَابَةَ الصَّغِيرَةَ، لقد كان اليوم طويلًا جميلًا مليئًا بالجور والمسرات الحلوة حتّى إنّ الذُّبَابَةَ عندما أوشكت الشّمس على المغيب جعلت تحسّ بالتعب من كلّ ما ذاقته فيه من سعادة ومنتعة، وما عاد جناحها يقويان على حملها؛ فانسابت بكلّ رقة وبطء على أوراق العشب المتماوجة النّاعمة، وحركت رأسها الصّغير على قدر ما استطاعت، ثمّ نامت بسلام وعدوبة، وهكذا ماتت الذُّبَابَةُ.

قالَت السُّنْدِيَانَةُ:

- "يا للمخلوقة الصَّغِيرَةَ المسكينة! ويا لفضاعة حياتها الصَّغِيرَةَ!"

وهكذا كان الرّقص يُعاد في كلّ يوم من أيّام الصّيف، وتطرح الأسئلة نفسها، وتعطى الأجوبة نفسها، ولقد جرى ذلك لأجيال عديدة متوالية في حياة (أفيميرا) وكلّ مخلوقة منها تشعر بالجور نفسه، والسّعادة نفسها.

ظلّت السُّنْدِيَانَةُ مستيقظة طوال نهار الرّبيع صبحه، والصّيف ظهره، والخريف مساءه. ثمّ بدأ اللّيل يجرّ أذياله، ودنا وقت راحتها، لقد أقبل الشّتاء، وبدأت الرّوايع تنشد: "مساء الخير، مساء الخير"، وسقطت ورقة هنا، ووريقة هناك، وأخذت الرّياح تنشد لها، وتهدهدها كي تنام. فسمع لأغصانها الطّاعنة طقطقة من شدّة السّرور، لقد كانت ليلتها الخامسة والسّتين بعد الثلاثمئة، ولكنّها الآن بموجب تقويم البشر، في القرن الرّابع من وجودها.

وقفت البلوطة هناك عارية من أوراقها؛ لتأخذ راحتها في أثناء الشّتاء الطّويل، ولتحلم أحلامًا كثيرة ملأى بالأحداث التي وقعت لها في مجرى حياتها، كانت أضخم وأحسن شجرة في الغابة، تعالت قممتها وعظمت فوق الأشجار الأخرى جميعها، وكانت ترى من بعيد من أقصى البحر حتّى إنّها كانت للملاحين علمًا، ولم يدر بخلدها يومًا كم من العيون

ترنو بشوق إليها، وفي سامق قممتها بَدَتِ الحمامة البرية عشها بين الفروع، وشرع الوقواق في إحياء حفلاته الصوتية المعتادة فتجاوبت أنغامه المحبوبة بين الأغصان. وفي الخريف عندما كانت الأوراق تبدو وكأنها صفائح نحاس مطروقة، كانت العصافير العابرة تأتي لترتاح على أفنانها قبل أن تطير وتجتاز البحر، ولكن الآن، والفصل شتاء، والشجرة عارية، كان باستطاعة كل امرئ أن يرى كم كانت أغصانها ملتوية ومنحنية وهي تتفرد وتمتد من جذعها. أتت العقبان والغربان بالتناوب وجلست عليها، وتحدثت عن الأوقات العسيرة التي بدأت، وعن المشقة في الحصول على الطعام في الشتاء.

كان العيد قد قرب عندما حملت الشجرة حلمًا، لا ريب أنها كان لديها نوع من الإحساس بأن وقت العيد قد حان، وبدا لها اليوم وكأنه من أيام الصيف الجميلة، دافئًا لطيفًا. كانت هامتها العظيمة متوجة بأوراق خضراء يانعة، وأشعة الشمس تلعب بين الوريقات والأغصان، والهواء مثقل بعطر الأعشاب والتوار. وطارت فراشات ملونة بعضها بعضًا، ورقص ذباب الصيف حولها كأنما خلق العالم لهم وحدهم ليرقصوا فيه ويفرحوا، وبدا للشجرة أنّ الأحداث جميعها التي وقعت لها في سني حياتها تمر أمامها في موكب طويل. رأت فرسان العصور القديمة يجتازون الغابة مع النساء التيبليات ممتطين صهوات جيادهم الأصيل، والزيش يتماوج على قبعاتهم، والضقور جاثة على معاصمهم.

وعلا صوت أبواق الصيد، ونبحت الكلاب. رأت محاربين ينصبون خيامهم وهم في ثياب ملونة ودروع براق، مع حراب وبلطات، ثم توقدت نيران الحراسة، وغنى الرجال، وناموا تحت أغصانها المضيافة، ثم رأت أناسًا يلتقون قربها بهدوء وسعادة على ضوء القمر، ويحفرون الأحرف الأولى من أسمائهم في لحائها وجذعها الأخضر الحائل، وحدث مرة، ولكن سنين انقضت منذ ذلك الحين، أنّ بعض المسافرين المرحين علّقوا على أحد أغصانها آلات الطرب وقيثارات، وبدا لها أنها مازالت معلقة هناك، وأنها تسمع أنغامها الشجية. وهذلت الحمامات البرية كأنها تريد أن تعبر عن مشاعر الشجرة، وصاح الوقواق يعلمها كم بقي لها من أيام الصيف لتحياها، ثم شعرت كأنما حياة جديدة أخذت تختلج في كل عرق من عروقها وجذعها وأوراقها، وتنساب صاعدة إلى فروعها الشامخة. شعرت الشجرة أنها أخذت تنبسط، وتمتد، بينما كانت قوة الحياة الدافقة تسري في جذورها تحت التراب، وفيما هي تملو بقوة متزايدة اتسعت أغصانها العليا، وامتلت أكثر فأكثر،

وبتناسق مع نموّها ازداد رضاها عن نفسها، ونشأ عندها شوق مُلِحٌّ في أن تتناهى في العلوّ حتّى تصل إلى الشّمس الدّافئة نفسها، وُحِيْلَ إليها أنّ فروعها السّامقة فزقت الغيوم حيث تراءت كأسراب عصفير راحلة أو كإوزات كبيرة بيضاء تنساب تحتها، وبدا كأنما كلّ وريقة من أوراقها لها عينان تبصران، وظهرت التّجوم في وضح التّهار كبيرة تتلألأ كأعين وادعة صافية، تعيد للأذهان نظرات الطّفولة البريئة، أو أعين اللّذين التقوا مرّة تحت أغصان البلّوط الهرمة، كانت هذه اللّحظات للسّنديانة لحظات سعادة ملأى بالفرح.

ولكن، مع كلّ هذا، شعرت الشّجيرة وهي في أوج سعادتها برغبة مُلِحّة في أن تتمكّن الأشجار والعليقات والتّباتات والزّهور جميعها التي تحتها من أن تنمو، وتتعالى مثلما نمت وتعالّت؛ لتري هذا البهاء، وتختبر سعادة مُماتلة، لم يكن في وسع البلّوط العظيمة المهيبه أن تتذوّق السّعادة كاملة، وبقية التّباتات والأشجار عظيمها وحقيرها لا تشاركها فيها، وسرى هذا الشّعور بالحنوّ في الأغصان والأوراق جميعها! تدفّق دافئاً كأنه سرى في ألياف قلب بشريّ. واهتزت هامة الشّجيرة هنا وهناك، ثمّ هبت عليها نفحة من عبير الصّعتر، وتبعتها رائحة زهر العسل والزّنابق الأكثر نفاذاً، وُحِيْلَ إليها أنّها سمعت أنغام الوقواق، وأخيراً تحقّق ما تصبو إليه. رأت البلّوط قمم أشجار الغابة الخضراء تشقّ الغيوم وهي تنمو شيئاً فشيئاً، وتتعالى تحتها، وكذلك اندفعت التّباتات وأشجار العليق في العلوّ حتّى إنّ بعضها انشقّ عند الجذور متسارعاً في التّموّ. كانت شجرة السّندر أسرعها جميعاً، أطلقت جذعها الرّشيق إلى العلا كوميض البرق في خطّ منحرج، وانتشرت أغصانها حولها كأعلام خضراء شفافة، كلّ ما في الغابة حتّى الخيزران البنيّ الأسيل ذو الرّيش النّاعم الدّقيق نما مع البقية، بينما حلّقت العصفير وهي تصدح بتغار يدها، وجلس جندب ينظّف جناحيه برجليه على وريقة عشب كانت تتطاير في الهواء كشريط أخضر طويل، وأخذت الخنافس تدندن والتّحل يطنّ، والعصفير تزفّزق كلّ منها على طريقتة، لقد كان الهواء مليئاً بأصوات الغناء والبهجة.

ثمّ راحت الشّجيرة تتساءل: "أين الزّهرة الرّزقاء الصّغيرة التي قرب الماء؟ وأين الأقاخي الصّفراء الحلوة؟ وصعتر الصّيف الجميل، أين هو؟ والسّوسن الذي كسا الأرض بالنّور في السّنة المنصرمة؟ وشجرة التّفاح البريّة ونوارها الجميل، وكلّ ما تزهو به الغابة سنة إثر سنة؟" ولما رأتهم كلهم حولها، صاحت البلّوط بنغمة كلّها حبور: "ما أجمل هذا! أكاد لا

أصدقه! هل في الحياة سعادة كهذه؟" لقد بدا لها أنّ الأمر يكاد يكون مستحيلاً.

وبينما الشجرة الهرمة تنمو وتعلو سامقة في الفضاء شعرت أنّ جذورها تفكّ عقالها من الأرض، وهتفت: "لعمري إنّ هذا حسن وبديع، لا قيود هناك تأسرني بعد الآن، إنّ بإمكانني أن أطيّر إلى أعلى الأعالي في التور والمجد، وكلّ الذين أحبّهم معي، الصغار والكبار." هذا كان حلم السنديانة الهرمة.

وبينما هي تحلم هبت عاصفة شديدة عبر الأرض والبحر، وأخذت أمواج هائلة تكتسح الشاطئ، وفي اللحظة التي خيل إليها في الحلم أنّها تفكّ إسارها من الأرض سمع صوت انسحاق وطرقة في قلب الشجرة، وانقلعت جذورها من الأرض، وسقطت... وهكذا انقضت أعوامها الثلاثمئة والخمسة والستون كيوم (أفيميرا) الوحيد.

وفي صباح العيد كانت العاصفة قد هدأت عند بزوغ الشمس، ثمّ تعالت نغمات الفرح من كلّ صوب، وتعالى الدخان من مواقد الأكواخ شاقاً طريقه في السماء الزرقاء. هدأ البحر، ورفعت الأعلام، وعرضت على ظهر باخرة عظيمة كانت قد قاومت الزوبعة في أثناء الليل إشارة فرح وابتهاج.

وهتف البحارة: "لقد سقطت الشجرة!... سقطت السنديانة القديمة، وهي علامتنا البرية على الشاطئ! لا ريب أنّها اقتلعت في عاصفة الليلة الماضية، فمن ذا الذي يستطيع أن يعيدها كما كانت؟ إنّّه للأسف عظيم ألاّ يتمكّن أحد من ذلك."

هذه كانت خطبة الرثاء على الشجرة، خطبة قصيرة، لكنّها بليغة.

وبقيت السنديانة الهرمة ملقاة هناك على الشاطئ تتراكم عليها الثلوج كلّها.

الشيخان

رسالة، أيها الأب (أزان)؟

نعم يا سيدي... هذا خطاب قادم من (باريس).

لقد كان مزهواً فخوراً بأنها رسالة قادمة من (باريس)، هذا الأب (أزان) الطيب.. لا أنا. فإن هاتفاً في نفسي أخذ يحدثني قائلاً إن هذه الباريسية من أهل شارع (سان جاك) -وقد حكّت على مائدتي ارتجالاً، دون سابق إنذار، ومنذ الصباح المبكر- ستضيق عليّ نهاري. ولم يخب ظني. انظروا... هاهي ذي:

- "عليك أن تؤدي لي خدمة يا صاحبي. فستغلق طاحونتك يوماً واحداً، وتحمل نفسك فوراً إلى (إيجوير).... إن (إيجوير) بلدة محترمة على بعد ثمانية أو عشرة أميال من عندك. أي إنها نزهة لك، عندما تصل، اسأل عن ملجأ الأيتام. وأول بيت بعد ذلك هو بيت منخفض ذو نوافذ رمادية وحديقة صغيرة وراءه. ادخل دون أن تطرق الباب، فالباب مفتوح دائماً. وصح - وأنت داخل - بأعلى صوتك: يومٌ سعيدٌ - أيها الناس الطيبون - إنني صديق (موريس)، وإذ ذاك ستري شيخين، أوه! ولكنهما عجوزان، عجوزان، عتيقان جدّاً، يمدان لك أذرعهما وهما غارقان في مقعديهما الكبيرين، فعانقهما من قبلي، عانقهما عناقاً حارّاً من كل قلبك، كما لو كانا جديك. ثم ستحدثون، سيكلمانك عني، لن يكلماك إلا عني، وسيقضان عليك ألف عتاهة تسمعها دون أن تضحك.. إياك أن تضحك. أسمع أنت؟... إنهما جداي، كائنان سأظل صنيعتهما ما حييت، وهما لم يرياني منذ عشر سنين... عشر سنين، ذلك وقت طويل! ولكن ماذا تريد؟ أنا (باريس) ممسكة بي، وهما الشيخوخة قعدت بهما... إنهما شيخان هرمان لو حاولا أن يأتيا لزيارتي لتناثرا في الطريق... من حسن الحظ أنك هناك يا عزيزي الطحان. وإذا ما عانقك هذان المسكينان الطيبان ظنا أنهما يعانقاني أنا بعض الشيء... لطالما حدثتتهما عنا وعن هذه الصداقة الكريمة التي...".

ألا تبتاً للصداقة! فقد كان صباح ذلك اليوم عظيماً رائعاً، ولكنه لم يكن يساوي شيئاً لمن يقطع الطرقات: كانت (المسترال) عاصفة، والشمس متأججة، والجو جو يوم من أيام (البروفانس) حقاً. وحين وصلتني هذه الرسالة. كنت قد اتخذت مكمني بين صخرتين،

وكنت أمني نفسي بالقبوع هناك طول النهار، كالضب، أعب من النور وأنا أسمع نشيد أشجار الصنوبر. وبعد، فماذا تريدنني أن أفعل؟ أقفلت طاحونتي وأنا غاضب، ووضعت المفتاح تحت الثغرة التي تمر منها القطط، وأخذت عصاي، وانطلقت.

وبلغت (إيجوير) نحو الساعة الثانية. كانت القرية قفراً، فقد انتشر أهلها جميعاً في الحقول... وفي شجر الدردار المغروس على الطريق، وقد ابيضت أغصانه من القتام، كانت الجنادب تغني كأنها في قلب (كرو).

والحق أن حماراً كان يتمتع بالشمس في الميدان أمام ديوان العمدة، وسرباً من الحمام كان يحوم حول النافورة، ولكن لم يكن هناك أحد ليدلني على ملجأ الأيتام. ومن سعد طالعي، ظهرت لي فجأة عجوز، مقعبة في ركن بابها تغزل، فسألتها عن ضالتي، فدلتني على الملجأ، وكان داراً ضخمة كالحة الجدران قابضة المظهر قاتمة. وجوار هذا البناء، لمحت بناء آخر أصغر منه. نوافذ رمادية، وحديقة خلفية... عرفت الدار بغير توهم، ودخلت دون أن أخط.

لن أنسى ما حييت مشهد تلك الدار. سأتمثل دائماً ذلك الدهليز الرطيب الهادئ، والحائط الوردي الطلاء، والحديقة الصغيرة التي كانت تهتز في أفق الصورة من خلال ستارة. على النافذة وضيفة اللون، وصفائح الجدران تلك الحالية بأزهار وقياثير ذابلة. لقد خيل إلي أنني أدخل بيت قاض من قضاة الأشراف.. وفي آخر الدهليز على يدي اليسرى، من باب منفرج، سمعت نبض ساعة ضخمة، وصوت طفلة صغيرة، طفلة من تلميذات المدارس كانت تقرأ، فاقتربت في هدوء من ذلك الباب ونظرت...

في سكون غرفة صغيرة وضوئها الخافت، كان شيخاً طيباً متورداً الوجنتين، مغضن الجلد حتى أطراف أصابعه، ناعساً في قلب كرسي وثير، وقد انفتح فوه وظلت يدها على ركبتيه. وعند قدميه جلست صبية ترتدي الزرقة -ثوباً أزرق فضفاضاً وقلنسوة صغيرة. هو زي الملجأ- تقرأ سيرة في كتاب أكبر منها.. ولقد فعلت هذه المطالعة الإعجازية فعلها العجيب في البيت كله، فنام الشيخ في مقعده. ونام الذباب في السقف، ونامت (الكناريا) في قفصها هناك على النافذة، بينما استرسلت الساعة الغليظة المستندة إلى الجدار في غطيها تردد (تك تك تاك). لم يكن يقظاً في الغرفة كلها إلا عصابة من النور تسقط مستقيمة ناصعة من بين مصراعي النافذة الموصدة، زاخرة بالشرر الحي.

والرقصات الذرية الدقيقة... وفي وسط هذا السبات العام، مضت الطفلة تواصل قراءتها وتلقي الألفاظ إلقاءً جدياً رهيباً "وسر... عان... ما... انقض... عليه... أسدان... والتهد... حماه...".

في تلك اللحظة دخلت أنا... ولو اقتحم الحجرة أسد، لما أثار فيها من الدهول أكثر مما أثرت. إنها لمفاجأة مسرحية حقاً! نددت عن الطفلة صيحة، وهوى الكتاب الكبير، وهبت الكناريا والذباب، ودقت الساعة، وقفز الشيخ واشرباً مشدوها، ووقفت أنا على أسكفة الباب وبني شيء من اضطراب، أهتف بأعلى صوتي:

يومٌ سعيدٌ -أيها الناس الطيبون- أنا صديق (موريس). أوه! إذ ذاك، يا ليتكم رأيتموه، هذا الشيخ الطيب المسكين، يا ليتكم رأيتموه يقبل نحوي ماداً ذراعيه يعانقني، ويصافحني، ويهيم في الغرفة شارداً يقول:

- يا إلهي! يا إلهي!

لقد أشرفت غضونه جميعها، وانبسبت أساريه، واحمر وجهه، وراح يتمتم:

- آه! يا سيدي... آه! يا سيدي...

ثم مضى إلى داخل البيت يدعو:

- (مامت)!

وإذا باب يفتح، وأسمع وقع أقدام فأر في الدهليز... إنها (مامت) لن يكون أجمل من تلك العجوز الصغيرة بقلنسوتها ذات الشريط المعقود، وثوبها البني الباهت، ومنديلها المطرز الذي حملته في يدها احتفاءً بي، على طريقة العصر الماضي.. ويا له من مشهد عاطفي مؤثر! لقد كانا متشابهين، فلو قد ارتدى الرجل وشاحاً وأشرطة صفراء لاستطعت أن تدعوه (مامت)، هو أيضاً. ولكن (مامت) في الحقيقة لا بد أنها قد بكت كثيراً في حياتها، فإنها لتفوق صاحبها تجعداً وغضوناً. وكصاحبها أيضاً، كانت لها طفلة من بنات الملجأ بالقرب منها، حارسة صغيرة في ثوب أزرق فضفاض، ما كانت تفترق عنها لحظة. وإن مشهد هذين الشيخين تحرسهما هاتان اليتيمات، لهو أشد ما تستطيع أن تتصور تأثيراً في قلبك.

وأقبلت (مامت) فبدأت تنحني انحناءً كبيرة، تريد بها أن تحيني كما كانوا يفعلون في عهد الفروسية، ولكن الشيخ بكلمة منه بتر انحناءتها:

- أنه صديق (موريس)...

وإذا هي ترتجف، وتبكي، وتفقد مندليها، وتحمر، وتحمر وتفوقه احمرارًا... هؤلاء الشيوخ! ليس في عروقهم إلا قطرة دم واحدة، وعند أقل انفعال تثب هذه القطرة إلى وجوههم...

قالت العجوز لصغيرتها:

- أسرع، أسرع بكربي...

وأهاب الشيخ بصغيرته:

- افتحي النافذة.

ثم أخذ كل منهما بإحدى يدي، واقتاداني وهما يدبان على أرض الغرفة حتى بلغا بي النافذة التي فتحت على مصراعيها ليرياني في جلاء.

وتدانت المقاعد، وإذا أنا جالس بينهما على كرسي صغير والصغيرتان الزرقاوان وراءنا، وإذا الاستجواب يبدأ:

- كيف حاله؟ ماذا يعمل؟ لماذا لا يأتي؟ أمسرور هو؟

وهكذا انهالت عليّ أسئلتها الثرثرة ساعات طوَالاً.

أما أنا، فكنت أبذل أقصى ما في وسعي ألا أجيب عن أسئلتها، أسرد عن صديقي ما أعرف من تفاصيل، وأختلق دون حياء ما لا أعرف، حريصًا قبل كل شيء على ألا أبوح بأنه ما عنّ لي يومًا أن ألاحظ هل مصاريع نوافذه محكمة القفل إذا أراد أن يوصدها أو من أيّ لون قد اتخذ ورق غرفته.

- ورق غرفته؟... إنه أزرق يا سيدتي، أزرق فاتح، تحليه زخارف من أكاليل الورد وورق الشجر...

فقالت العجوز المسكينة وقد فاض بها الحنان:

- حقًا؟

وأضافت وهي تلتفت إلى زوجها:

- ياله من ولد طيب!

فواصل الآخر في حماسة:

- أوه! أجل ياله من ولد طيب!

وظلا طيلة الوقت يتبادلان في أثناء حديثي إيماءات برأسيهما، وضحكات صغيرة ماكرة، وغمزات بأعينهما، وإشارات اصطلاحا عليها للتفاهم بينهما، أو كان الشيخ يدنو مني ليهمس لي:

- ارفع صوتك... إن أذنها ثقيلة بعض الشيء.

بينما تهمس لي هي من ناحيتها:

- بصوت أعلى قليلا، أرجوك!... فإنه لا يكاد يسمع.

وإذ ذاك كنت أرفع صوتي، فيشكرني كلاهما بابتسامة، وفي هذه البسمات الذابلة التي كانت تنحني علي باحثة في غور عيني عن صورة (موريسها)، كنت أرى، وأنا شديد التأثر، صورة صاحبي المنشودة غامضة محجبة لا يكاد يدركها البصر. فكأنني كنت أرى صديقي يتسم لي، بعيدًا جدًا في ضباب.

وفجأة انتصب الشيخ فوق مقعده:

- إني لأفكر في الأمر، (مامت)... لعله لم يتناول غداءه!

فرفعت (مامت) ذراعها نحو السماء مشدوهة مضطربة:

- لم يتناول غداءه! ياسبحان الله!

وكنت أظن أنهما ما زالا يتحدثان عن (موريس)، وهممت أن أجيب بأن هذا الولد الطيب لم يكن يتأخر قط عن الساعة الثانية عشرة ظهرًا لكي يجلس إلى المائدة. ولكنهما كانا يتكلمان عني أنا، ويا ليتكم شهدتم أي استعداد أقام البيت وأقعه حين صرحت بأنني ما زلت على الطوى.

- - أسرعاً بأدوات المائدة أيتها الصغيرتان الزرقاوان! اجذبا الخوان إلى وسط الغرفة، وإسقاط سماط يوم الأحد، وأخرجوا الأطباق ذوات الأزهار. كفانا ضحكًا من فضلكما! ولنسرع...

وإني لأعتقد تمام الاعتقاد أنهما كانتا تسرعان، فلم يكذب ينقضي من الوقت إلا ما يلزم لكسر ثلاثة أطباق، حتى كان الغداء معدًا.

وقالت لي (مامت) وهي تقودني إلى الخوان:

- غداء صغير طيب!... . بيد أنك ستكون وحدك إلى المائدة...أما نحن فقد أكلنا صباح اليوم.

يا لهذين الشيخين المسكينين! إن من يدخل عليهما في أية ساعة، يجدهما دائماً قد أكلا في الصباح.

وغداء (مامت) الطيب! كان يتألف من إصبعين من اللب، وبعض التمر، وقطعة (باركيت) وهي شيء يشبه الفطير، وتلك مادة تكفي لإطعامها وإطعام (كناريها) أياماً ثمانية على أقل تقدير... فما قولكم وقد أتيت وحدي على كل هذه المؤن عن آخرها!... وبناء عليه، أي استنكار حول المائدة! يا لي من الصغيرتين الزرقاوين وقد أخذتا تتهامسان وتتلامزان بمرفقيهما، ويا لي من أفراخ (الكناريا) هناك في قاع قفصها وقد بدا عليها أنها تتناول: "أوه! هذا السيد الذي يلتمهم الباركيت كلها!".

وفي الواقع لقد التهمها كلها، بل ولم أكد أتنبه إلى ذلك، إذ كنت مشغولاً يستغرقني النظر حولي في هذه الحجرة الوضيئة الوادعة التي كان يتضوع فيها لون من أريج الماضي والأشياء القديمة.. كان هناك قبل كل شيء سريران، وهما أشبه بمهدين، كنت أتمثلهما في الصباح، قبل شروق الشمس، وما زالوا كامنين في ستائرهما الفضفاضة ذوات الأهداب، ثم تدق الساعة الثالثة، وهي موعد استيقاظ العجائز جميعهن:

- أنائمة أنت يا (مامت)؟

- لا، يا صاحبي.

- أو ليس (موريس) ولداً طيباً؟

- أوه! أجل، إنه ولد طيب.

وكنت أتخيل على هذا المنوال حديثاً بأكمله، لا لشيء إلا لرؤيتي فراشي الشيخين، وهذين السريرين الصغيرين القائمين هذا بجوار هذا...

كان (موريس) كلفاً بالكرز! ومال الشيخ على أذني يقول في لهجة شرهة وهو يقدم لي القدح:

- إنك لمحظوظ، أنت، إذا أتيح لك أن تتناول منه!... إن زوجتي هي التي صنعتها... لسوف تتذوق شيئاً جيداً.

واحسرتها! إن زوجته هي التي صنعتها، ولكنها نسيت أن تحليه بالسكر. ماذا تريدون؟ فالمرء يمشي شارداً الدهن حين يهرم. لقد كان كرزك لاذعاً حاداً يا مسكينتي (مامت...) غير أن ذلك لم يمنعني من أن أتجرعه إلى آخره دون أن تطرف لي عين. وعندما انتهى الطعام، نهضت أستأذن مضيفي في الانصراف. لقد كانا يودان لو استبقيانى بعد ذلك قليلاً لتتحدث عن الولد الطيب، ولكن نور النهار كان يخبو، وكانت الطاحونة بعيدة، فلم يكن بد من الرحيل.

وكان الشيخ قد نهض حين هممت:

- (مامت)، معطفي.. أريد أن أرافقه حتى الميدان.

ولم يكن شك في أن (مامت)، في قراره نفسها، كانت تجد أن برودة خفية -منذ ذلك الوقت- قد انتشرت في الجو لا تأذن لصاحبها أن يرافقتي حتى الميدان، ولكنها لم تدع شيئاً من ذلك يبدو عليها. إلا أنني سمعت هذه الشيخة المسكينة بينما هي تعينه على دخول رديني معطفه، معطف أسباني بني قاتم ذي أزوار صدفية، تقول له في رقة:

- لن تتأخر طويلاً، أليس كذلك؟

أما هو فأجاب في لهجة متخابثة متمنعة:

- (هى! هى!)...! لست أدري... ربما...

وهنا نظر كل منهما في عيني الآخر ضاحكاً إذ تريانها يضحكان، وأمست أفرأخ (الكناري) في ركنها تضحك أيضاً على طريقتهما الخاصة.

... وكان الظلام يهبط على الأرض حين خرجنا أنا والجد، وكانت الزرقاء تتبعنا من بعيد لكي تعيده، ولكنه لم يكن يراها. بل استبد به الفخر إذ يتأبط ذراعي، كالرجل. وأشرق وجه (مامت) عندما رأت ذلك، من أسكفة بيتها. وكان لرأسها وهي تنظر إلينا هزات جميلة، لعلها كانت تقول: "على الرغم من كل شيء، زوجي العزيز!... إنه ما زال قادراً على المشي."

الصقر

* (غوستاف هيلستروم)

كان (السر انغوراند) يذهب إلى الصيد كل يوم ويده في قفاز أحمر مطرز بالذهب، لأنه لم يكن ليوثق في حناياه الحاسة الموسيقية سوى طيران الصقر الأيسلندي ورنين أجراسه الصغيرة، فتجعله يستنشق نسيم الصباح القريب ببهجة. وفي أحد الأيام طارد الصقر (بالتوناً دامياً) إلى مستنقع وراء الأجمة حيث وجده الصياد ودق عنقه، ولكن الصقر لم يكن ليعثر له على أثر. فهل أغرته فريسة جديدة، أم أنه عاف ماء المستنقع الكدر، أم أن خيلاءه دفعت به إلى التحليق في الأجواء حتى شطت به الرياح؟ -عبثاً ذهبت محاولاتهم في العثور عليه. وعبثاً نادوه بأسماء محببة، وكذلك دوى صوت البوق من على كل رابية. فصنع (السر انغوراند) بقفازه كبير الصقارين على فمه المرتعش حتى سال منه الدم، ثم راح يرمح على جواده فوق العشب متجهًا صوب القصر وشفثاه مزومتان بشدة متناهيّة، وجفناه مسدلان في كآبة أشد على عينيه المتراخيتين. أما الصقر فلم يجدوه.

ولكن (رينود) وجده وقد تعلق إزاره بشجيرة عليق وهو دون حراك ينتظر الموت جوعاً في براثنها الثابتة، أحد جناحيه معلق والآخر مرتفع بتحد ورأسه المستطيل ممتد إلى الأمام يتوعد بعينين ثابتتين ومنقار صارم. لقد كان جميلاً وهو قابع بين حبات العليق الحمراء كالدم، وارتعشت يد (رينود) لهفة وهو ينتزع إزاره من بين الشوك والأجراس الصغيرة ترن بين أصابعه على الحلقة المرسومة بطابع (السر انغوراند). وعلا صراخه بالفرح عندما شقت المخالب الحادة ذراعه المفتولة وأصبح الصقر ملكه.. صقر يمتاز بأعرض صدر وأطول جناحين وأنبل عينين كالذهب الملتهب.

لقد غدا ملكه دونما ريب، لأنه لن يستطيع مطلقاً أن يريه لأي إنسان، فهو يعلم بالقوانين الصارمة التي تحمي هوايات الفرسان الرياضية، إنه سيبتني له قفصاً في الغابة، فيتسلل في الصباح الباكر إلى هناك قبل أن ينفض الطير البرد عن نفسه ويجولان الحقول سوية، ويكتسحان بنظراتهما المناطق البيضاء الشاهقة، وسوف يغرم كلاهما بالآخر، وأشعة الشمس تعلو وتنسكب على رأسيهما وتحمل الريح أفكارهما. أحكم (رينود) وثاقه ثانية، وركض

* كاتب سويدي حائز على جائزة نوبل في الآداب (1881-3591).

نحو البركة، ثم رجع سريعاً ببطة قتلها بحجر وقدمها للصقر، فأقبل عليها، فتخدر قلب (رينود) من النشوة لأن تلك كانت علامة من الصقر بأنه لا يحتقره وأنه سيكون له.

وأصبح الصقر ملكاً له، وكلما طقطقت الأغصان المتجمدة بالصقيع تحت خطواته في سكون الصباح كان الصقر يحني رأسه ويصغي، وعيناها هادئتان ترقبان على حذر، ثم يقفز بخفة من قفصه ماداً نفسه نحو يده وهو يرفرف بجناحيه كأنما يريد الطيران -أو يريد أن يذكره بذلك- ثم يسرعان في الخروج من الفلوات الرحبة حيث كان الضوء ينتشر شيئاً فشيئاً.

و ألقى عيونهما نظرات حادة على السماء المحمرة احمراراً قاتمًا، وترامت التلال سوداء بالأبيكات المتناثرة حيث رقدت الأشجار وأغصانها مثقلة بالعصافير الصامتة. وغدت السماء منبلجة البهاء تتوهج بالذهب والاحمرار، وأصبحت معالم الحقول زرقاء، طار البوم يسف على الأرض يلتمس مخبأً، ونشرت عصافير الصباح أجنحتها مسقسقة بلطف من البرد، وظهرت في طيرانها سوداء على صفحة الهواء المتلألئة. ولكن (رينود) وصقره أسرعوا في سيرهما لأن هذه كانت عصافير الدوري والسمان -ولا يطمعان فيها فريسة. ولكن نزولاً عند المستنقعات كانت (البلاتن) تزقق وتطير بضربات طويلة من أجنحتها في دوائر واسعة، فهناك كانت الفريسة. وهناك أطلق الصقر عاليًا وصدره مصوب ، وأجنحته مستعدة للقصف، ورآه (رينود) في أشعة الشمس وقد انقلب إلى لون الذهب فوق معمي العينين مصابًا بالدوار بينما غدا الطير يصفر على أديم السماء. وبلغت مسامعه سخرية زنين أجراسه من زعقات (البلاتن).

أخذت (البلاتن) تحوم في دوائر من خوفها. وفكرت أنا في أن تحط على الشاطئ لكي تخبيء أعناقها الطويلة ورؤوسها البهلاء المرتعبة وأعرافها المنحنية تحت الأشجار القاتمة، وأنا آخر حاولت مترددة أن تعلق في شكل حلزوني متكئة على أجنحتها العريضة في حملها إلى أعلى مما يستطيع عدوهم مطاردتها، وارتجفت كالقصب من الرعب المستولي على قلوبها.

ولكن الصقر التقط منذ البداية واحدًا من أفواها، واحدًا من أولئك الذين حلقوا عاليًا لأول وهلة. أحب الصقر أن يجرب قوته وأن يشعر بالهواء الخفيف القرير تحت جناحيه،

ورفع نفسه بسرعة غير متلجلج وكأنه يحوم حول شعاع من الشمس. وللحال غدا هو الأعلى. وبان للعيان أصغر من العصفور الدوري، ولكن شيئاً من هيئة جناحيه وفي قوة جسده المركزة أعطت فكرة عن إشعاع عينيه الوحشيتين ومخالبه الممتدة، وانقض بعتة ثقيلاً كالفولاذ، على عنق فريسته الأعزل المتجه نحو الأعلى، وسقط الاثنان كحجر تكاد أجنحتهما لا تتحرك. وهرول (رينود) يخوض البركة بسرعة قبل أن ينشل البلتون نفسه ويستعيد صوابه من هول الضربة، فيجمع قواه ويستعمل منقاره الصارم في وحشية يأسه، غير أن الصقر عاجله بالضربة المميتة بحدة وسرعة، والتفت بعينيه الواسعتين نحو سيده لأنه استنكف أن يلمح ريشه بالدم، وانتظر كي يوهب له القلب وهو ما يزال حاراً.

لم يطر الصقر ثانية في ذلك اليوم، وعندما أطلقه (رينود)، وطيره عاليًا وركض وراءه منادياً محرّضاً، خبط جناحيه بضع مرات، ثم جثم على كتفه مرة أخرى ببرود وكبرياء إزاء وجهه الصبياني الضاحك، وظهر أنه يحتقر جميع التوافه، فأحجم (رينود) عن تكرار ذلك بينما اكتسبت نظراته ونظرات الصقر الجدية البعيدة المدى. وغدا مخلصاً له أكثر من أي شيء آخر امتلكه في حياته، وخيل إليه أن الصقر قد قد من روحه وحينه بجناحيه العريضين ولمحته المنتصرة. ولكن كان هنالك ألم في حبه، وتشاؤم كئيب من بلية منتظرة. وفي أحايين أخرى يداهمه الخوف لئلا يفارقه طيره دون اكتراث، ويختفي مع زنين أجراسه السافر. إن الفراغ الذي سيتركه سيكون بمثابة الموت له ولا ريب، أو خيل إليه أنّ الصقر كان شرفاً يتألق على صفحة الهواء اللازوردي يجثم الآن على كتفيه في انتظار سفرات جديدة.

وفي أوج فرحه شعر بالانقباض من تفاهة نفسه، وبالكاد جرؤ أن يلقي نظرة على الطير، وأحس بالألم في قلبه بأنه لن يستطيع أن يشاركه في أفراحه مطلقاً، وأن نظرتة لن تلين أبداً عند رؤية سيده. وركض إلى أرض الأحلام.

اضطجع على الأرض المنثورة بالأعشاب والخلنج الأحمر تحت رأسه، بينما انسابت الغيوم مجتازة كمصير بني البشر، خفيفة وثقيلة، مركزة في معالم ثابتة، أو مبعثرة في الهروب. يد الريح الخفيفة تخشخش، وراح (رينود) يقص الحكايات على صقره.

رجع الملك (آرثر) ثانية من بحر (برياتي)، وتسلم مرة أخرى سيفه (أكسكالبير) الأرزق

كسماء الليل في طقس بارد. ورفع فرسانه الاثني عشر رؤوسهم الثقيلة عن المائدة الحجرية ونفضوا السبات عن أنفسهم، وارتجت الأرض من تحت أقدامهم وكان (رينود) أيضاً هناك، نبيل المولد وجواده يتبختر تحته، والصقر الذي كان نائماً الآن منحنى الرأس، جثم منتصباً على يده يصبو إلى نظراته بعينين متألفتين بالفرح وبالشمس الذهبية في الأساطير البطولية. ولكن الغيوم انسابت مجتازة كأقدار البشر المحتومة تطارد بعضها بعضاً قائمة الواحدة منها فوق الأخرى، وشكلت قوساً هائلاً من الكتل، حيث نفذت أشعة الشمس وانسكبت من فجواتها صفراء حادة كالسهام، وحلم الصقر أحلاماً حزينة كئيبة عن الغضب العتيد العاجز واستيقظ وهو يزعق.

لمح الصبية المتجولون طير (السر انغوراند) على يد (رينود). فقبض رجال الفارس عليه وساقوه إلى القصر. وانتابته رعشة عندما أخذ الصقر منه لا يبدي حراكاً وكله كبرياء كعهده دائماً دون أن يلفت عنقه المنحني ودون لمحة من عينيه الهادئتين الباردتين. أخذ الطير إلى سيده، ولكن السيد لم يبد أي عطف نحو محبوب فقدته؛ وذلك لأنه سمح لنفسه بأن تلمسه أيد دونه شرفاً ومنزلة.

الفلاحون في (باريس) (ألفونسو دوديه)*

في (شامبروزاي) كان هؤلاء الناس سعيدين هائنين. كان يقع وصيد دواجنهم تحت نوافذي مباشرة، وكانت حياتهم تختلط بحياتي بعض الاختلاط ستة أشهر من السنة. فكنت قبل أن يطلع النهار بوقت طويل، أسمع الرجل يدخل الحظيرة فيربط الدابة إلى العربة، وينطلق إلى (كوربي) لبيع خضرة هناك، ثم تنهض زوجته فتلبس الأولاد، وتدعو الدجاج، وتحلب البقرة، وما ساعات الصباح بعد ذلك إلا وابل من خبط القباقيب الغليظة والصغيرة على السلم الخشبي... وبعد الظهر، كان يسكن كل شيء، فالأب في الحقل، والأبناء في المدرسة، والأم مشغولة صامته تنشر الغسيل في الفناء، أو تخطط أمام بابها وهي تلاحظ الولد الأصغر في الوقت نفسه، ويعبر الطريق عابر من حين إلى آخر، فيدير اللسان حديثًا بينما تشد الأنامل الإبرة..

وذات مرة -وكان هذا في أواخر شهر أغسطس- سمعت المرأة تقول لجارة لها:

- ماذا عن ال(بروسيين)¹؟ هل هم في فرنسا، فقط؟

فصحت بها من نافذتي:

- إنهم في (شالون)، يا أم (جان)....

فأضحكها ذلك كثيرًا... لقد كان الفلاحون في هذا الركن الصغير كافرين بغزوة ال(بروسيين).

على أننا كل يوم كنا نرى عربات تمر محملة بالأمثلة. وكانت بيوت البورجوازيين تغلق أبوابها تباعًا. وفي هذا الشهر الجميل الذي يطول فيه النهار، أتمت الحدائق أزهارها وهي مهجورة كالحة كثيفة وراء أسوارها الموصدة... وبدأ القلق يساور جيراني شيئًا فشيئًا. كلما نزح من الحي نازح أخذتهم غمة. لقد باتوا يشعرون شعور المهجورين المخدولين... ثم ذات صباح، إذا الطبول تفرع في جهات القرية الأربع! أمر من مكتب العمدة. ينبغي السفر إلى

(1) البروسيين: الألمان، نسبة الأرض التي أتوا منها (أرض البلطيق)، وكانت تسمى (بروسيا).

* كاتب فرنسي (1871-1948).

(باريس) لبيع البقرة، والأعلاف، وعدم الإبقاء على شيء للـ(بروسيين).

رحل الرجل إلى (باريس)، وكانت رحلة حزينة، فعلى الجزء الرصيف من الطريق الكبير، مضت مركبات المهاجرين الثقيلة بنتائج بعضها إثر بعض وقد اختلطت بقطعان من خراف كانت تتخبط بين العجلات، وثيران كانت تخور فوق العربات، بينما مشى إلى جانب الطريق بحذاء الخنادق مساكين راجلون وراء عربات صغيرة ذوات أذرع غاصة بأثاث من طراز العصر الماضي، أرائك ذابلة الوسائد، وموائد عتيقة، ومرايا محلاة برسوم شرقية، وإنك لتحس أي كرب هذا الذي استطاع أن يدخل البيت فيزيح كل ذلك الغبار، وينقل كل تلك الآثار المقدسة، ويجرها أكوامًا لا حرمة لها في الطرقات العامة.

وعلى أبواب (باريس)، كادوا يختنقون. ولم يكن بد من الانتظار ساعتين، فظل الرجل المسكين طوال هذا الوقت، وقد ضغطه الحشد إلى بقرته، ينظر هلوغًا إلى الكوى التي تطل منها فوهات المدافع، وإلى الخنادق المترعة بالماء، وإلى الحصون القائمة مدى البصر، وإلى شجر الحور الإيطالي الباسق مخبوطًا ذاويًا على طرف الطريق... وفي المساء رجع من هناك مرتاعًا يروي لزوجته كل ما رأى، فجزعت الزوجة، وأرادت أن ترحل منذ الغد ولكن من غد إلى غد كان يحدث أن يرجئ السفر دائمًا... فاليوم حصاد ينبغي أن يتم، واليوم قطعة من الأرض مازالوا يرغبون في حرثها.

وذاوات ليلة يوقظهم انفجار عنيف. لقد نسف جسر (كوربي). وإذا رجال يطوفون بالحي يقرعون الأبواب من بيت إلى بيت: "الفرسان! الفرسان! لوذوا بالفرار."
فيهبون في هرع وعجلة، ويربطون الدابة إلى العربة، ويلبسون الأطفال وهم نصف ناعسين، ويفرون مع بعض الجيران متخذين مسلكًا ضيقًا قصيرًا.

وعندما تسنموا السفح، دقت الساعة الثالثة في البرج. هناك التفتوا مرة أخيرة. إن مشرب البهائم، والميدان، ودروبهم المعتادة، هذا الطريق الذي يهبط نحو (السين)، وذلك الطريق الذي ينساب بين الكروم، كل شيء بدا لهم غريبًا ولما ينأوا عنه! وفي ضباب السحر الأبيض كانت القرية الصغيرة المهجورة تضم بيوتًا بعضها إلى بعض كأنها ترتعد من هول وشيك.

إنهم الآن في (باريس). غرفتان بالطابق الرابع في شارع حزين... أما الرجل فمبتئس

ولكنه لا ينوء بشقوته. لقد وجدوا له عملاً، ثم إنه من الحرس الأهلي، ولديه المتاريس، والتدريب، وإنه ليلتهى ما استطاع إلى اللهو سبيلاً ليتسنى مخزنه الخاوي ومروجه التي تنتظر البذار. وأما المرأة فمستوحشة مفجوعة تضيق بأمرها ولا تدري ما المصير. لقد وضعت بنتيها الكبيرتين في المدرسة، والصبيتان في تلك المدرسة الخارجية العاطلة من حديقة تختنقان إذ تتذكران بيتهما الريفي الجميل الصائت المرح كخلية النحل، والطريق الذي كانتا تقطعانه إليه كل صباح خلال الغابة. وتتألم الأم إذ تراهما مكتئبتين واجمتين، ولكن الصغير هو الذي يقلقها فوق كل شيء.

هناك كان يذهب ويجيء، تابعاً إياها إلى كل مكان، إلى الفناء، وإلى البيت وأثباً وراءها درجة الأسكفة كلما عبرتها هي، غامساً في دلو الغسيل يديه الصغيرتين المحمرتين، وجالساً قرب الباب حين تشتغل بالإبرة لتستريح. إن هنا طوابق أربعة عليك أن تصعدتها، وسلماً مظلماً تتعثر فيه قدماك، وجذوات صغيرة في مدفآت ضيقة، وأفقا من الدخان الرمادي (الأردواز) الليل....

ومن الحق أن هنا فناء فيه يستطيع الصغير أن يلعب، ولكن البوابة لا تريد. هو ذا اختراع آخر من اختراعات المدينة، هؤلاء البوابات! أما هناك في القرية، فكل امرئ سيد بيته، ولكل امرئ ركنه الصغير الذي يحرس نفسه بنفسه. طول النهار، يظل البيت مفتوحاً وفي المساء يدفع المرء متراساً غليظاً من الخشب فينغمر البيت كله بلا خوف في ليل الريف هذا الأسود الذي يجد المرء فيه إغفاء عميقاً طيباً. وبين الحين والحين ينبح الكلب إلى القمر، ولكن أحداً لا يضطرب... الحق إن (البوابة) في بيوت (باريس) الفقيرة هي مالكة البيت. والصغير لا يجروء على النزول بمفرده.

ولكي تلهي الطفل الذي أصبح ضائعاً بحياته، لم تعد المرأة المسكينة تدري ماذا عساها أن تبتكر، فما يكاد ينتهي الطعام حتى تدره كما لو كانا خارجين إلى الحقول، وتنزعه من يده في الشوارع الصغيرة والشوارع الفسيحة، والطفل مقبوض عليه، مصطدم، تائه لا يكاد ينظر حوله... هو لا يعنيه إلا الجياد، فهي الشيء الوحيد الذي يتعرفه والشيء الوحيد الذي يضحكه. والأم أيضاً لا يروقه شيء، فهي تسير بطيئة شاردة الذهن تفكر في أرضها وبيتها. وإذا رأيتها يمران معاً، هي بمظهرها الكريم، وزيتها النظيف، وشعرها المرسل، والصغير بوجهه المستدير و(مركوبه) الغليظ، فستحسب أنهما مغتربان، منفيان وأنهما يفتقدان في

حسرة هواء طرققات القرية الالافح وعزلتها الضافية.

بغلة القاضي (ألفونسو دوديه)*

1

¹ في أثناء إقامتي في الجزائر، تعرفت إلى عربي بعيد الصوت، هو (سيدي بو علم)، وقد أحضرته منذ وقت قصير مركبة "بليدة".

وكان (سيدي بو علم) شخصية جديرة بالتقدير، إذ إنه يحمل لقب "الباش-آغا"، ورتبة القائم مقام، ووسام قائد الفرقة، ويملك أراض شاسعة في "الشليف" وكمية من (الدورو)² ممتازة، فهو خير مثل "الباش آغا" الكريم، ولم يكن أحد يميزه في ارتداء البرنس الأسود المنسوج من وبر الإبل، ولم يكن أحد يفوقه في جلال المشية أو اتئاد الحركة، وكان قليل الكلام، يجهل اللغة الفرنسية تمام الجهل. وكان (بو علم) يجهل كم عساه قد بلغ من العمر؛ فإذا جد في الاستقصاء خُيل إليه، هذا (الباش آغا)، إنه يوفي الستين، ولكن يلوح لي أنه كان يضيف إلى سنة خمستين من الأعوام أو ثلاثًا. ولقد أحرقت إهابه شمس الجنوب الحارة، وأتربة الجنوب الثافية، وريح الجنوب اللافحة؛ وكمنت عيناه السوداوان البراقتان تحت حاجبين رماديين كثيفين؛ وبرز فوه كأنه الخطم تحت لحية شرسة قصيرة؛ كان يبدو لي أنه متوحش، فالتوحش خلق يناسب شخصية (الباش آغا).

وكنت ألقى (بو علم) كل مساء، في ميدان الحكومة، ساعة الطراوة والموسيقا؛ فيقول لي، في جلال، بصوته الدفين: "بوجور، كيف حالك؟"، وكانت "بوجور، مارسى، جافي"³ هي أقصى ما استطاع الرجل المسكين أن يحفظ، وكنت بدوري أبادره ب "سلام عليك" على طريقة فرنسية جدًّا، ونمشي بخطى وئيدة فندور الميدان عدة دورات صامتة، ثم أتركه يعود وحده إلى المدينة العربية، ونفترق وكل منا مبتهج سعيد بصاحبه، وبعد نزاهات ثمانية من هذا النوع، صعد (بو علم) في مركبة بليدة وأبلغني علي -علي الصغير، غلام السوق

(1) هذه قصة، أو مجموعة لوحات، من ريف بلاد المغرب، لم تظهر في أثناء حياة دوديه في كتابه "رسائل من طاحونتي"، وقد نشرتها (باريس) للمرة الأولى سنة 0391 أي بعد وفاة الكاتب بثلاث وثلاثين سنة.

(2) الدورو: عملة من النقود الإسبانية.

(3) تحريف للكلمات الفرنسية: "طاب يومك، شكرًا، قهوة".

* كاتب فرنسي (1981-0481).

المغربي- أنه سينتظرنى الأيام المقبلة في قبيلته، قبيلة "جندل".

وفي الوقت نفسه تقريبًا، دُعيت لتناول شرائح ممتازة من اللحم على مائدة "إيمانويل" وهو مواطن من بلدة "مليانة" الصغيرة الوداعة. وكان (إيمانويل) يقوم بتجارة ضخمة للغلال مع العرب؛ وكان يتكلم لغتهم كلًا لا بأس به، ويتمتع بمكانة شعبية عظيمة في أسواق جميع أقاليم الجزائر. ولما رويت له أمر صلتى بسيدي (بو علم) -أغنى عملائه الوطنيين- اقترح عليّ أن يصاحبني إلى الجندل منذ الغد؛ فقد كان بو علم يقطن على بعد اثني عشر فرسخًا في السهل، وتلك المسافة خليقة بأن تستغرق سبع ساعات إذا قطعناها بجوادين قويين، وهنا قاطعت مضيقي، واعترفت له والحُمرَة تصبغ وجهي أنني لا أركب الجياد. دفعه هذا الاعتراف إلى الابتسام.

- كيف، أيها "الرومي"؟.. تريد أن تجوب أفريقيا، وتجتس بعض الحياة العربية، وأنت لا تعرف أن تمسك نفسك فوق حصان!

- عفواً، أنا لم أطمع يومًا في دراسة الأخلاق والحياة العربية؛ لقد علمتني كتب "أوجين فرومنتان" من ذلك ما كنت أريد أن أعلم، بل وعرضته في أجمل لغة في الدنيا إنما أتيت لأصطلي في شمسكم فحسب! وتركني (إيمانويل) أقول.

فخطبت أسأل في حياء: والمركبات؟

- صحيح أن المركبات تصل بين بلدة وأخرى، شر وصل، ولكنها على ذلك لا تذهب من كوخ إلى كوخ.

- إذن فلأزهد في "كسكسي" سيدي (بو علم)!

- سنرى ذلك صباح غد؛ نم مبكرًا على كل حال، وانهض مع الفجر.

وفي الغد، عندما نزلت من مخدعي، وجدت (إيمانويل) في وسط الغرفة، مرتديًا ملابس ركوب الخيل، فآخرًا رائعا.

- هيا إذن أيها الكسول!

فنظرت إليه مشدوهاً.

- بسرعة! الإفطار ثم نرحل!

- وأنا، كيف عساني أن أفعل؟

- لا تنبس بكلمة أخرى، لنفطر.

وحين غادرت المائدة، كان ينتظرنني المشهد الآتي في الشارع.

2

كان جواد صغير أسود لامع، يصهل من الفرح، ويدير نحو (إيمانويل) رأسه الجميل المربد. وكان عريبان واقفان في ناحية باحترام، لا ينتظران إلا إشارة منا حتى يستنهضا مطيئيهما المربوطتين إلى سياج الحديقة. وفي وسط الشارع كان الفتى ميمون، في ثوبه القشيب المخطط خطوط سوداء وبيضاء، يمسك في عنانها بغلة قوية الشكيمة، وقد أسرجت وأزيتت كأنما أعدت لكي يتبوأها البابا. فعلى صهوة الدابة ارتفع سرج ضخمة أصفر وأحمر أعلى من برج؛ وإلى كشحيتها تدلى ركابان عريبان عريضان من هذه الركابات التي تتوارى فيها القدم، كانا يتراقصان ويوقعان صوتاً من جرس الحدائد.

وقال لي مضيغي وهو يصطحبني إليها:

- هي ذي مطيتك؛ إنها بغلة قاضي "مليانة" دابة فاخرة، لم يركبها صاحبها إلا قليلاً، ودبعة كالحمل، وإن القاضي يستخدمها في الذهاب إلى حديقته المغروسة عند أبواب المدينة أو في النزول إلى الضريح الصغير الذي تلمحه هناك في السهل؛ فهي معك إذن تقوم برحلتها الأولى. إن السرج لوثير كمقعد من مقاعد الصفوف الأمامية في المسرح. لله درك حين تستوي عليه! هيا! هوب! تسنم، ضع قدمك في الركاب؛ قدمك اليسرى لا هذه... أمسك يا ميمون البغلة... أوف!

وهأنذا إذن مرتبك بعض الشيء إذ أحس نفسي على هذا الارتفاع، فوق قمة هذا البيت الذي يمشي. ويمتطي (إيمانويل) جواداً، ويفعل العريبان مثله.

ويصيح بي ميمون:

- تماسك يا سيدي.

إننا الآن في الطريق، السماء رمادية، والجو ثقيل. نهار حار من أيام يناير الأفريقي.

وسأصف، في غير هذه النزهة، ما يلقي المرء من بلاد رائعة تطالعه إذا نزل من (مليانه): تلك الوديان الشاسعة وخضرتها التي تنهار انهيارًا، تلك الغابات من السرو والخروب والزيتون البري التي تنحط إلى أعماق فواحة، كل هذه الكسوة النباتية العاتية العجيبة ترويهما في خريز ساحر مئات الينابيع الصغيرة. وأما اليوم، ومثلي مثل (سانشو): دابة وجبان، فلست أرى أبعد من أذني بغلتي. والحيوان الرهيب، في عناد يخيفني، يتبع بكل تدقيق شفا الأغوار والمستنقعات، مترسمًا أصغر عروق الأرض، دائرًا مع أقل ارتفاع أو انخفاض. وعبثًا أجاهد لإعادته إلى وسط الطريق ووضع حد لهذه الرياضة الخطرة، فما يفلح في ردعه شيء، لا الدعاء الهادئ، ولا الضرب. لا بد إذن من الإذعان، لا بد من التشبث بالسرج وإغماض العينين... وفجأة تنحرف بغلتي، وتدفع إلى يمين، وتتخذ منحدرًا شديدًا، تحت مهد صغير من أزهار الغار، وتخطفني راكضة لا أدري إلى أين. وقسمًا، لو لم يدركنا أحد العربيين، ويأخذنا من مقودنا، ويردنا إلى سواء السبيل، لما زلنا نركض للآن. وأعود إلى (إيمانويل)، فإذا هذا الرجل الذي لا قلب له يتلوى من الضحك فوق حصانه الصغير. وفي كلمتين شرح لي الأمر: إن هذا الذي ظننته هروبًا لم يكن إلا تحية من مطيتي التي كانت تريدني أن أجتس شيئًا من تين "البارباري" الممتاز ولذلك اقتادتني إلى بستان القاضي في أرشق خطو لها. بيد أنها، منذ أن سيرت على الطريق السوي، استأنفت في هدوء عملها ألا وهو تتبع الخطوط المشرفة على الوديان، حتى بلغنا السهل.

وهنا أيضًا كان علينا أن نعاني بعض المشقة في منعها من أن تميل نحو ضريح صغير بدت صورة جانبية لقبته على الأفق. وقد نالني جزائي من الرفس، ولكن البغلة بعد ذلك مشت مستقيمة أمامها، هائمة على وجهها، وديعة مستسلمة، خفيضة الأذن، يا للبهيمة المسكينة! لقد كانت تظن حتى ذلك اليوم أن البغال لا تمضي إلى أبعد مما طرقت من الأرض، وأن العالم ينتهي عند المحراب القائم هناك بجدران البيضاء.

3

لأول وهلة، ذكرني سهل الشليف الذي دخلناه ببعض مناظر جنوب فرنسا. إلى اليسار، كانت بعض التلال الصلحاء؛ وإلى اليمين، كانت أراض شاسعة محترقة، ومن بعيد إلى

بعيد، خمائل ممتعة من شجر الزيتون البري؛ وفي كل خطوة، أقزام من النخل ترتفع على أديم الأرض سعفها المدبب كأنها تقلد الحيوانات البرية الشائكة الظهور. وفوق هذا كله سماء رصاصية، رمادية في ذلك اليوم، ولكنها زرقاء في العادة.

وأحياناً، عند أقدم التلال الممتدة إلى اليسار، يلمح الناظر جياداً عجافاً مربوطة إلى أوتادها أمام خيمة سوداء صغيرة مصنوعة من وبر الإبل، وعلى بعد منها يرى ثوراً، أو حصاناً، أو بغلة، أو حملاً، في بعض الربوع، مجهري الحجم، يجر محرثاً بدائياً جداً، تحدوه دعاءات حنجرية تند عن عربي في زي فلاح من فلاحى فرجيل. ومن حين إلى حين يمضي فرخ من طيور السلوى، وقد أثقله الحر، بين سيقان دوابنا... ولقد سارت قافلتنا الصغيرة في سكون مطبق، تنوء بما أبهظها به الجو من ثقل؛ ومضى (إيمانويل) يلعب بحصانه. وأما أنا، فكنت مزهواً وادعاً فوق بغلة القاضي، أدع عقبي ترقصان على بطنها انفراجاً وانضماماً، وأنا أسمع مئات الأصوات الغامضة التي تنساب في السهل، صوت الأرض تتشقق من الحر، صوت قطع يثغو بعيداً، أو أغنية راع عجبية، فما أدري أية نشوى مجنونة أخذت تغشيني بضبابها شيئاً فشيئاً... يا للذة؛ لقد كنت أحس شعوراً لا يحويه تعبير من حب الأمانة والعدالة يولد في نفسي؛ وأضحيت فجأة وبني نفور من الشر لا أجد له وصفاً، وطاف أمام عيني موكب من هفوات الأمس ونقائضه، موكب خطاياي التي اقترفتها كل يوم، المصافحات اليسيرة، التحيات الهينة، بسمات المجاملة، وناقلة الخبث، والكبرياء الحمقاء، فحاسبت نفسي حساباً عسيراً وأدنتها، غير رحيم بها. تراني وقد استويت على السرج الأصفر الأحمر الذي اعتاد أن يستوي عليه القاضي الطيب، ورثت من قداسته ومن حكمته، وكأني بلحية لي تنمو طويلة بيضاء، وكأني ببطني يستدير وأكاد أحس قربوس السرج يضايقه، أه! أيها الولد الشقي، كم من مرة جبننت في الخير وكم من مرة تجاسرت في الشر! لو دعاك محمد في هذه الساعة..

وإذا (إيمانويل) يهيب بي فجأة:

- ألا خذ حذرک، أيها المذهول!

ولقد أدركني في الوقت المناسب؛ فلوخطت بغلتي خطوة واحدة لتم دخولها الجليل الوقور قهوة مغربية قائمة وسط الطريق. ولا تثيرن كلمة القهوة في نفوسكم فكرة المريا

والزخارف الذهبية، والأرائك القرمزية، والغلمان في مآزهم البيضاء، وقطع السكر الغليظة منصوبة فوق صينية نحاسية صغيرة... لا شيء من هذا قط! وإنما كوخ قذر من القش قد سوده الدخان؛ وفي ركن من الأركان- أمام تنوره- صانع القهوة، واقف نصف عار، ولونه كالبن؛ وعلى حوائر ممزقة، أربعة خمسة من العرب قد جلسوا القرفصاء يحتسون القهوة في سكون؛ وأمام الباب صبي يرتدي الأسمال يغسل الأقدام في ماء آسن؛ ونحو من عشرة نعال صفراء - وعند العرب يخلع المرء حذاءه تأدبًا، كما نخلع نحن القبعة - وبعض الجياد وبعض الحمير ترتع كيفما شاءت.

تلك هي الصورة الصادقة لقهوة مغربية في سهل الشليف. ويأمر لنا (إيمانويل) بالقهوة، أحسن قهوة شربتها في حياتي، ثم يلاحظ أنني جوعان، فيندesh لذلك -فإنهم لا يجوعون أبدًا في أفريقيا- ويطلب لي رغيفًا طريًا صغيرًا، لم يخبز بخمير، محفوظًا منذ ثلاثة أشهر تحت القش ومعطرًا (باليانسون). وترد إليّ قواي هذه الوجبة الممتازة ثم نستأنف سيرنا.

4

الحر شديد دائمًا، والسماء مشحونة دائمًا. سحب ثقيل على ارتفاع خفيض جدًا، تكاد تجري فوق رؤوسنا؛ والدواب تجأ من العطش... وأخيرًا ها نحن أولاء في أطراف الشليف، ولما كان منوطًا ببغلتني أن تستطلع الطريق، فقد فهمت خطر مهمتها، وإذا هي تذهب وتجيء، وتشتت النهر، وتتردد، وتدور دورتين، ثم (فليك! فلوك!) تخوض الماء بكل عظمة حتى يغمرها إلى منتصف كعبها. وهنا، لشدة فزعي، تتوقف، وتمد عنقها، وتهز جبينها في فتوة - وأود أنا أن أصيح مستغيثًا -وأخيرًا تأخذ في الشراب، وما أدراك ما الشراب... لنتحدث قليلاً عن الشليف. سينبئك الجغرافيون أنه أهم مجرى من الماء في أفريقيا الفرنسية، وأن منبعه في هذا المكان ومصبه في ذلك المكان؛ أما أنا، فحسبي أن أقول لك إنني لا أعرف شيئًا نرقيًا مثل هذا النهر. شيء يسير جدًا خليق بأن يثيره، ولكنه يقر لشيء أيسر. لقد عرفت له أيامًا هادئة كان ينساب فيها على مهل بين ضفتيه، وغدوات من الغضب كان يقلب فيها بين عبابه أطرافًا من غابات وأجزاء من صخور، وينحر في غير رحمة المحاصيل المسكينة التي لا تؤذي أحدًا. أما اليوم فالسيدة هادئة الطبع، رضية الخلق، وإن ببغلتني لتستطيع، وقد ارتوت -آخر الأمر- أن تعبر دون عائق إلى الضفة الأخرى.

نحن نخترق في هذه اللحظة مرتفعًا عظيمًا، ينعقد عليه كل أسبوع سوق الجنادل، تحت إشراف صديقي (بو علم)؛ ويقوم في أقصاه محط القوافل بجدران الطويلة. ومرة ثانية نعبر الشليف، وقد هبط النهار، إلا أنه لا يصحبه من الشفق الوردى الرائع مثلما رأيت مرارًا في أفريقيا...

وإنما يحول لون السماء الرمادي إلى أسود؛ ويبرد الهواء، ويتلف المشهد في الضباب؛ ياله من نهار ضائع! وتسير جياندا الهوينى في أراضٍ محروثة؛ فلقد مر المحراث بكل موضع، والطريق نفسها قد حرثت عفوًا...

ويدلف بالقرب منا في الظلام عرب عائدون من العمل يطاردون أمامهم الحمير والأحصنة، وكل زمرة إذ تمر تحينا بعبارة جراحة لا تتغير، تنغمها نغمة واحدة لا تتغير. وسرعان ما نلقى أدغالًا كثيفة من الصبار شاهرة الخناجر؛ يسمو من ورائها عود دخان، ونباح كلاب، وصياح أطفال، وحديث نسوة. ها نحن أولاء في وسط القبيلة العربية. وأخيرًا، على بعد مائة خطوة منا، فوق الربوة إلى ارتفاع ما، ألمح عربية عظيمة لا نوافذ لها؛ إنه قصر سيدي (بو علم)، وتتقدم صوبنا مجموعة من البدو؛ ويكتنفنا القوم، وينزلي من أعلى بغلتي رجلان. ويقبل علي صاحب (بو علم) وهو يتسم في برنسه الأسود:

- (بونجرو)، كيف الحال؟

فأجيبه: سلام عليك، فيقعن بها ونتجه نحو الدار.

5

لم يكن الجناح الذي أدخلني إليه الرئيس فخرًا باذخًا كما وصفوه لي، وجدت قاعة طويلة قاتمة جدًا، وبدلاً من طنافس أزيمير، وجدت حيطانًا ظنينة البياض؛ وبدلاً من الأرائك والنمازق المطرزة، وجدت حصائر من القش الغليظ. وجدت ضابطًا فرنسيًا جاء للصيد ونزل عند (بو علم). وكان أتباع الضابط من الفرسان الجزائريين ينظفون أسلحته في ركن من الأركان، وفي ركن آخر، كانت كلابه تلحق حساءها في نهم، وكان سريره السفر منصوبًا في أقصى القاعة، وخرجه معلقًا إلى اليمين، وبندقياته إلى اليسار؛ وفي السقف، مسبحة لا نهاية لها من السلوى والحجلان، هي نتاج صيده في اليومين السابقين؛ لقد كان "نمور" كما يرى الناظر، يحتل في الدار مكانة بسعة وبحبوحه... أقطع من الأرض إذن اثني

عشر فرسخًا دون توقف لكي تزور بيتًا عربيًا! وشهد (إيمانويل) عجبني الأليم. فقال لي:
- اطمئن. إننا لم نبلغ بعد محلات (الباش آغا) الصغيرة. وهذه هي دار الضيوف. إن سيدي
(بو علم) يأسف لاستقبالك هذا الاستقبال البارد؛ ولكنه لو أدخلنا بيته هذا المساء،
لاضطر إلى أن يدخل في الوقت نفسه مسيو نمر و بفرسانه وكلابه وصيده. غدًا صباحًا،
عقب خروج الضابط للصيد، سنذهب لتناول الشاي في السراي.

يا طالما لاحظت في أثناء جولاتي في أفريقيا أن الخويذة ذات الأشرطة الذهبية ترع
أهل البلاد كثيرًا، وتوقر في نفوس الجميع احترامًا يتخلله شيء من الرهبة، ولكني كلما
رأيت ضباطنا البواسل ينزلون بمنزل الألفة الحميمة من قلوب العرب؛ ومع ذلك فمعظمهم
يظهرون أنهم قليلو الحرص على هذه الخطوة.

وريثما يتم إعداد العشاء، قدم القوم إلينا القهوة تحت سقيفة أمام دار الضيوف. ومن
هناك رأيت بين الضباب الشفقي، نحو عشرة من العرب قد ساروا صفاً، يتقدمون نحونا،
كموكب من المذنبين في لباسهم الرمادي. كان المذنب الأول يحمل، على طرف خشبة
طويلة، خروفاً مشويًا؛ يمشي وراءه مذنب ثان معه خروف ثان على رأس خشبة طويلة
ثانية؛ وأما الذين يتبعونهما فقد كانوا رافعين فوق رؤوسهم أطباقاً عريضة ينبعث منها البخار.
وعلى الرغم مني، تذكرت الفحل "بوالو" وبذخ مادبه الجامعية.

كان العشاء غزيرًا منوعًا: خروف مشوي، خروف بالحسك، خروف بالفول، خروف
بالبازلاء الغليظة، خروف بكرات اللحم، والكل متبل كنار الشيطان، وفي الختام جفنة من
الخزف زاخرة بالكسكسي المحلي بالسكر. وهذا اللون الأخير، وقد أشرب لبنًا ومرقًا، ليس
بالغذاء الممزوج. وأما غياب الملاعق والشوك، فأعترف أنه أمر لم أشفق منه إلا قليلًا،
وأن الأكل بالإبهام والسبابة بدا لي أيسر شيء في الوجود. وقد أداروا علينا بدل الشراب،
قبل الطعام وبعده، إبريقًا كبيرًا من لبن البقر. وبينما كنا نأكل كان الأغا (بو علم) -وشرائع
الضيافة العربية تحرم عليه أن يقعي إلى مائدتنا- يتكرم أحيانًا بأن يغرف لنا هو نفسه
بأصابعه العظيمة السمراء. ولقد كانت المأدبة، بلا مرء، مأدبة حزينة؛ فما كاد الضابط
الفرنسي يتكلم؛ وكان (إيمانويل) وبو علم يتحادثان بالعربية؛ والفرسان الجزائريون يغطون
في طرف القاعة الآخر؛ وكنت أنا، وقد أسكرني التعب، أعشو إلى الكسكسي المحلي

والخراف المحوطة بالفول، وكأنني أرى بوارج في البحر وسط نوء غليظ.

6

ونحو الساعة الثامنة، نهض (الباش آغا) على قدميه، وقادنا خلال حدائق شاسعة مليئة بكلاب يبدو الشر على وجوهها، إلى (كشك) صغير من طراز فرنسي-عربي، حيث كان علينا أن نقضي الليل. غرفة فسيحة مربعة، عالية السقف، وجدان عارية مبيضة حديثاً، تنفتح فيها خمس أو ست كوى، وأربع أرائك، كل أريكة منها في خدر؛ وسراج صغير من النحاس الأحمر، موقد على الأرض يتوسط القاعة، تلك كانت غرفة نومنا.

وبعد أن شرب من القهوة قدحاً أخيراً، تمنى لنا (بو علم) ليلة طيبة، واستعاد نعليه عند الباب ومضى يتعشى. وأما نحن، وقد انطوينا في أغطية حمراء كبيرة، فقد حاولنا، ولكن دون جدوى، أن نغمض أعيننا، كانت الرحلة والتوابل والقهوة المغربية قد ألهبت دمننا، وما انفكت تطرده بهياج في عروقنا، وسرعان ما اجتاحتنا حكة عاتية أخذتنا من شعر الرأس إلى أخمص القدمين.. وفي الخارج كانت بنات آوى تعوي كأنها الكلاب الصغار، وكانت الضباع تجعر. وباتت "السلوقي" (كلاب عربية) تجيها في ثورة؛ ومن حين إلى حين، لست أدري أي جعر عجيب، غامض، أجل صوتاً، وأشد كظماً، بات يسود هذه اللحون من جوقة الشياطين؛ ولسوف أذكر دائماً تلك الليلة الليلية، ليلة من الحمى والأرق لا آخر لها.

7

وفي الفجر -وقد عجزنا عن الصمود إلى أبعد من ذلك الأمد- أردنا أن نلوذ بالمقهى المغربي، ولكن لم يكن صاحب القهوة قد استيقظ إذ ذاك، فلم يكن بد من أن نؤم -على مسيرة نصف فرسخ من هناك- بيت سيدي بغدادي، شقيق سيدي (بو علم)، لعل صناع القهوة به أن يكونوا أقل كسلاً منهم لدى (الآغا)، وقد لقينا، في الحدائق، في الألفية، وتحت السقائف وتحت الأروقة، الحشم العرب نائمين في الهواء الطلق متدثرين ببرانسهم الصوفية. وسرعان ما أسفر الصباح، ومع الصباح الطالع هبت نسائم صغيرة طردت كالقش ما كان بنا من حمى الليل الخبيثة، ومن أقصى بستان البرتقال الذي يملكه بغدادي، بينما كان القوم يصبون لنا قهوة عربية ممتازة لذيدة، كنا نشاهد في مقه جنيّة الفجر "أورور" تضحك وتلعب أمامنا. وكان الأفق أخضر تصبغه خضرة باهرة يحوطها الشفق الوردى، وكنا نرى في

هذا اللون الأخضر الحلو أشجار البرتقال ذوات الثمار العقيقية، وبيوت (الآغا) البيضاء، تسبح مختلطة غير جلية، على حين كان العرب في ملابسهم الخضراء يتسللون في صمت بحذاء الجدران. وبالقرب منا، كانت ترقص في ريح الفجر الباردة شجرة زيتون عريضة، تشبه أشجار "نويل" عندنا، هازة أغصانها المحملة بصفائح براقه مزركشة، وبأذيال برانس، وركابات عريضة، وأسورة حديدية، وداليات من المرجان، وغيرها من معلقات النذور التي تشهد بالورع العربي.

وحين رجعنا متيمين دار الضيوف، كانت الدار متأقنة نابضة الحياة. كان سيدي (بو علم) جالسًا على أسكفة الباب يحسو قهوته الثامنة. وكان الخدم يقبلون من كل فج يؤدون له تحية الصباح، فيأخذ الواحد منهم بعد الآخر في كفيه العريضتين رأس (الآغا) ويحط قبلة طويلة على تاجه المجدول من حل الإبل. وكان (الآغا) الطيب يتلقى هذه التحيات بعدم اكتراث هو آية في الأدب.

وفي أثناء مراسم هذا الاحتفال بتقبيل الرأس، اصطحبني (إيمانويل) لزيارة السجون، ولم تطل زيارتنا. لا بوايين، ولا حراس، بل ما كان الباب موصدًا... ولمحت وجرًا رهيبًا مظلمًا عفناً، حظيرة حيوانات أكثر منه سجنًا، وفي هذا الوجار قائمًا إزاء الحائط، بدويًا. ترك نفسه في فلسفة للهوام تقرضه.

سأل (إيمانويل) بالعربية:

- لماذا أنت هنا؟

- لست أدري... إنه سيدي (بو علم) الذي قال بذلك.

- فأني ذنب جنيت؟

- لست أدري.. لقد رددت (للباش آغا) حصانه وبنديته لأنني رغبت عن الخدمة.

- ولماذا ترغب عن خدمة (بو علم)؟

- لست أدري.

- أنت تفضل إذن أن تعفن حياتك كلها هنا، في قعر هذا المكان؟

- الله وحده يعلم...

لست أدري، الله وحده يعلم؛ لم نستطع أن نستخلص منه شيئاً أكثر من ذلك.

قال لي (إيمانويل):

- لندعه هادئاً، إن هو إلا قاعد كسول سيرد الظلام والصوم إليه رشده عما قليل.

وسألت وأنا أبتسم:

- وهل يظل هذا الباب مفتوحاً دائماً؟

- دائماً على وجه التقريب، ولكن هذا الصعلوك الغريب الأطوار يحذر كل الحذر من

استغلاله، فإن فارسين من فرسان الآغا قمينان بأن يلحقاه، إذا هو حاول الفرار، قبل أن

يقطع نصف فرسخ في السهل، وإنه لهروب خليق بأن يكلفه ثمناً فادحاً.

وفي هذه اللحظة، مر أمامنا الضابط بفرسانه وتواري، وهو يصفر لكلابه، وراء خميلة

من شجر التين. وما أدار عقبه حتى نهض (بو علم)، ونفض غليونه، وأشار لنا أن تتبعه.

عبرنا في عجلة وإهراع سلسلة من الأفنية الصامتة، ولكني لسرعة سعينا، لم أستطع أن

ألقى إلى يمين وإلى يسار إلا نظرة خاطفة. جدراناً بيضاء صفيقة جداً، وأبواباً سرية صدئة

جداً، وكوى يدجها الحديد، أقسم لك يا صديقي الممتاز (بو علم) أنني ما رأيت شيئاً

سواها. لا شيء، بل ولا ذراعاً صغيرة عارية في لون العنبر الأصفر قد اتكأت غير عامدة

على طرف النافذة العتيقة، بل ولا ظفرًا أحمر قد صبغته الحناء، ولا هدباً.

وفي نهاية هذه الأفنية، أدى بنا سلم عجيب مؤلف في غير انتظام من درجات ضخمة

وأخرى صغيرة إلى باب مكسو من أسفله إلى أعلاه بأزرار غليظة بيضاء ووردية. وكان

ينبغي لكي يفتح الباب، مس أحدها، مس زرّ واحد من بين جميع هذه الأزرار.

قال (بو علم) (لإيمانويل): ابحث!

فجرب هذا أربعة منها أو خمساً؛ بيد أنه رفض أن يواصل التجربة، فقد كان من

سدادات الأباريق تلك ستون على الأقل.

ورفع (بو علم) كتفيه قائلاً:

- ومع ذلك، فالأمر بسيط جداً، انظر!

ولمس في تؤده، مزهواً بأن يصحح للفرنسيين أخطاءهم، الزر السري، المعروف لديه منذ تاريخ طويل. وكان هذا الباب العجيب يفتح على نحو اثني عشر غرفة استقبال منمنمة، خفيضة جداً، ضيقة جداً، مظلمة جداً معطرة عنيفة العطور. وبدرت جدران وسقوف علب الحلوى هذه الشرقية، وقد قسمت معينات شتية الألوان، كأنها رقع شطرنج عريضة لونت ألواناً زاهية. وكانت مبسوطة على الأرض طنافس أزيمير وتونس، مروجاً حريرية ترصعها نمارق حمراء موشاة بالذهب؛ وكنت ترى في كل ناحية أواني الطيب ذوات الأعناق الفضية تلتمع، ومباخر الأعواد تتوهج، والنرجيلات الطوال تتلوى في الظلمة كالحيات.

وقد خلع (بو علم) على "صالونه" الثاني عشر، وهو أصغرها وأفخرها، فوق هذا كله، ساعة حائط ومدفأة.

- مدفأة، أيها الإله العادل! وفيم المدفأة؟

وهذا المخدع الأخير هو الذي كان ينتظرنا فيه شاي باذخ، قد صبته جنيّة خفية في أقداح من بلور (سيفر) الممتاز.

وفي الخارج، من المنفذ الذي يقوم مقام الشرفة، بدا السهل يترقق ندى ونوراً؛ وكان الشنيف يتلألأ من الرخاء في الشمس؛ وكانت نسائم الصباح، عاطرة أثقلتها العطور، تصعد إلينا كأنما لتنهزاً بكل مترس مغلق وكل سياج مضروب. وفوق طنفتي الأزيميرية، بين ملعتين من ألوان المربى التي يشعشعها المسك، عاودت شفتي أغنية (فيكتور هوجو) العتيقة:

"لو لم أكن أسيرة لأحببت هذا البلد...."

وفي تلك اللحظة تجلت الزنجية، وقد لقت على رأسها عمامة صفراء وارتدت أسماً لامة. دخلت فوضعت أمام سيدها قنيتين كبيرتين من روح الورد وانسحبت في غموض دون أن تفرج شفيتها الغليظتين. وصب (بو علم) في راحتي يدينا قطرتين من الطيب؛ وعلى إثر ذلك نزلنا نتأهب للرحيل.

وفي أسفل السلم، كانت الزنجية المروعة تنتظرنا، مقعياً على عقيها، فقبلت حذاءينا الكبيرين والتأثر بادٍ عليها، حتى إذا أصبحنا في الخارج، أعادت إغلاق الباب محدثة بالقفل صريراً رهيباً.

كانت دوابنا قد قضت الليل في الهواء الطلق، معقولات القدمين الخلفيتين كما هي العادة. لقد وجدناها مبتهجة بمعسكرها، مادة مناخرها للريح، رضية الطباع، تشاطرها بغلة القاضي هذا كله.

وبينما كان القوم يرفعونني فوق سرجي، كان (الآغا) قد استقدم فرسًا رمادية فخمة، أصبحت الجياد تصهل حولها من الوله والحب. وامتطى حفيد (بو علم)، وهو صبي في الثامنة، رزين وسيم، فرسًا مثلها. وكان (إيمانويل) يركض على بعد قليل منا فوق شيطانه الأسود الطيب. واصطف وراءنا نحو ثلاثين من العرب، وقد تلبسوا كأنما ينبرون للوغى. وفي هذا اليوم بعينه، كان السوق منعقدًا في الجندل، فانتهمز سيدي (بو علم)، الذي كانت واجباته تستدعيه أن يكون في ساحة السوق، هذه الفرصة لكي يخفرنا برجاله.

وقد تركوني في أول الأمر، تأدبًا، أتخذ رأس الرهط، الأمر الذي استحييت منه بعض الحياء، ولكنني بعد خمسين خطوة، توصلت إلى أن أندمج في المؤخرة، ومن هناك، استطعت أن أتذوق المشهد الرائع الذي غدا أمامي تحت الأشعة المائلة التي كانت ترسلها الشمس المشرقة، مضى هؤلاء العرب البهيون، الجليلون المهيبون، يتوارون الواحد بعد الآخر، خلف الصبار كبير الجذوع، ومضت الخيل، حازمة كسادتها، مشرّبة الرؤوس تهز أعرافها. وفجأة، وقد بلغنا الريف الأجرد، تناثر الموكب الطويل، فقد اشتدت حماسة الفرسان، وانطلقت الجياد المنتشية بشعير الصباح تثب كالأعنز، وطارت "الفانطازية" طيرانًا. انقذف سيدي (بو علم) أول الركب يعدو في السهل بلا وعي، واختطف حفيده فرسه من أقدامها الأربع وتوارى في سحابة من النقع؛ وشق العرب الهواء، رافدين فوق مطاياهم، وهم يرسلون صيحات وحشية... ومن بعيد، كان الفلاحون المعتمدون على أيدي محاربتهم يقطعون عملهم ليشاهدوا موكبنا وبيعثون، في أصوات مدوية، تحياتهم لسيدي (بو علم).

ونحو الساعة العاشرة، لمحنا هضبة الجندل؛ وفوق الهضبة، كانت زحمة عجيبية من البغال والمعزى والثيران والخراف والأتن والجمال والقبائل واليهود والبدو، خليط من البرانس والقلائس الحمراء؛ نيران توقد، وخيام تضرب، ورائحة جلد عاتية، وغبار، وصياح، بالإيجاز دولاب السوق العربي المعتاد. وكنت على أحر من الجمر أتوق لزيارة هذا كله

بالتفصيل؛ ولكن (إيمانويل)، الذي كانت مصالحه تستدعيه إلى مليانة في اليوم نفسه، قد وعدني أن يريني قبل انقضاء قليل من الوقت لوحات أخرى من النوع نفسه. تركنا (بو علم) إذن لأعبائه ينهض بها، أعباء (الباش آغا)، وواصلنا طريقنا ظافرين بمصافحة قلبية وبعض الحكم والأمثال العربية عن الصداقة.

9

ومشينا النهار كله، مشية واحدة منتظمة وئيدة، تتخللها فترات الراحة على أبواب المقاهي المغربية؛ وفي منتصف الطريق، أصر المطر على الهطول في عناد ما بقي من النهار.

وكنت قابلاً في معطف فضفاض، مدلياً قبعتي، مرهقاً من ليلة بلا نعاس ومن إسراف في استخدام البغلة، فمضيت على هوى دابتي في حال كاملة من حالات داء المشي في النوم. ومن حين إلى حين، كنت أفتح عيني نصف فتحة: كانت سيول من الماء تخطط الأفق مدى البصر، وكانت التلال غرقى؛ وكان السهل قد اختفى. وعلى الطريق الموحد، وقد انصرفت عنه المياه، كان عرب عراة السيقان يبلغون السوق مستبسلين، سائقين أمامهم بغالاً عليها خيام وحميراً محملة بالسلال.

وكان البدو الصغار يخاطبون بغالهم قائلين لها في صوت ملق: "أرحي! أرحا!" وكنت أهيب ببغليتي: "هو! هيا! هو!". وكان هذا كله، وقد اختلط بعضه ببعض، يخب في الطين وتحت الزوبعة. وفي الحقول الممتدة على جانب الطريق، كان الفلاحون يقبلون الأرض وهم يرتلون، كما يفعلون في أيام الشمس، وكان رعاة شيوخ، وقد ركعوا نحو الشرق، يصكون صدورهم في تقوى مقبلين بجباههم أقزام النخل التي تهطل مطراً.

وكنا نسعى هكذا منذ عدة ساعات، وكانت عيناى قد غمضتا، حين وقفت البغلة فجأة. فتطلعت حولي. كنت وحدي وسط سهل شاسع، بعيداً، بعيداً جداً، بعيداً عن (إيمانويل)، بعيداً من العرب، بعيداً من كل شيء... وفي أرق خلق لها، كانت بغلة القاضي تقضم حسكاً غليظاً أمام بناء صغير كروي السقف أبيض الجدران، رقد أمام بابه نعلان قديمان في مشكاة... هذا السكون، وهذا السهل، وهذا الأثر الغامض، وهذان النعلان الأصفران، ينسدل عليها جميعاً ستار كبير من المطر والضباب، كان كل هذا من قبيل الأحلام. ولكني

سرعان ما أدركت، وقد تذكرت نزوات بغلتي، أنني كنت قائمًا أمام البناء المذكور الذي يؤمه القاضي الطيب ليحكم بين الناس بالعدل ثلاث مرات في الأسبوع. وباستعانة الذاكرة، أفلحت في أن أتجه في الطريق السوي، وبعد نحو من مائة خطوة، لمحت أخيرًا مليانة البيضاء هناك عالية، هناك عالية، عند موطئ جبل "زكار"، يغلفها ضباب مضروب حولها... وعندما دخلت المدينة كان الليل حالًا جدًا. والمطرينهمر مدرارًا وخلال الشوارع المقفرة كان يدوي قرع طبول بليلة إيدانًا بالرواح.

حلم عصفور المطر

١. ليل الصقر *

نامت الطُّفلة ذات ليلة شتوية ممطرة، وحلمت أن العاصفة سرقت ساقها وأعطتها بدلاً منها جناحين... سقطت الطُّفلة، وبدأت تنتحب؛ لأنها لم تعرف كيف تتحرك، فقد اعتادت السير على الأرض.. فجأة جاء الربيع.. تضحك المكان بالعبير... جاء عصفور، وفرد جناحيه بنشوة الفرح وهو ينفذ عنه بقايا المطر وحزن الشتاء.. مسحت الطُّفلة دموعها المالحة.. فردت جناحيها كالعصفور... حلق العصفور، وحلقت معه الطُّفلة إلى السماء.. ولم تعد إلى الأرض...!

تأتي... يُفغر جُرحي فمه على مصراعيه... تقترب مني... تحملني من على السرير... أحس برعشتك... تهرب مني،.. تسقط دموع لا تراها... تضعني على كرسي متحرك... كالعادة عيناك تلوذان بالفرار مني... أغص بشوكة مُرّة في حلقي... تسألني وعيناك مغروزان في الجدار... والجدار الإسمنتي بيننا يكبر ويكبر:
- كيف حالك؟

أرد وأنا أحاول أن أخبئ دموعي عنك: "بخير..."

تسقط بيننا الكلمات وتتهشم...

تأتي والشوق يتدفق محمومًا في عينيك...

كنت لا تطيق لحظة تفرق بيننا... لهفتك تفضحك... وارتباكك يفضحك... لقد كان ما جمعنا أكبر بكثير، شيئًا مفاجئًا ومربكًا وجميلًا كمطر الصيف... كتلج الربيع كالدهشة في مآقي طفل... كنت تستعمر ضفافي بنظرة... كنت أفرؤك من سكنات أجفان، ورعشة يديك... أكنت قدرتي؟ كنت أراك الرجل الوحيد في حياتي مع كل برعمة تتفتح في... أتذكر؟ عندما كنا أطفالًا كنت تحميني من الأطفال المشاغبين... وتضربهم حتى ترضيني... وتتحمل كل العلقات الساخنة من أجلي... وعندما كبرنا وصرنا لا نلتقي سوى في الاجتماعات العائلية، ونجلس متباعدين، كان وجودك يهيني دفنًا وأمانًا غير اعتياديين... خطبتي رغم الخلافات

* أستاذ مساعد بجامعة البحرين.

التي بدأت بين أبي وعمي وانفصالهما في العمل ظللت متشبثاً بي رغم كل شيء...
هل كان من الممكن أن نفترق بعد كل ما جمعنا؟ التقينا لأن قدرتي أن أكون لك وتكون لي... رضخ أبي وأبوك لارتباطنا على مريض...

وفي ليلة زفافنا عرفت معنى أن تلد عصفورة داخل الروح... وترفرف بجناحها بفرح...
في عينيك وجدت سمائي وأنت تنظر إليّ بحب العالم كله: كيف حالك؟

أجيب هامسة بخفر: "بخير..."

بخير؟؟؟؟ كلمة عابرة نقولها في اليوم عشرات المرات... ولكن ما أبعد اليوم عن الأمس!
شتان بين "بخير" التي قتلها تلك الليلة، و"بخير" التي أقولها لك الآن مراراً وتكراراً..

وعيناك... أهما العينان اللتان كنت أجد وطني فيهما؟ لماذا ضاعتا مني الآن؟ لماذا لم يعد قلبي يرفرف فيهما؟ لماذا صرت تخاف أن تنظر إليّ؟ أعرف أنني قد أضحيت الألم الكبير في حياتك الذي لا تريد مواجهته، كنت دائماً ضعيفاً أمام ألمي... عندما كنا أطفالاً.. دخلت شوكة كبيرة داخل قدمي ذات يوم ونحن نلعب، وقفت مرعوباً تحديق فيّ وأنا أصرخ، حاولت أن تخرجها فإزداد صراخي ونحيبي، فخفت وابتعدت... كان ألمي يجرحك ويخيفك، فكنت تلوذ بالفرار... واليوم أعرف جيداً أنك لم تعد تتحمل تلك الشوكة التي تغوص في قلبي وقلبك، كالعادة تقف عاجزاً، مرتبكاً، بينما لم يبق من حبك لي سوى ذلك السيخ الحامي من العذاب، أو تلك الشفقة التي تهرب مني حتى أراها في عينيك...

منذ أن هاجمني مرض السكر بعد إجهاضي لطفلنا الأول، وأنت معي كما كنت تحاول نزع الشوكة عندما كنا صغاراً، وعندما اشتعر الألم وزاد الصراخ، واتفق الأطباء أن (الغرغرينا) قد انتشرت في كلتا ساقي انتشاراً سريعاً، ولم يبق إلا البتر حلاً أخيراً، ولم تستطع المواجهة، هربت، وابتعدت عن هذا كله... حتى عملية البتر رفضت أن توقع بالموافقة عليها... ومنذ ذلك اليوم ضاعت مني عيناك، وضاع الوطن... كانت أقسى لحظة في حياتي، كان البتر يتربص بحياتي كلها...

إنهم لن يبتروا ساقي فقط، بل سيبترون حياتي كامرأة، سيبترون روحي وشبابي، وقبل

كل شيء سيبترون علاقتنا إلى الأبد... تمنيت أن أجدك قربي في تلك اللحظات المريعة، تضغط على يدي، تقبل رأسي، تربت عليّ وتواسيني، تذكرني بأنني حتى لو بتروا كل أعضاءي، سأبقى الإنسانية التي تحبها وستمسك بي إلى الأبد... الأبد؟؟ آه يا لها من كلمة مطاطية، هزلية، كنت تجيد ترديدها، رغم أنك كنت معي في الغرفة نفسها، ولكن عينيك المكسورتين كانتا تهريان مني... كم كنت أحتاج أن أتلف بدفئهما في تلك اللحظة، ولكنك كنت تخاف أن تنهار أمامي إن نظرت إليّ، ظللت متخشبًا جامدًا كتمثال من الشمع... لقد حكمت على قلبي بالتر قبل أن يحكم الأطباء على ساقِي بالتر، وكان حكمك قاسيًا كحكمهم دون أي فرصة للتقص أو الاستئناف...

أخرجوني من غرفة العمليات بلا ساقين...

وبلا روح!

التر إحساس غريب...

فجأة تحس أنك لست أنت.. إنهم بتروك...

كلهم ينظرون إليّ بإشفاق كأنني انتهيت، كلهم يواسونني.. لماذا يعزّونني في نفسي؟
لماذا يدفنوني قبل أن أموت؟

- وأنت لماذا تقف لتتقبّل التعازي في بصمتك المعهود؟

وجع مجنون ينهشني رغم كل الحقن المخدرة، أبحث عن ساقِي، أتحنس الموضع الخالي على السرير... أحسّ أنني في كابوس وأنتظر أن يوقظوني منه، أحسّ أنني بترت من الداخل، وأنت لا تنظر إليّ، أراك بين زوّار كثيرين، الزوار الذين جاؤوا بشفتهم وورودهم ونظراتهم الحزينة، وأسمع في همساتهم شفقتهم عليّ: مسكين عبد الله، الله يعينه، ماذا سيفعل في هذه المصيبة؟! فجأة أصبحت مصيبة في حياتك، وعبئًا ثقيلاً يشفقون عليك جميعهم من تحمله!

منذ شهور عندما كان عليك أن تجري عملية خطيرة في القلب، كنت أجري وراءك في المستشفيات، وأسهر كل ليلة قربك، وأبتسم لك رغم تعبتي وألمي؛ لأنني كنت في الشهور الأولى من الحمل... بعد شهرين نجحت عمليتك، بينما أجهضت جنيني الأول بسبب

التعب المتواصل، لم يشفق عليّ أحد، كانت العيون كلها تقول: هذا واجبك كزوجة، يجب أن تضحّي بكل شيء من أجل زوجك! التضحّية؟ شيء غريب لأول مرّة أكتشف أنّ كلمة التضحّية مؤنثة.

المرأة يجب أن تضحّي وتحمل وتبصر في مجتمعنا، وفي المقابل الرجل دائماً هو الضحية... المسكين! أنت حتى لم تتعطف عليّ بنظرة مواسية أو ابتسامة تلمم بها الآمي، وبدأت رحلة العذاب...

منذ أن انتقلت إلى البيت كسيحة على كرسي متحرك ونحن لم نعد نتكلّم، أحضرت خادمة للعناية بي، وانتقلت للتوم في غرفة أخرى.

كان عذابي الأكبر ليس في عاهتي ولا في عجزتي وحياتي التي تحطّمت بين عشية وضحاها، بل في عينيك اللتين حكمتا عليّ بالإعدام...

كنت أبكي وأبكي، والدموع جمرات من العذاب لا تنتهي أو تجف...

وشقائي بك يتجدد كلّ يوم وأنا أراك تدخل الغرفة لتعطي الخادمة بعض التوجيهات وتذهب دون أن تنظر إليّ أو تسأل عنيّ، ألمي فوق أيّ احتمال، فجأة صارت حياتي مرهونة بهذه الخادمة الأجنبية التي تنقلني بين سريري وكرسيّ المتحرك والحمام....

ولم ينته عذابي! بدأت الحرب الكبرى في عائلتك، وفي عيون الناس. كانوا جميعاً ينظرون إليك نظرة الفدائيّ المسكين الذي عليه أن يتحمل زوجته الكسيحة، وكانوا يلخون عليك بالزواج، خاصّة عمّي الذي بدأ يعيّرك أن هذه نتيجة زواجك منّي رغم معارضته.... ما الذي يجبرك وأنت الشاب الجامعي الوسيم ذو المركز المرموق أن تقضي حياتك مع بقايا امرأة كسيحة معطوبة؟

كنت لا تملك إلاّ الرفض الحزين، روحك المقاتلة انكسرت ولم يبق فيك سوى الحزن، ولم أتحمل هذا كلّ... كانت عيون أهلك تلومني طيلة الوقت:

(أنتِ عالّة على ابنا! لماذا تفعلين هذا بابنا؟ إننا نشفق عليك، ولكن ما ذنب ابنا؟)

كان الوجد يعصّني بشراسة، لم أعد أتحمل... بعد ليلة لم تذق فيها أجفاني التوم، قررت أن أكلمك، وأنهي هذا كله.... طلبت من الخادمة أن تضعني على كرسيّ المتحرك، ذهبت

إلى غرفتك، ارتبكت عندما رأيتني.. وسرت رعشة واضحة في ملامحك، قلت وأنت تحاول أن تتحاشاني كعادتك:

- خير؟ هل حدث شيء؟

رددت بألم: "وهل يجب أن يحدث شيء حتى أتحدث مع زوجي؟"

رأيت في عينيك دمعة خرساء، ولم ترد..

فقلت وأنا أحاول التمسك بشجاعتي: "لقد جئت أطلب إليك طلبًا واحدًا أتمنى أن تنفذه لي إن كانت لي بقايا معزة عندك".

نكست رأسك، ومسحت دمعة سقطت من عينيك، لم تعد تستطيع إخفاءها أكثر.

لم أعد أتحمل ضعفك.. واصلت كلامي كأنني ألفظ أنفاسي الأخيرة: "يجب أن تتزوج يا عبد الله.."

رفعت رأسك نحوي لأول مرة بألم مذهول: "ماذا؟"

قلت وأنا أحس أنني أعص على لساني وأن الدم المالح يملأ فمي ويتدفق على صدري: "تزوج!"

قلت كأنك تبكي: "لا أصدق ما تقولين؟ هل جنت؟"

- بل الجنون بأن تستمر حياتنا هكذا، فأنا لم أعد المرأة التي تستطيع إسعادك.

نظرت إلي والكلمات تتعثر على شفتيك: "أنت تعرفين أنني..." وأحسست أنك ستقول لي أنك ستعود إلى عشك الذي بنيت في قلبي منذ دهور.

لكنك لم تلبث أن تمتمت بحزن: "تعرفين أنه من المستحيل أن أتزوج!" رددت بصوت نطق بكل عذاباتي: "وأنا مستحيل أن أبقى في هذا البيت إذا لم تتزوج".

لم ترد... وجررت كرسي خارج غرفتك قبل أن أضعف.. كنت أعرف أنك لم تستطع أن تقول لي كم تحبني وكم تتعذب من كل ما حصل، أنت لا تستطيع مواجهة هذا كله، لم تُرذني أن أرى دموعك كنت أدرك عذابك، لذلك لقد استجمعت شجاعتي وواصلت مهمتي.. رفعت السّاعة وحدثت والدتك.. أخبرتها أنك يجب أن تتزوج لكي تكون سعيدًا.

وعلى الرغم من ذهول والدتك وشفقتها الواضحة في صوتها، فإنها لم تحاول إخفاء حماسها للفكرة، ووعدت بالبحث عن زوجة ثانية تكون طيبة ومسالمة، وتقوم بخدمتك وخدمتي! وفي أقل من أسبوع وجدت أمك الفتاة المناسبة! آه يا عبد الله الأثير، لقد أحببتك دهرًا كاملاً، وها هم في أقل من أسبوع يختارون امرأة جديدة تسرق تاريخي كله معك! وتحول تضاريس الفرح في عمري معك إلى الجحيم من الشقاء.

وبدأت الضغوط تقوى من عائلتك، خاصة بعد تصريحى بموافقتي على زواجك، ولم تملك وسط هذا كله سوى أن تستجيب لرغبة أهلك استسلام... (مازلت أجد استعمال علامات التعجب في محاولة يائسة لاستعادة إنسانيتي).

لا أدري لماذا لا تكف دموعي عن الهذيان والصراخ المجنون... على الرغم من قيامي بهذه المبادرة ورغبتى في رؤيتك سعيدًا، كنت أتمنى حتى آخر لحظة أن تتمسك برفضك.

لماذا يتحدثون عن الضحية والحب الأبدي؟

مازلت متمسكة بهذه المثالية الغبية بعد كل ما حصل!

الجحيم يفترسني بلا هوادة، تتابني نوبة ألم مسعورة في ليلتها الأولى في البيت، أبحث عن ساقى فلا أجدهما، الحمى... هل هذه حمى الألم أم ألم الحمى... سكاكين تنغرز في كل ذرة من جسدي، وتقطعني إربًا.

يا لي من حمقاء غبية! ترى هل أحببتني يومًا؟ هل مازلت أو من بهذه الكلمة الخرقاء؟ هل الحب كلمة أو موقف؟ لقد قلت كثيرًا من القصائد، ولكن ها أنت تتخلى عني عند أول موقف حقيقي، تنقُصُ عليّ الأشباح المرعبة، تجلديني بسياط ذاكرة الوجد التي لا تنام، تعصني الهواجس، أتمنى ألا يطلع عليّ الصبح... لماذا أحيًا يومًا جديدًا؟ وماذا بقي لي لأعيش من أجله؟

أراها في صبيحة اليوم التالي متوردة، جميلة، سعيدة، مفعمة بالطر والحياء... تسير بدلال، أين ساقى؟ تطرق زوجتك باب غرفتي. لا بد أنك قد أرسلتها إليّ لأنك لا تقوى على مواجهتي كالعادة... تسأل عن صحتي، أردّ كما اعتدت أن أردّ من بين جدران تابوتي، وعلى شفتي طعم الموت: بخير (آه يا لكذب الكلمات!)

آه يا عبد الله العزيز، كم هي جميلة وطيبة زوجتك الجديدة، كم أنت محظوظ! لا بدّ أنها قد نفتت فيك الحياة من جديد... الحياة! كلمة لا يعرف معناها إلا إنسانة مثلي، تعلمت أن تُدفن وهي حية، وأن يتبادل الناس التعازي فيها، ويشيِّعون جنازتها أمامها، ويأتون بامرأة أخرى تحلّ مكانها في حياة زوجها... آه ما أكبر الفرق بين زوجتك الجديدة التي تبدأ حياتها، وبينني أنا التي أبدأ التّعود على موتي... تخرج من الغرفة، ترتبك عندما تراها واقفة معي، تتحاشاني كعادتك.. تناديها، فتستأذني وتذهب إليك..

أنا، أتمنى الموت في هذه اللحظة.. لقد قتلني يا عبد الله.

أسقط من على الكرسي.. أفاعي هلامية تخرج من تحت جلدي، ومن بين مساماتي، وتلدغ الموضع الأيسر من قلبي.. هنا تمامًا حيث تسكن دهايز الروح... أغرق في عجزتي أنزفك دموعًا ضارية، أدوب في لجة مفترسة من التّحيب والشّهيق... تحاول الخادمة حملي من على الأرض... أدفعها عني وأنا أصرخ بهستيرية... تخرج من غرفتك، تنظر إليّ بألم.. لأول مرّة منذ أسابيع تقترب مني وتحاول حملي وتهدئي... أصرخ: اتركوني الآن.. أريد أن أبقى وحدي...

عيناك موجوعتان، نادمتان، يققس حزني ذلًا... أصرخ: تعبت من شفقتكم... أناذي الخادمة، أتركها هذه المرة تضعني على السرير، وأطلب إليها أن تغلق الباب.. تخرج أنت وزوجتك، وأنت عاجز كعادتك عن التصرف.

كم رددت على مسامعي أنك ستجلب لي القمر والنجوم...

أضحك وأبكي بمرارة على هذه النكتة، أحس بغصّة تخنقني، تتأمر عليّ كل ذكرياتي معك، أشقى بفرح كان لي يومًا، أنظر إلى حبات الدّواء بالقرب مني... كم قرصًا فيها؟ أكثر من عشرين... أمسك العلبة بأصابع مرتجفة، تتساقط عبراتي العاجزة وأنا أبحث عن الخلاص.. أفتح العلبة، تسترخي عضلاتي، أستعدّ للرّاحة... فجأة أسمع صوت الأذان... رعشة تتملك الروح الثكلى..

الله أكبر... أكبر من دموعي وعذاباتي...

الله أكبر... أكبر من عجزتي وقنوطي..

الله أكبر... أكبر من زلزلة الألم التي حبست نفسي فيها..

أرمي أقراص الدواء، أستغفر الله على لحظة ضعفي، ويسقط عذابي دموعًا.. أصلي الفجر.. أبكي بدموع تغسل قلبي المكلوم..

أسمع طرقات المطر على نافذتي، أفتح الشباك، أرى عصفورًا صغيرًا يتحدى المطر والرياح ويفرد جناحيه ويحلق عاليًا، أرى نفسي قد تحررت من كرسيي وعجزي وطرت معه... أمل غامض يتسرّب إلى نفسي... أتذكر رحمة الله، وأبكي لأنني استسلمت للموت... أريد أن أحيأ أكثر من أي وقت مضى...

أنام لأول مرة منذ أن بُترت ساقي وأنا في انتظار الصباح.

أصحو... أراك واقفًا عند سريري تنظر إليّ بالهم، أنت لا تستطيع، وأنا لا أستطيع أن أتحمّل أكثر... تسألني عينك عن أحوالي.. فأقول لك: "أنت تعرف يا عبد الله مكانتك عندي".

تجيب بحزن: "وأنت تعرفين أيضًا مكانتك عندي".

لا أدري لماذا بدت لي جملتك هزلية في هذه اللحظة، وأحسست بالرغبة بالضحك.

أرد كأنني لم أسمع: "لقد تركت سنتي الأخيرة في المدرسة لأتزوجك، كنت أرى طموحي في عينيك، كان طموحي الوحيد حينذاك أن أتزوجك وأسعدك، وأعيش معك الحياة التي طالما كنت أتمناها، ولكنني لم أجد معك غير الموت. إنني أريد العودة إلى الدراسة".

ترد بذهول متلعثم: "ولكن أنت لا تستطيعين! أنت...!"

أواصل: "أعرف أنني قد فقدت ساقي، ولكنني لم أمت بعد... أعرف أنك تعتبرني قد مت، وأنتك قد أصبحت تتعامل معي على هذا الأساس... مجرد جثة مشوهة تقرف من رؤيتها".

تقول وأنت تخفض عينيك حتى لا أرى دموعك: "لماذا تقولين هذا الكلام؟ إنك تعدّينني".

أخاطبك: "إنك حتى لا تستطيع النظر إليّ وأنت تكلمني... انظر إليّ.. انظر إلى آثار

البتير في جسدي، إنك لا تستطيع... وحتى لو استطعت فإن الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تعطيني إياه هو دموعك وشفقتك.. لقد بتر الأطباء ساقي، لكنك بترت إنسانيتي، بترت علاقتنا... بترت كل شيء جميل جمعنا في يوم من الأيام".

تسقط دموعك هذه المرة، وتنظر إليّ بعينين كسيرتين: "لكن ما حصل كان أكبر مني... ماذا بيدي أن أفعل بعد كل ما حصل؟"

أرد: "إن كنت عاجزاً، فأنا رغم أنني مبتورة الساقين فإنني لست عاجزة، رغم أن موتي قد يكون فيه راحة لك، لكنني قررت العودة إلى الحياة، سأعود إلى الدراسة بالانتساب، سأدرس التجويد؛ لأحقق حلمي في إعطاء دروس التجويد".

تتلعثم: "ولكن...".

أقول بقوة لا أدري من أين جاءتني: "إذا كانت عودتي إلى الحياة لا تعجبك فطلقني، فلم يعد يربطنا سوى الجراح، لقد تعبت من شفقتك ناحيتي... متى كانت آخر مرة بت عندي أو حتى تكلمت معي؟ أنا الألم الوحيد في حياتك، فلماذا لا تطلقني وتصبح رجلاً سعيداً تنعم بحياتك مع زوجتك الجديدة دون زوجة معاقة كئيبة".

تهرب كالعادة من المواجهة: "لن أطلقك أنت حرة إن كانت عودتك إلى الدراسة ستريحك فافعلي ما تريدين".

أحس بطاقة غريبة تتملكني... أتصل بأمي وأخبرها برغبتني في العودة إلى الدراسة... تشور "هل جننت؟ إن من يمثل حالتك لا...".

أنهي الحوار، أحس أنهم قد بتروا ساقي مرة أخرى، لا أستسلم لعجزتي.. أتذكر صديقتي القديمة التي لم أكلها منذ تزوجت، أتصل بها، أخبرها برغبتني... تتحمس وتعدني أنها ستساعدني في الدراسة... تقوم بالإجراءات، تشتري لي الكتب، تأخذني معها لدروس التجويد والشريعة...

لأول مرة أحس بالحياة وأنا أقرأ.. كل كتاب يأخذني إلى عالم جديد من البعث والحياة، أقدم الامتحانات، أنجح في الشهادة الثانوية، أتفوق في دروس الشريعة... أبدأ بإعطاء دروس الشريعة في بيتي... أسجل للجامعة...

صرت أرى نظرات الإعجاب في عيون من حولي بدل الشفقة...
 لأول مرة أحس بذاتي، لم أشعر بهذه السعادة حتى قبل أن يبتروا ساقتي، كنت أسير
 مثل كل الناس في مدينتي، ولكنني اليوم أحلق عاليًا..
 أفتح الشباك، المطر التازل يغسل المدينة، ويكركر في المزاريب، أرى العصفور الصغير
 مازال يتحدّى المطر والعاصفة... يفرد جناحيه ويطير... أحس بساقي تعودان لي، أجري،
 أركض، أقفز... ينبت لي جناحان... لم أعد محتاجة إلى ساقتي، أرميهما أفرد جناحي وأحلق
 في الفضاء الفسيح.

سر المعلم كورني

فرانسيه ماماي) عازف مزمار عجوز، يقبل إليّ بين حين وآخر ليقضي السهرة عندي. وقد قص عليّ ذات مساء، حادثاً من أحداث القرى قد شهدته طاحونتي منذ نحو من عشرين سنة. ولقد أشجنتني قصة هذا الرجل الطيب، وسأحاول أن أرويها لكم كما سمعتها.

تخيّلوا لحظة، أيها القراء الأعزاء، أنكم جالسون، وأن المتحدث إليكم زمّار عجوز.

إن بلدنا، يا سيدي القاضي، لم يكن دائماً كما هو اليوم بلداً مميّناً لا يرجح الألحان. لقد كان في الزمن الماضي سوقاً رائجاً للطحن، يحضّر إليه أهل العزب المترامية حولنا قمحهم ليطحنوه... وكانت الطواحين الهوائية تكسو جميع هذه التلال المحيطة بالقرية، فإذا سرحت بصرك إلى يمين أو إلى يسار لم تكن ترى إلا أجنحة دائرة مع ريح (المسترال) فوق أشجار الصنوبر، وأسراباً من الحمير الصغيرة محملة بالأكياس تنساب في الطريق صاعدة هابطة، وكان يلذ لك أن تسمع طوال الأسبوع، فوق الربوة، فرقعة السياق وتمزيق الكتان وصياح أعوان الطحّانين.. حتى إذا حل يوم الأحد، ذهبنا إلى الطواحين زرافات.

غير أنه خطر لبعض الفرنسيين من أهل (باريس) أن ينشؤوا مطحنًا بخاريًا على طريق (تاراسكون). وكان مطحنًا جميلاً طريفاً. فأخذ الناس يرسلون إليه غلالهم، وتعطلت طواحين الهواء المسكينة. حاولت أن تجاهد بعض الوقت، ولكن البخار كان الأقوى، فاضطرت -واحسرتاه- إلى أن تقفل أبوابها واحدة بعد واحدة... إذ ذاك لم نعد نرى الحمير الصغيرة... وباعت الطحانات حليهنّ الذهبية... وراحت تهب ريح (المسترال)، ولكن أجنحة الطواحين ظلت ساكنة... ثم جاء يوم هدم فيه "المجلس المحلي" هذه الأطلال ودكها، وبذرت القرية مكانها كرمًا وزيتونًا.

إلا أن طاحونة ظلت قائمة في وسط هذا الانقلاب، وظلت تدور في استبسال فوق الأكمة، على الرغم من لحي أصحاب المطحن البخاري. كانت تلك طاحونة المعلم (كورني)، وهي هذه التي نحن آخذون الآن في قضاء سهرتنا بها.

كان المعلم (كورني) طحّانًا عجوزًا، يعيش منذ ستين سنة في الدقيق متحمسًا لمهنته.

أجته قيام طواحين البخار. فرأيناه أيامًا ثمانية يعدو خلال القرية، يجمع القوم من حوله، ويصيح فيهم بأعلى صوته أنهم يريدون أن يسموا (البروفانس) بدقيق مطحنهم البخاري. كان يقول:

لا تذهبوا هناك، فإن هؤلاء اللصوص، لصناعة الخبز، يستخدمون البخار، الذي هو رجس من عمل الشيطان، بينما أنا أشتغل (بالمسترال) وريح الشمال، اللذين هما نسمة الله الكريم...

وكان يجد كثيرًا من هذا الكلام الجميل في مدح طواحين الهواء، ولكن أحدًا لم يستمع إليه.

هناك غضب الشيخ غضبة رجل، فحبس نفسه في طاحونته، وعاش وحيدًا كالوحش الضاري. لم يرض حتى بأن يبقى إلى جواره حفيدته (فيفت)، وتلك طفلة في الخامسة عشرة لم يكن لها منذ موت أبيها إلا جدّها هذا. فاضطرت المسكينة إلى أن تكسب عيشها أجيعة في العزب هنا وهناك، تعمل تارة في الحصاد، وتارة في تربية دودة القز، وتارة في عصر الزيتون. ومع ذلك فقط كان يبدو على جد هذه الصغيرة أنه يحبها حبًا جمًّا. فكثيرًا ما كان يقطع المسافات الطوال، على قدميه تحت الشمس المحرقة، لكي يزورها في العزبة التي تشتغل فيها، حتى إذا صار إلى جنبها أنفق ساعات كاملة ينظر إليها ويبكي...

وظن أهل البلد أن الطحان الشيخ، حينما سرح (فيفت)، إنما فعل ذلك عن بخل؛ وما كان بالذي يشرفه أن تجوب حفيدته العزب، متعرضة لغلاظة الخوليين، متعرضة لبؤس فتاة على مثل حالها. وكان أهل البلد يرون بعين السخط أيضًا أن يمضي رجل له صيت المعلم (كورني)، وعاش محترمًا نفسه إلى تلك السن، فيمشي الآن في الطرقات كأنه متشرد حقيقي، وحافي القدمين، مخرق القلنسوة، ممزق الثوب... والحق أننا كنا نخجل منه، نحن الشيوخ الآخرين، وكان (كورني) يشعر بذلك فلم يجرؤ منذ أن بدأ مسلكه هذا الشائن على أن يتقدم إلى مقعدنا، وإنما كان يجلس مع المساكين.

لقد كان في حياة المعلم (كورني) شيء غامض... لم يكن أحد في القرية يحمل إليه قمحًا منذ أمد بعيد، ومع ذلك فقط ظلت أجنحة طاحونته تدور بلا توقف كما كانت

تدور من قبل.. وفي المساء كان القوم يلقون الطحان الشيخ في الطرقات سائئًا أمامه حماره المحمل بجوالق الدقيق الضخمة، فيهتف به الفلاحون:

- مساء الخير يا معلم (كورني)! أو يسير الطحن سيرًا حسنًا؟
فيجيهم في جدل:

- دائما يا أولادي. الحمد لله، ليس العمل هو الذي يعوزنا.

فإذا سألوه من أي فج عسى أن يأتيه كل هذا الشغل، وضع إصبعًا على شفثيه وأجاب في جد:

- لا تقولوا لأحد! إني أعمل للتصدير...

وما كان امرؤ يظفر منه بأكثر من ذلك.

وما كان ينبغي أن تحاول يومًا أن تزج بأنفك في طاحونته. فلم تكن لتدخلها حتى الصغيرة (فيفت)...

وكنت إذا مررت بالطاحونة، رأيت الباب مغلقًا دائمًا، والأجنحة الغليظة دائرة والحمار العجوز يقضم عشب الفناء، وقطًا مهزولًا يصطلي في الشمس على طرف النافذة وينظر إليك نظرة شر... وإنك لتحس في ذلك كله سرًا من الأسرار.

و أطلق سر المعلم (كورني) السنة الناس بالكلام والحديث. فراح كل امرئ يفسره على طريقته، ولكن الذي شاع بين أهل القرية هو أنه لم يزل في تلك الطاحونة من أكياس النقود ما يربو على أكياس الدقيق.

و على مر الأيام ظهر كل شيء؛ وإليك كيف كان ذلك:

ذهبت ذات مرة إلى الشيخ، ليوافق على تزويج ابني من "فيفت".

لم يتح لي الشيخ أن أتم كلامي، وإنما صاح بي في غير مراعاة للود أن أعود إلى مزماري، وأن أذهب إذا كنت عجلًا إلى تزويج ابني فابحث عن البنات في المطحن البخاري... انظر! لقد صعّد بي دمي من سماع هذا الكلام الفارغ، غير أنني كنت من العقل بحين كظمت نفسي، فتركت هذا الشيخ المجنون لرحاه، ورجعت أعلن للأولاد عدم

موافقتي... لم يستطع الحملان المسكينان أن يصدقا: واستعطفاني سائلين أن أذن لهما بأن يصعدا معا إلى الطاحونة ليكلما الجد... فإذا بي لا أقوى على أن أرفض سؤالهما، وهاهما حبيباي ذان قد انطلقا خفيفين!

وحيثما بلغا الربوة كان المعلم (كورني) قد خرج منذ لحظة. وكان الباب مغلقا بدورتي المفتاح. غير أن الشيخ الطيب القلب كان قد نسي في ذهابه سلمه خارج الطاحونة، فسرعان ما خطر للولدين أن يدخلوا من النافذة، ليستطلعوا بعض الشيء ما كان في تلك الطاحونة العجيبة...

شيء غريب! كانت حجرة الرحي خاوية... ولا أثر لجولق ولا لحبة من القمح، ولا أدنى أثر للدقيق على الجدران أو على أنسجة العنكبوت... ولم تكن تبلغ شمك تلك الرائحة الطيبة الحارة، رائحة القمح المسحوق التي تتضوع في أرجاء الطواحين... وكان مجثم الطير يكسوه الغبار، والقط الأعرج راقداً فوقه.

وكان على الغرفة السفلى المظهر نفسه، مظهر الشيء البائس المهجور: سرير رديء، وبعض الخرق وقطعة من الخبز على إحدى درجات السلم، ثم في ركن من الأركان ثلاثة أو أربعة جوالق مشقوقة تنحدر منها قطع الجص وينساب منها تراب أبيض.

هنا كان سر المعلم (كورني)! فإنه هو هذا الجص الذي كان يدور به في الطرقات عند المساء، لكي ينقذ شرف الطاحونة ويوحى إلى القوم بأنها ما زالت تصنع الدقيق... لك الله من طاحونة مسكينة! ولك الله يا (كورني) المسكين! فمنذ أمد بعيد قد انتزع أصحاب المطحن منها آخر عملائها. ومضت الأجنحة تدور دائما، وأما الرحي فكانت تدور على الفارغ.

عاد الولدان دامعين يقصان عليّ ما شهدا فتمزق قلبي وأنا أسمعهما... ومن غير أن أضيع دقيقة، هرعت إلى الجيران وأخبرتهم بالأمر في كلمتين، فاتفقنا على أنه ينبغي في الحال، أن نحمل إلى طاحونة (كورني) كل ما في البيوت من قمح... وما كان ينتهي كلامنا حتى أخذنا في تنفيذه، وها هي ذي القرية كلها تسير في الطريق، وها نحن نبلغ الربوة في موكب من الحمير المحملة بالقمح، قمح حقيقي في هذه المرة!

كانت الطاحونة مفتوحة على مصراعيها... وأمام الباب، كان المعلم (كورني)، قابعا على

كيس من أكياس الجص، يبكي، ورأسه في كفيه. فلقد لاحظ، حين عاد منذ قليل، أن امرأ
نفذ إلى حرمه وهتك سره المحزن.

- يا لي من شقي! الآن لم يبق لي إلا أن أموت.. لقد ثلب شرف الطاحونة.

وكان يشهق شهقات تمزق النفس، داعيًا طاحونته بشتى الأسماء، مناجيًا إياها كأنها
شخص حقيقي.

وفي هذه اللحظة تبلغ الحمير الفناء، ونأخذ نحن في الصباح عاليًا كأننا في أيام عز
الطحانين.

- هوي! طاحونة!... هوي! يا معلم (كورني)!

و ها هي الجوالق تتكسد أمام الباب، وهو هو الحب الأصهب الجميل ذاته ينسكب
على الأرض من كل جانب...

فتح المعلم (كورني) عينين واسعتين. وأخذ من القمح في راحة يده البالية، وجعل
يقول وهو يضحك ويبكي معًا:

- إنه قمح!... يارب يا مولاي!... قمح حقيقي!... دعوني أنظر إليه.

ثم يلتفت إلينا قائلاً:

- آه! لقد كنت واثقًا من أنكم سوف ترجعون إليّ... فإن أصحاب المطحن البخاري كلهم
لصوص.

و أردنا أن نحمله في مظاهرة إلى القرية:

- لا لا يا أولادي؛ ينبغي قبل كل شيء أن أعطي طاحونتي لتأكل... أما ترون! إنها لم تضع
شيئًا بين أسنانها منذ أمد بعيد!

و استدر الدمع في أعيننا جميعًا مشهد هذا الشيخ، يضطرب إلى اليمين وإلى اليسار،
فيقرر الأكياس ويراقب الرحي، بينما ينسحق الحب ويتطاير قمام القمح الدقيق إلى السقف.

ومن الإنصاف لنا أن نعلم أننا منذ ذلك اليوم، لم ندع الطحان الشيخ ساعة بلا عمل.
ثم ذات صباح، مات المعلم (كورني)، فتوقفت عن الدوران آخر طاحونة لنا، وتوقفت

هذه المرة إلى الأبد... لأنه مات (كورني)، لم يخلفه أحد. ماذا تريد يا سيدي!... فإن لكل شيء نهاية في هذه الدنيا، وينبغي أن نؤمن بأن عصر طواحين الهواء قد انقضى، كما انقضى عصر مراكب الماء على نهر (الرون)، وعصر (البرلمانات)، و(الستر) ذوات (الأزهار) العريضة.

عنزة السيد (سيجان)

إلى الأستاذ (بيير جرنجوار)، الشاعر الغنائي بد(باريس).

ستظل دائماً كما أنت يا صديقي البأس.

عجباً! أتعرض عليك وظيفة مخبر لإحدى صحف (باريس) السيارة وتأنف من أن تقبلها؟ انظر إذن إلى نفسك أيها الولد الشقي! انظر إلى هذا الرداء المخرق، وهذين النعلين الباليين، وهذا الوجه المهزول الذي يشكو الطوى. فإن ذلك هو المصير الذي قادك إليه كلفك بالقوافي الحسان! وإن ذلك ما أجده عليك عشر سنين من الولاء والخدمة الصادقة في صفحات السيد (أبولو)... أو ما تخجل في آخر الأمر؟

اجعل من نفسك مخبراً! اجعل من نفسك مخبراً! فستكسب نقوداً جميلة، وتتناول طعامك على مائدة "بريان" وتستطيع أن تظهر في المناسبات وفي قبعتك ريشة قشبية... كلا؟ لا تريد؟ أتصر على أن تبقى حراً كما تشاء إلى النهاية؟ أعر بعض سمعك إذن لقصة "عنزة السيد (سيجان)" لترى ماذا يجنيه المرء من الرغبة في حياة الحرية.

لم يكن للسيد (سيجان) في حياته حظ مع معيظه.

كان يفقدهن دائماً بالطريقة نفسها، ذات صباح عتيد، تقطع العنزة الجبل، وتنطلق إلى الجبل، وهناك يأكلها الذئب. فلا رقة السيد، ولا هول الذئب، ولا شيء مطلقاً أفلح في الإبقاء عليهن. لقد كن كما يبدو، معيزات مستقلات، راغبات بأي ثمن في الهواء الطلق والحرية.

وارتاع السيد (سيجان) الطيب القلب الذي لم يكن يفهم شيئاً من خلق عجمواته. فكان يقول:

- لقد قضي الأمر، إن المعيز ضيقة بعشرتي، ولن أستطيع اقتناء ولا واحدة.

ولكنه لم يستئس، وبعد أن فقد ست عنزات بالأسلوب نفسه، اشترى عنزة سابعة؛ غير أنه حرص في هذه المرة على اصطفاؤها حديثاً السن لكي تحسن الإقامة لديه ولكي

يربطها به ألفة أوثق.

آه! (جرنجوار)، ما كان أجملها عنزة السيد (سيجان) الصغيرة! ما كان أجملها بعينها الحلوتين ولحيتها القصيرة، وحوافرها السود البراقة، وقرنيها الملفوفين، وشعرها الأبيض الطويل الذي كان يتهدل على جسمها! لقد كادت تصيح في روقة جدي (أزميرالدا)، أتذكره يا (جرنجوار)؟ ثم كانت ودیعة، ملقة، تدع للحالين أن يحلبوها من غير أن تتحرك ومن غير أن تضع قدمها في الطَّسْتِ. فما كان أحبها إلى النفس...

وكان للسيد (سيجان) في ظاهر داره حظيرة يحوطها الشجر، وهناك وضع النازلة الجديدة، وربطها إلى وتد في أجمل بقعة من المرح مستوصياً بأن يمد لها الجبل طويلاً. وراح يتفقدتها بين حين وآخر ليرى إن كانت حالها على ما يرام. ولقد وجدت العنزة نفسها سعيدة راضية، ومضت تقضم العشب فرحة مغتبطة حتى خلب ذلك السيد (سيجان)، فقال في نفسه:

- أخيراً ها هي ذي عنزة لن تسأم العيش عندي!

أخطأ (مسيو سيجان)، فقد سئمت العنزة.

ذات يوم حدثت نفسها، وهي تنظر إلى الجبل هذا الحديث:

لا بد أن يكون المقام هنيئاً هناك في عل! ما أجملها من حياة! ما ألد الوثوب في الجحيم من غير هذا الرسن البغيض الذي يسلك الرقبة!... إنه لخليق بالحمار والعجل أن يسوما في حظيرة!... أما الأعنز فينبغي لهن المرعى العريض.

ومنذ هذه اللحظة بدا لها عشب الحظيرة عديم المذاق. واستولى عليها السأم فأنضاهها، وكاد يغيض لبنها. ولوأنك قد رأيتها وهي تجذب طيلة اليوم رسنها، ورأسها ميمم صوب الجبل، ومنخارها مفتوح قائلة "مي...مي" في حزن لثيت لها، وأشفقت عليها.

ولاحظ السيد (سيجان) أن شيئاً قد أصاب عنزته، ولكنه لم يكن يعرف ما هذا الشيء... حتى إذا انتهى من حلبها ذات صباح، التفتت العنزة وقالت له في لهجتها العامية:

- اسمع يا (مسيو سيجان)، إن السأم ينضيني لديك، دعني أذهب إلى الجبل.

- آه ياربي!... وهي أيضاً؟

كذلك صاح السيد (سيجان) مشدوهاً، ومن هول الصدمة سقط الإناء من بين يديه، ثم جلس الرجل في العشب إلى جانب عنزته يقول لها:

- كيف يا (بلانكيت)؟ أتريدين أن تهجريني؟

- فأجابت (بلانكيت):

- نعم يا (مسيو سيجان)!

- أو ينقصك العشب هنا؟

- أوه كلا يا (مسيو سيجان).

- لعلك مشدودة إلى حبل قصير، أتريدين أن أمد لك الحبل؟

- وفر على نفسك هذا العناء يا (مسيو سيجان).

- إذن فما الذي يلزمك؟ ماذا تريدين؟

- أريد أن أذهب إلى الجبل يا (مسيو سيجان).

- أفلا تعلمين أيتها الشقية أن الذئب هناك؟ فماذا أنت فاعلة إذا أتى؟

- أقرعه بقرني يا (مسيو سيجان).

إن الذئب ليسخر من قرنيك. لقد نهش من معزي ذوات قرون لا يدانيها قرناك. أتعرفين المسكينة (رينود) التي كانت هناك السنة الماضية؟ عنزة رائعة من سيدات الماعز، قوية الشكيمة، شريرة كالتيس. لقد باتت تقارع الذئب الليل كله، وفي الصباح أكلها الذئب.

وأسفاه على (رينود) المسكينة! الله يرحمها! غير أنه لا بأس عليّ يا (مسيو سيجان)، دعني أذهب إلى الجبل.

قال السيد (سيجان): "يا رحمة الله!.. فما هذا الذي كتبه القدر على أعنزي؟ هي ذي عنز أخرى سيأكلها الذئب مني. لا.. لا.. لأنقذنيك على الرغم منك أيتها المتمردة! وخشية أن تقطعي رسنك سأحبسك في مربوط الماشية، ولسوف تقيمين فيه أبداً".

وهنا زج السيد (سيجان) بالعنزة في مربوط حالك الظلمة؛ أغلق عليها بابه بدورتي المفتاح. بيد أنه نسي النافذة، فما كاد يدير ظهره حتى أفلتت العنزة.

أضحك يا (جرنجوار)؟ أضحك! فإني موقن أنك من حزب المعيز ومن خصوم السيد (سيجان) الطيب. ولكننا سنرى إن كنت ستواصل الضحك عما قليل.

حينما بلغت العنزة البيضاء الجبل، طرب الجبل عن بكرة أبيه وانتشى. ما رأيت شجرات الصنوبر العتيقة في حياتها شيئاً أرق من ذلك فاستقبلتها هناك استقبال ملكة صغيرة. وانحنت أشجار الكستناء حتى أديم الأرض لكي تربت عليها بذوائب أغصانها. وتفتحت أزهار الرتم في طريقها، وفاحت بالأريج جهدها؛ لقد احتفى بها الجبل كله.

وإنك لتقدر يا (جرنجوار) كم أضحت عنزتنا سعيدة! لا رسن، ولا وتد، ولا شيء يعوقها عن الوثب كما تهوى أو عن السوم كما تشاء... فهناك كان الكلاً حقاً! كلاً يغطي القرنين يا عزيزي!... ويا له من كلاً لذيذ، مهفف، شتيت الألوان.. فما أبعد ما كان الفرق بينه وبين عشب الحظيرة! وناهيك بالأزهار!... زرقاء عريضة، وحمراء قانية طويلة الكؤوس، بل قل غابة بأكملها من الزهر الطافح بأصناف الرحيق العاتية!...

ومضت العنزة البيضاء نصف سكرى تتمرغ في ذلك النبات، سيقانها في الهواء، محاذية تلك المنحدرات، مختلطة بالأوراق الساقطة والكستناء. ثم تهض فجأة في قفزة واحدة فتقوم على أربع. انظر، ها هي ذي قد انطلقت ورأسها ممدود إلى الأمام خلال الأحراش والأدغال، تارة تتسئم ذروة، وتارة تهبط إلى قاع، فكنت تراها في عل وفي أسفل وفي كل مكان حتى ليخيل إليك أن في الجبل عشرات عنزات للسيد (سيجان).

ذلك أنها لم تكن خائفة من شيء، تلك (البلانكيت).

و جعلت تقفز سيولاً كانت تلطخها وهي تعبرها بالغبار البليل والزبد، ثم تروح تتمطط والماء يقطر منها على صخرة ملساء تجفف فوقها جسمها في الشمس... وبينما هي تتقدم على شفا نجد وبين أسنانها زهرة من أزهار القصاص، أبصرت تحتها في حضيض السهل بين السيد (سيجان) ومن خلفه الحظيرة فأضحكها ذلك حتى استدر الضحك من عينيها الدموع. قالت:

- ما أصغر هذا! كيف صبرت على المكث فيه؟

يا للصغيرة المسكينة! لقد ظنت وهي واقفة تشرف على الدنيا من حالق أنها كبيرة حجم الدنيا على الأقل...

جملة القول، لقد طاب يوم عنزة السيد (سيجان). ونحو منتصف النهار، إذ كانت تعدو ذات اليمين وذات اليسار، التقت بقطيع من الوعل كان يقضم كرمًا بريًا ملء أسنانه. فأتارت عداءاتنا الصغيرة ذات الثوب الأبيض مشاعر القوم. ولقد أفسحوا جميعهم لها أجمل مكان من الكرم، وأظهر أولئك السادة أدبًا جمًّا... بل ويبدو -وهذا ينبغي أن يظل سرًّا بيننا يا (جرنجوار)- أن وعلاً شابًا أسود الجلد أسعده الحظ بأن يقع من قلب (بلانكيت) موقعًا حسنًا، فهاما بين الغابة ساعة أو ساعتين، وإن أردت أن تعرف ماذا قال كل لصاحبه فاذهب وسل الينابيع اللاغية التي تنساب تحت الخضرة لا يلمحها أحد.

وفجأة برد الهواء، واكتسى الجبل لونًا بنفسجيًّا: لقد كان المساء... قالت العنزة الصغيرة:

- منذ الآن!

ووقفت مشدوهة.

وفي أسفل الجبل، أمست الحقول يغمرها الضباب. وتوارت حظيرة السيد (سيجان) في هذا الضباب ولم يعد يرى الناظر من الدار إلا سقفها ينبعث منه شيء من الدخان. وأصاغت إلى أجراس قطيع كان الرعاة عائدين به، فاستولى الحزن على نفسها... ومسها بجناحيه طائر هابط إلى وكره فارتعشت... ثم انطلق عواء في الجبل:

- هووو! هووو!

فتذكرت الذئب ولم تكن الطائشة قد فكرت فيه من يومها كله... وفي تلك اللحظة هتف بوق هناك في الوادي بعيدًا. أنه (المسيو سيجان) لقد كان هذا الرجل الطيب يحاول محاولة أخيرة.

وعوى الذئب: هووو! هووو!

وصاح البوق: ارجعي! ارجعي! وودت (بلانكيت) أن ترجع، لكنها إذ تذكرت الودت والرسن وسياج الحظيرة، رأت أنها الآن لن تستطيع أن تعيش ذلك العيش، وأن من الأفضل لها أن تمكث حيث هي.

وانقطع صوت البوق.

وسمعت العنزة وراءها حفيفًا من الأوراق، فالتفتت، وإذا هي ترى في الظلام أذنين

قصيرتين، مستقيمتين منتصبتين، ومقلتين براقتين... لقد كان الذئب جسيماً، ضخماً، ساكناً، كان مُفْعِيّاً هناك ينظر إلى العنزة الصغيرة البيضاء ويتذوقها في شهية قبل أن يفترسها. لم يتعجل الذئب، لأنه كان واثقاً من أنه لا بد آكلها، وإنما -حين التفتت- أخذ يضحك في شر:

- ها..ها! يا عنزة السيد (سيجان) الصغيرة.

أحست (بلانكيت) أنها هالكة... وتذكرت في لحظة قصة المرحومة (رينود) التي قارعت الذئب طيلة الليل لكي يلتهمها الذئب في الصباح، ففضلت الاستسلام في الحال، ثم عدلت عن رأيها، ووقفت موقف الدفاع، حانية رأسها، شاهرة قرنيها، كما يجدر بعنزة السيد (سيجان) أن تفعل. لا ترجو من ذلك أن تقتل الذئب -فإن المعزة لا تقتل الذئب- بل لكي ترى هل تستطيع أن تصمد صمود (رينود)؟

إذ ذاك تقدم الوحش، وبدأ القرنان الصغيران يرقصان.

أه! يا للعنزة الباسلة، ما كان أروع إقدامها على القتال! لقد اضطرت الذئب أكثر من عشر مرات، ولا أكذبك يا (جرنجوار)، إلى التقهقر حتى يستعيد أنفاسه. وفي كل هدنة كانت الشرهة تقتطف في عجلة عوداً من عشبها الحبيب. ثم تعود إلى القتال مملوءة الفم... واتصل ذلك سواد الليل. وبين حين وآخر كانت عنزة السيد (سيجان) تنظر إلى النجوم ترقص في السماء الصافية فتقول في نفسها:

- أوه! لا بد أن أصمد حتى الفجر...

وراحت تنطفئ النجوم... نجمًا بعد نجم. فضاعفت (بلانكيت) من ضربات قرنيها، وضاعف الذئب من ضربات أسنانه... وبدأ في الأفق ضوء شاحب... وارتفع من أحد المزارع صياح ديك أبح.

- أخيراً!

قالتها العنزة المسكينة التي لم تكن تنتظر إلا الفجر لكي تموت، وتمددت على الأرض في فرائها الأبيض الذي تلتخ كله بالدم.

هناك انقض الذئب على العنزة الصغيرة والتهمها.

- وداعًا يا (جرنجوار)!

ليست القصة التي سمعتها حكاية من إنشائي. فلو قد جئت يومًا إلى (البروفانس) لحدثك فلاحونا، أحيانًا كثيرة، في لغتهم الدارجة الجميلة، حديث عنزة السيد (سيجان) "التي قضت الليل كله تقرع الذئب ثم أكلها الذئب في الصباح".
أفاهم أنت عني يا (جرنجوار): "ثم أكلها الذئب في الصباح".

أسطورة الرجل ذي المخ الذهبي (ألفونسو دوديه)*

إلى السيدة التي تطلب قصصًا مرحة.

كأنني بضميري قد أنبني وأنا أقرأ رسالتك يا سيدتي، لقد لحيْتُ نفسي على لون
أقاصيصي هذا الضارب إلى السواد أكثر مما ينبغي، وقطعت على نفسي عهدًا أن أقدم
لك اليوم شيئًا بهيجًا بجنون.

ولماذا ينبغي أن أحزن بعد هذا كله؟ إنني أقيم بعيدًا جدًّا من ضباب (باريس)
وقتامتها، فوق تلة مشرقة بالنور.

وليس حول بيتي إلا الشمس والموسيقا؛ فإن عندي جوقات من شتى أنواع الطير؛
عندي في الصبح عصافير؛ وفي الظهر جنادب؛ وبعد ذلك الرعاة الذين يعزفون على
المزمار، الحق أن هذا الربع لا يلائم الأفكار السوداء؛ والأحرى بي أن أبعث للسيدات
بقصائد وردية اللون وسلال ملأى بالقصص الأنيقة.

بل كلا! فما زلت شديد القرب من (باريس). وإنها لترسل إلي كل يوم، حتى وأنا بين
شجرات صنوبري، رشاشًا من حمأة أحزانها، وهأنذا وأنا أكتب الآن هذه السطور أقف على
الميتة الياسة التي أماتها (شارل بابارا) المسكين؛ وإن طاحونتي من هذا النبأ لفي حزن
وحداد، وداعًا أيتها العصافير والجنادب! لن يميل قلبي إلى شيء مرح... ولذلك يا سيدتي
بدلًا من القصة الجميلة العابثة التي عاهدت نفسي على أن أكتبها لك، لن تصيبي اليوم
أيضًا إلا أسطورة حزينة.

كان في قديم الزمان رجل له مخ من الذهب، نعم يا سيدتي! مخ كامل من الذهب!
وحينما جاء إلى الدنيا ظن الأطباء أن هذا الطفل لن يعيش، لأنه كان ثقیل الرأس ضخم
الجمجمة. ولكنه عاش ونما في الشمس، كما تترعرع شجرة جميلة من شجر الزيتون، إلا
أن رأسه الغليظ كان يجرره دائمًا، فكان يثير إشفاق الناظر إليه أن يراه يصطدم وهو يمشي
بقطع الأثاث جميعها... وكثيرًا ما كان يسقط على الأرض. وذات يوم تدرج من أعلى درج،

* كاتب فرنسي (1841-1898).

ونطح بجبهته إحدى درجات السلم المرمرية حيث رنت جمجمته كأنها سييكة، وظن القوم أنه مات؛ ولكنهم إذ أنهضوه لم يجدوا سوى جرح خفيف، تصحبه قطرتان أو ثلاث قطرات صغيرة من الذهب خائرة في شعره الأشقر، وهكذا عرف الوالدان أن للغلام مخًا من الذهب.

وظل الخبر طي الكتمان؛ ولم يدر الصغير المسكين نفسه من الأمر شيئًا، وكان يسأل من حين إلى حين: لماذا لا يدعونه يجري أمام الباب مع غلمان الشارع كما كان يفعل من قبل، فكانت تجيبه أمه:
- لئلا يسرقوك، يا كنزي الجميل!

وهنا كان الطفل يخشى أن يختطفه أحد؛ وكان يعود فيستأنف اللعب وحده، دون أن يقول شيئًا، ويجرر نفسه في ثقل من غرفة إلى أخرى...

وعندما بلغ الثامنة عشرة، كشف له والداه -إذ ذاك فقط- سرَّ الهبة الجبارة التي خصه بها القدر، ولما كانا قد ربياه وكفلاه حتى ذلك الوقت، فقد طالباه بشيء من ذهبه مقابل هذا، ولم يتردد الولد، بل انتزع في الحال من جمجمته -كيف..؟ بأي الوسائل..؟ لم تقل الأسطورة- كتلة من الذهب، قطعة غليظة في حجم الجوزة، ألقاها بفخر على ركبتي أمه... ثم وقد بهرته موارد الثراء التي كان يحملها في رأسه، هجر بيت أبيه ومضى يجوب الدنيا مبدئًا كنزه.

ومن أسلوبه المترف في الحياة، وإغراقه في بذخ الملوك، ونشره الذهب بلا حساب، كان يخيل للناس جميعهم أن متحه زخر لا ينضب... ولكنه نضب مع ذلك، وكان الناظر إليه يومًا بعد يوم يستطيع أن يرى عينيه تنطفآن ووجنيتته تغوران. وأخيرًا، غداة مجونٍ مجنونٍ، جلس الفتى البائس وحده بين فضلات الوليمة والثريات التي أخذ نورها يشحب، فأفزعته النقب الهائل الذي قد أحدثه في سبيكته، يجب إذن أن يتوقف في الحال.

ومنذ ذلك الوقت بدأ حياة جديدة، وراح ذو المخ الذهبي يعيش في عزلة، من عمل يديه، مرتابًا هيابًا كرجل بخيل، هاربًا من كل إغراء، محاولًا أن ينسى هو هذا الثراء الذي لم يعد بعد ذلك يمسه.... ولكنه كان صديق له قد تبعه إلى معتزله، وكان هذا الصديق يعرف سره.

و ذات ليلة، هبّ الرجل المسكين فزعاً وقد أيقظه ألم في رأسه، ألم هائل؛ فنهض موزع النفس، ورأى -في شعاعة من شعاع القمر- ذلك الصديق وقد لاذ بالفرار وهو يخفي شيئاً تحت منعطفه....

هو ذا جزء آخر من مخّه ينتزعونه منه!

و بعد أن نجا من هذا الحادث، أحبّ من أعماق نفسه امرأة صغيرة، شقراء، وأحبّته هي أيضاً، ولكنها كانت تؤثر القبعات المزينة، والريش الأبيض، والأهداب البنية القانية الرشيقة .

وبين يدي هذه المخلوقة اللطيفة -التي كان نصفها طائراً، ونصفها دمية- انهالت قطع الذهب الصغيرة، ويا لها من لذة! كانت في تلك الغادة ألوان النزق جميعها، وكان هو لا يعرف مرة أن يقول لا، بل لقد كتم عنها حتى آخر الأمر -خشية أن يؤلّمها- سر ثروته المحزن.

كانت تقول له: إننا إذن لغنيان؟

فكان الرجل المسكين يجيب: أوه! أجل... غنيان جداً!

وكان يتسم في ثقة للطائر الأزرق الذي أضحى يأكل.. يأكل منه الجمجمة في براءة. على أن الخوف كان يأخذه أحياناً فيهيج به أن يبخل ويقترب؛ إلا أن المرأة الصغيرة إذ ذاك كانت تقبل عليه قائلة:

- زوجي الذي أنت غني كل هذا الغنى! اشتر لي شيئاً ثميناً غالياً...فكان يشتري شيئاً ثميناً غالياً.

واستمّر ذلك مدى سنتين؛ ثم ذات صباح، ماتت المرأة الصغيرة، دون أن يدري أحد لماذا، كما يموت الطائر... وأوشك الكنز أن ينضب، وبالذي بقي له منه، شيع الأرملة عزيزته الراحلة أحسن تشييع. أجراس مع هيبب الريح، ومركبات ثقيل مجللة بالسواد، وجياد مزدانة بالريش، ودموع من الفضة في المخمل... لم يبد له شيء من ذلك ممتازاً. وماذا يجديه ذهبه الآن؟ لقد أغدق منه على الناس جميعهم، دون مساومة... ولذا حين خرج من المدافن، لم يكذب يبقى له شيء من ذلك المخ العجيب، اللهم إلا جزئيات عالقة

بعظام الجمجمة.

هناك رأه الناس يهيم في الشوارع شارد النفس، ماداً يديه، مترنحاً، وفي المساء، حين تألقت الأسواق، وقف أمام واجهة متجر عريضة حافلة بخليط من الأقمشة والحلي يتلألأ بين الأنوار الموقدة، وظل هناك طويلاً يرنو إلى حذاء رقيق من الديباج الأزرق يعلو حافته إطار من زغب البجعة. لقد كان يقول لنفسه وهو يتسم: إنني أعرف امرأً يدخل السرور عليه هذا الحذاء، وقد أمسى لا يذكر أن زوجته الصغيرة قد ماتت، ودخل ليشتري الحذاء.

وداعا يا كورديرا (ليوبولدو آلاس)*

كانوا ثلاثة - دائماً نفس الثلاثة: (روزا) و(بنيين) و(كورديرا).

كان مرج (سومونتي) رقعة مثلثة من الخضرة المخملية انتشرت كسجادة عند سفح التلة، امتد ضلعها السفلي بعيداً حتى التقى بخط السكة الحديدية الآتي من (أفيرو) إلى (جيجون)، ووقف عمود (التلغراف) كسارية العلم في زاوية الحقل، يمثل بمنظره لـ(روزا) و(بنيين) العالم البعيد: وهو عالم مجهول غامض يجب أن يبقى مرهوباً ومنسياً أبداً.

فبعد أن قلب (بنيين) الأمر جدياً، وهو يرقب العمود الهادئ المسالم يوماً بعد يوم، توصل نهائياً إلى الاعتقاد بأنه ليس إلا شجرة جافة، وأن الكؤوس الزجاجية المعلقة في أعلاه ما هي إلا نوع من الفاكهة الغريبة. وبهذا اكتسب من الثقة ما يكفيه لكي يتسلق عليه حتى كاد يمس الأسلاك. إلا أنه في تسلقه لم تدرك يده الكؤوس مطلقاً، لأنها ذكرته بشكلها ببعض الأواني، ولم يستطع أن ينفذ عنه شعور الرهبة إلا بعد أن كان ينزلق ويثبت رجليه ثانية على الأرض الخضراء بأمان.

غير أن (روزا)، وهي الأقل جرأة ولكنها أكثر عشقاً للمجهول، كانت تقنع بالجلوس تحت عمود (التلغراف) لساعات طويلة، تصغي إلى الريح وهي تجتذب من الأسلاك أغنية صافية ساحرة وتمزجها بتهدات صادرة من قلب أشجار الصنوبر.

ففي بعض الأحيان كانت هذه الاهتزازات تسمع وكأنها موسيقا، وكانت لـ(روزا) أشبه بهمسات ترحل عبر الأسلاك من مجهول إلى مجهول، لم يكن لديها شيء من حب الاستطلاع لتعرف ماذا يقول الناس من طرفي الدنيا المتقابلين، الواحد منهم للآخر، لم يهمها ذلك بكثير أو قليل. إنما هي تصغي إلى الصوت لنغمته الجميلة وغموضه الغريب. ولكن (كورديرا) وقد بلغت من العمر أنضجه، كانت واقعية أكثر من رفيقها. لقد انزوت عن العالم، وجعلت تتأمل عمود (التلغراف) من بعيد، وتفكر بأنه شيء عديم الحياة لا يصلح لشيء إلا أن تحك نفسها به.

كانت (كورديرا) بقرة رأّت من الدنيا كثيراً، كانت تجنم في الحقل ساعات طويلة تقتل

وقتها بالتأمل، عوضاً من أن تقيت نفسها، وتمتع بهدوء الحياة وزرقة السماء محاولة طيلة الوقت أن تحسن عقلها.

كانت دائماً تشارك الوالدين اللذين عهد إليهما بحراستهما في أثناء ألعابهما، ولو استطاعت لضحكت لتلك الفكرة! (روزا) و(بنيين) مكلفان بالاعتناء بها -هي (كورديرا)! لحفظها داخل المرعى ومنعها من القفز فوق السياج والشرود بمحاذاة الخط الحديدي كأنها جد ميالة للقفز والشرود، وما الذي يحذو بها إلى التدخل بشؤون الخط الحديدي؟

لقد كان من دواعي غببتها أن ترعى بهدوء وتنقي بعناية أشهى القضمان دون أن ترفع رأسها لتتظر حولها باستطلاع عديم الفائدة، وبعد ذلك تضطجع إما للتأمل أو لتذوق نعمة عدم المشقة. غير أن راحتها الفكرية تنغصت كثيراً عندما دشّن الخط الحديدي وكاد يصيبها بالجنون من الهلع عندما رأت القطار وهو يجتاز مجمعاً لأول مرة؛ قفزت فوق الحائط الحجري إلى الحقل المجاور، واشتركت مع بقية الماشية بحركاتها الجنونية... ودام فزعها لعدة أيام متتالية، يتضاءل قليلاً ثم يعود عليها بشدة كلما خرجت الآلة المتحركة من فم النفق.

رويداً رويداً أخذت تتحقق أن القطار عديم الأذى: خطر يمر دائماً بسلام، مصيبة تتوعد ولكنها لا تنزل، وبذلك أخذت تقلل من حيطتها، وما عادت تدفع برأسها إلى الأسفل في موقف الدفاع عن نفسها. ثم أخذت تنظر إلى القطار من دون أن تجشم نفسها حتى مشقة النهوض، وفي النهاية فقدت نفورها منه بالمرّة ولم تعد تنظر إليه إطلاقاً.

ولكن جدة القطار أحدثت في نفسي (روزا) و(بنيين) تأثيرات أشد وأعمق. فقد أخذنا في البدء ينفعلان بفرح ممزوج برهبة غريبة جعلتهما يرقصان بوحشية ويطلقان صرخات عالية. ثم تحول هذا الشيء إلى أشبه بملهاة هادئة تتكرر عدة مرات في اليوم كلما راقبوا الحية الحديدية الهائلة وهي تنساب بسرعة بحملها من الناس الغرباء.

ولكن عمود (التلغراف) والسكة الحديدية وما كان ينجم عنهما من أحداث إنما كانت قصيرة الأمد سرعان ما تتلاشى في بحر تلك الوحدة التي تحيط بمرج (سومونتي) فلا يرى أحد من الأحياء ولا يسمع صوت من العالم الخارجي.

وفي الصباح تلو الصباح كان الطفلان والبقرة يترقبون مجيء الظهيرة، تحت أشعة

الشمس المحرقة وبين طنين الحشرات المتقاطرة، يرجعون إلى البيت. وفي الأمسيات الطويلة الكئيبة ينتظرون مجيء الليل مرة أخرى.

طالت الظلال وهدأت العصافير وبزغ نجم هناك في القسم المعتم من السماء، وانعكست في روعي الطفلين وداعة الطبيعة المستكنة، وفي أثناء جلوسهما قرب (كورديرا) كانا يلودان بأذيال صمت حالم، لا يشوبه إلا رنين ناعم من جرس البقرة بين الحين والحين. كشتي ثمرة خضراء، هكذا كان الطفلان يلانم كلاهما الآخر ولا يفارقه. كانا متحدين بحنان قائم على معرفتهما الضئيلة عما كان غريزياً فيهما، وعما جعلهما شخصين اثنين وامتد هذا الحنان إلى (كورديرا) البقرة الأم، وهي بدورها قابلت على قدر طاقتها حب الولدين اللذين كانا مكلفين بحراستها بحب مماثل على طريقتهما التلقائية.

وكثيراً ما كانت تعامل بخشونة كلما اشتركت معهما في ألعابهما الصبائية، ولكنها في كل مرة تظهر صبراً وتسامحاً عجيبين وعطفاً تبديه بكثير من التفكير والهدوء.

غير أن (أنطوان دي شينتا)، والد الطفلين لم يكن قد امتلك (سومونتي) إلا منذ أمد قريب، فتمتعت (كورديرا) بامتياز هذا المرعى الخصيب بعد أن كانت تضطر إلى التجوال في الطرقات العامة للحصول على طعامها من الأعشاب الزهيدة التي تنبت على حواشيتها. ففي تلك الأيام العصيبة من الفقر والحرمان كانا (بنين) و(روزا) يبحثان لها عن أحسن البقع الملائمة ويحميانها بوسائل شتى من سوء المعاملة التي تتعرض لها الحيوانات المضطرة إلى البحث عن قوتها في الأراضي العامة.

و في أيام الزريبة الهزيلة عندما كان العلف نادراً واللفت مفقوداً، كانت البقرة مدينة للطفلين عن ألف لفة صغيرة سهلت عليها الحياة وجعلتها أمراً يطاق.

وفي تلك الفترة المليئة بالبطولة الواقعة بين بطولة عجولها وبين فطامها، عندما كان ينبعث ذلك السؤال الذي لا مفر منه عن كمية الحليب الذي يجب أن تحصل عليها عائلة (دي شينتا)، ومدى ضرورته بصغارها كنت تجد (بنين) و(روزا) يقفان بجانب (كورديرا). كثيرًا ما كانا يطلقان سراح العجل الصغير لينطلق بفرح جنوني متعثرًا بكل ما يصادفه في طريقه، بحثًا عن الطعام والحماية تحت جسم والدته الرحب، بينما كانت هذه تلتفت برأسها نحو الطفلين بنظرة ملؤها حنان وامتنان.

إن روابط كهذه لا يمكن أن تفصم وذكريات كهذه لا يمكن أن تمحى ولكن (أنطون دي شينتا) توصل إلى أن أحلامه الذهبية بتوسيع زربته تدريجيًا لن تتحقق. إنه باقتنائه تلك البقرة الوحيدة بألف اقتصاد وحرمان، لم يجد نفسه عاجزًا عن اقتناء بقرة أخرى فحسب، بل وجد نفسه في النهاية عاجزًا عن دفع الإيجار، لقد رأى في (كورديرا) ملكه الوحيد يعتمد عليه، ولكنه تحقق من أنها يجب أن تباع رغم اعتبارها إحدى أفراد العائلة، ورغم وصية زوجته وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بأن (تلك البقرة عماد حياتهم في المستقبل)، فبينما كانت الأم مضطجة على فراش الموت في غرفة فصلت عن الزريبة بحاجز حيك من سيقان السنابل الجافة، حولت أنظارها المجهدة نحو (كورديرا)، كأنها ترجوها بصمت أن تكون أمًا ثانية للطفلين، وأن تمنحهما من الحنان الذي لا يفهمه أبوهما، فقرر (أنطون دي شينتا) كل ذلك ولم يقل للطفلين عن حاجته الملحة لبيع البقرة.

وفي صباح أحد الأيام، وكان يوم سبت، نهض باكراً وانتهاز فرصة نوم (روزا) و(بنيين)، وشرع بقلب مثقل يسوق (كورديرا) أمامه ميمًا وجهه شطر (جيجون).

ولما نهض الطفلان كانا في حيرة من أمر غياب والدهما المفاجئ، ولكنهما شعرا متيقنين بأن البقرة رافقته غير طائعة.

ولما أرجع والدهما الحيوان في المساء وهو مرهق مكسو بالغبار -ليعطيها سببًا لغيابه- أحسا بوقوع الخطر.

لم تبع البقرة، إذ إنه بمنطق الحنان والمودة المصطنعين. كانا قد وضع السعر عاليًا لكي لا يستطيع أحد دفعه، فكان يتجهم لكل مشترٍ منتظرًا واثقًا من أنه سيصل المبلغ الذي قرره بعناد، وكان يهدئ من اضطراب ضميره بقوله لنفسه إنه متأكد من رغبته في البيع، وإنما الذنب ذنب الآخرين الذين لا يدفعون الثمن الذي تستحقه (كورديرا)، وهكذا قفل عائداً إلى البيت يرافقه عدد من جيرانه المزارعين، الذين كانوا يسوقون مواشيهم أمامهم بمشقة تتوقف شدتها على قصر أو طول العشرة التي بين الحيوان وسيده.

أما (بنيين) و(روزا) فمن اليوم الذي بدأ يشكان فيه بأن هناك أمرًا مؤلمًا ينتظرهما لم يرتح لهما فكر، وسرعان ما تحققت أسوأ مخاوفهما عند ما ظهر صاحب البيت وهو يتوعدهم بإخلاء المكان.

ولذلك يجب أن تباع (كورديرا) ولربما بيعت بثمان فطور فقط.

وفي يوم السبت التالي رافق (بنيين) والده إلى سوق بلد مجاور حيث نظر الولد إلى القصابين المسلحين بأسلحة الذبح بفرع بالغ، وبيع الحيوان إلى أحد هؤلاء، وبعد أن وسمت البقرة بالحديد والنار أرجعت إلى زريبتها وجرسها يجلجل طول الطريق بحزن. كان (أنطون) صامتًا وكانت عينا الولد حمراوين منتفختين. وعند سماع (روزا) خبر البيع رمت ذراعيها حول عنق (كورديرا) وأجهشت بالبكاء.

الأيام التالية كانت أيامًا مملوءة بالحزن والأسى في مرج (سومونتي) بينما كانت (كورديرا) -وهي تجهل المصير الذي ينتظرها- هادئة وديعة، كما حلا لها أن تبقى كذلك حتى اللحظة التي سيهوي عليها الساطور بضربته الوحشية.

ولكن (بنيين) و(روزا) لم يكن في وسعهما أن يفعلا شيئًا إلا الاضطجاع على العشب في صمت متواصل، لا أمل لهما في أية تعزية في المستقبل، وكانا ينظران نظرة كراهية إلى أسلاك (التلغراف) والقطارات المارة الموصولة بذلك العالم البعيد كل البعد عن إداركهما، العالم الذي سوف يسلبهما رفيقتهما وصديقتهما الوحيدة.

وبعد بضعة أيام حصل الفراق، وأتى القصاب حاملاً النقود المتفق عليها. وسأله (أنطون) هل يرغب في شرب الشاي، وأرغمه على سماع فضائل البقرة الممتازة.

لم يستطع الأب أن يصدق أن (كورديرا) ستذهب إلى سيد آخر لن يعاملها معاملة حسنة، فأخذ يعدد ميزاتها البيتية ومقدرتها على در الحليب وصلابتها تحت النير، والآخر بيتسم وهو يفكر بالمصير الذي ينتظرها.

وقف (بنيين) و(روزا) وأيديهما متشابكة ينظران إلى العدو من بعد، ويفكران بحزن بالماضي وذكرياته الملأى بـ(كورديرا). وقبل أن تساق نهائيًا بيد القصاب، ارتميا على عنقها وغطياه بالقبل. ثم تبعها الطفلان في الطريق الضيقة المنحدرة، وشكلا مع البقرة المتأففة وسائقها غير المبالي جماعة كئيبة وفي النهاية توقفا عن المسير وأخذا يرقبان البقرة وهي تختفي تدريجيًا في ظلال شجيرات العليق المتاخمة.

وهكذا اختفت (كورديرا) إلى الأبد.

انفجرت (روزا) بالبكاء وهي تصرخ: "وداعًا يا (كورديرا)، وداعًا يا (كورديرا)".
وكرر (بنيين) وصوته يختنق بالعاطفة "وداعًا" ثم ضاع ندبه الحزين بين أصوات الليل
الأخرى.

وفي صباح اليوم التالي الباكر ذهب (بنيين) و(روزا) إلى مرج (سومونتي) فلم تكن
وحشة في يوم من الأيام شديدة الوطأة عليهما كذلك اليوم، وبدا لهما كأنه صحراء قاحلة.
وفجأة ظهر دخان عند فم النفق، ثم أتى القطار، فشاهدنا قطيعًا من الأبقار وقد حشد
حشدًا مكتظًا في عربة تشبه الصندوق اخترقت جوانبه نوافذ ضيقة.

فهز الطفلان قبضتهما نحو القطار وهما أكثر يقينًا من أي وقت مضى بنهم العالم
وجشعه "إنهم يأخذونها إلى الذبح". "الوداع يا (كورديرا)". "الوداع يا (كورديرا)"
و ألقى (بنيين) و(روزا) نظرة كراهية نحو القطار وعمود (التلغراف)، رمزي العالم القاسي
الذي سلبهما رفيقة سنوات عدة لمجرد إشباع شهواته الشرهة.

"وداعًا يا (كورديرا)".

"وداعًا يا (كورديرا)".

كلمات

كان السَّيِّد (بلوشال) جامعًا للكلمات. لقد بدأ بفعل ذلك حين كان في السادسة والخمسين من عمره، بعد قراءته لمجموعة مختارات من القصائد للمرّة الأولى. كان كتابًا صغيرًا ذا غلاف ورقيّ على غلافه زهرة بنفسجية، رغم أنّ الزّائحة التي تفوح من الكتاب كانت تتنافى مع هذه الصّورة، فقد كان للكتاب رائحة كريهة تَبْنَة كالتّي تتسلّل إلى الكتب بعد قضائها وقتًا طويلًا في قُبُو الكتب المستعملة.

كان من الممكن ألا يشتري السَّيِّد (بلوشال) المجموعة الشعريّة. ورغم أنّه كان يتردّد بانتظام على متاجر الكتب إلاّ أنّه نادرًا ما اشترى كتبًا. وعندما يفعل كانت كتبًا من نمط مختلف تمامًا، لقد كان يمتلك مكتبة صغيرة في منزله، تتألّف بشكل أساسي من الكتيّبات حول الاعتناء بالنباتات المنزليّة مثلًا، ولم يكن لديه أيّ نبتة، لكنّه يعدّ نفسه مطلّعًا كثيرًا على الموضوع، أو كتيّب عن القطط، ولم تكن لديه قطّة؛ لأنّه يعاني حساسيّة من فرائها. ولكنّ إن سألّه أحدهم فسيتمكّن من تقديم نصائح كثيرة مفيدة، كما كان لديه كتيّب عن صيانة المجمّدات وإصلاحها، وفي الحقيقة لم يكن بحاجة إلى مجمّدة، لكن المعرفة كانت أمرًا يستحقّ العناء.

لقد قرّر شراء المجموعة الشعريّة من أجل زهرة الغلاف، فقد كان يعرف باعتباره خبير نباتات أنّ زهرة كهذه ليست موجودة، وكان هذا سرّ إغوائها له. أخذ الكتاب إلى المحاسب بشيء من الاضطراب، فقد بدا من غير اللائق لرجل في عمره أن يظهر اهتمامًا بالشعر الرّومانسيّ، ومن حسن حظّه أنّ البائعة لم تنظر إلى الغلاف، واكتفت بالنظر إلى السعر، وتناولت التّقود التي أعطها لها.

كان يعرف القليل عن الحبّ بالطبع، ولم يكن ذلك من واقع خبرته الشخصيّة، لكن هل كان ذلك ضروريًا؟ يولد الناس غالبًا بوعي كهذا، ولا يمكن للمرء أن يكون بغير هذا الشكل، حين بدأ بقراءة الكتاب عاوده الإحساس بالتوتر، رغم أنّه كان يقرؤه وحيدًا، حتّى إنّّه احمرّ خجلًا، وشعر بالزّاحة عندما وجد أنّ المجموعة الشعريّة يمكن اعتبارها كتيّبًا عن الحبّ، وعندها أصبح كلّ شيء أكثر سهولة وبهجة.

أصابته الدهشة عندما وجد أنّ الكلمات في الكتاب قد فُتتْهُ أكثر من الأحاسيس التّاعمة السّامية، ثمّ أدرك فجأةً أمرًا كان قد فاتته الانتباه إليه قبلاً. الكلمات الجديدة موجودة، ولم تكن خاصّة أو نادرة بالضرورة، بل كانت كلمات عاديّة، يمكن العثور عليها في كتب أخرى أيضًا، لكنّها لسبب أو لآخر لم تُبْدُ جميلة في الكتيّبات أو ربما لم تلتقط عيناه جمالها.

كلما قرأ أكثر، كان الخوف يغمره أكثر من فقدان شيء ما.

كانت الكلمات التي يخلفها وراءه عندما يقلّب الصّفحة تشحب وتختفي، وتظهر أخرى جديدة لتحلّ محلّها. لكنّ هذا لم يكن عزاءً كافيًا له، كان عليه الاحتفاظ بالسّابقة بطريقة ما، إذ ليس من المعقول أن يدعها تختفي. كان بإمكانه العودة من أجلها طبعًا، لكنّه لن يتمكّن من إنهاء الكتاب أبدًا. لا، عليه أن يجد حلًّا أفضل، فلمعت في ذهنه فكرة ملهمة. اشترى دفترًا ضخمًا مسطرًا ذا غلاف جلديّ، لا بدّ أن يكون دفترًا رائعًا ليفي بالعرض، ويكون مستودعًا للكلمات الجميلة، فكيف يمكنه كتابتها في دفتر عاديّ؟ سيكون ذلك تديسًا لها.

عاد إلى أوّل المجموعة وهو يحمل الدّفتر مفتوحًا أمامه، وكلّما صادف كلمة جميلة دوّنها سريعًا بقلم الجبر خاصّته، لم يكن مصنوعًا من الذهب حقًا، لكن من الصّعب بلوغ الكمال.

كان خطّه أنيقًا، ولم يكن مزخرفًا بل مدروسًا وصارمًا بعض الشيء، كان جميلًا بطريقته، وهو ما كان لازمًا فحسب لتدوين الكلمات الجميلة، ليس تظليلها بل الانسجام معها، كان يكتب عادة بخطّ كبير، لكنّه جعل خطّه أصغر لهذه المناسبة احتياطيًا، فهو لا يعرف مقدار الكلمات الجميلة التي سيعثر عليها، لقد كان الدّفتر سميّكًا، لكن عليه أن يكون حذرًا.

لم تُواتِه الشّجاعة لرؤية النتيجة حتّى فرغ من كتابة كلّ الكلمات الجميلة في المجموعة، هل ستحتفظ بجمالها في دفتره أم ستفقد كما حدث في الكتيّب؟ تنفّس الصّعداء وهو يحمل الدّفتر إلى مسافة قصيرة، عندما تأمل عن كُتب الصّفحات الأربع المملوءة، لم يكن جمالها كاملاً فحسب، بل بدا أنّه تعاضم أيضًا، وكان هذا غالبًا بسبب وجود الكلمات

الجميلة وحدها هناك، دوناً عن الأخرى التي لم تكن قبيحة تماماً، لكنها ليست مميزة بأي شكل. كان الدفتر جمالاً مركّزاً. تساءل بعد أن أنهى المجموعة: ما الذي سيفعله تالياً؟ لم يكن الدفتر قريباً من الامتلاء، بل بدا كأنه بالكاد لمس، فهل سيتركه هكذا؟ سيبدو الأمر كما لو أنه اقتطع جزءاً من الجمال فقط. لا، عليه المتابعة، فلا بد أن هنالك كلمات جميلة، تستحقّ كلّها أن تكون في مكان واحد، لكن أين يتعيّن عليه البحث عنها؟

أول ما يتبادر إلى ذهنه طبعاً كان مجموعة أخرى من القصائد، لا يمكن أن يكون مخطئاً. لقد قال في نفسه: إن الكلمات الجميلة تحظى بتعبيرات رائعة في القصائد، لكنّه إن واصل شراء هذا النوع من الكتب، فسرعان ما سيفتضح أمره، يمكن لمجموعتين أو ثلاث أن تمرّ دون انتباه، لكن ثلاثمائة وخمسة وثلاثين -العدد الذي رآه في فهرس المكتبة العامة- سيثير السخرية بلا شك. لا، عليه أن يفكر بأمر آخر، ولمعت في ذهنه فكرة ملهمة ثانية.

من قال إن الكلمات الجميلة توجد في القصائد فقط؟ لا بدّ أنها توجد في كتب أخرى، ولم لا تكون في الكتيّبات أيضاً؟ لقد صار خبيراً بما يكفي لإدراك حقيقة رائعة؛ إن الكلمات الجميلة في كلّ مكان، وليست البراعة في اختيار الكتب بل في اكتشاف الكلمات، عليك أن تتمتع بعين ثاقبة تلتقطها.

كان قد ارتاب في امتلاكه للمهارة، وكانت هنالك طريقة سهلة للتحقق من الأمر، و جذب أول كتيب وقع في متناول يده وفتح. في تلك اللحظة كان قد أعماه وهج الكلمات الجميلة كما لو أن أحدهم ظلّلها بقلم مشعّ، ولم يستطع مقاومة الرغبة في فتح دفتره والبدء بتدوينها. كان التفكير هو ما أوقفه، شيء جعله يشعر بالفخر بحق، لا يمكن للمرء أن يكون عفويّاً جداً، فإلى أين سيأخذه ذلك؟ سرعان ما استولى عليه التثويش، لا بدّ أن يكون حازماً ومنهجياً، وبعد التفكير في الظروف، عثر على الحلّ الذي هبط عليه مثل الوحي.

نازعتة قليلاً فكرة تمزيق الصفحات الأربع الأولى من الدفتر حتى يتمكن من البدء من جديد، لكنّه تخلّى عنها. لا يمكنه بدء مشروع مهمّ كهذا في دفتر ممسوخ؛ لذا سيتعيّن عليه شراء دفتر جديد، سيكون هذا ملائماً، اختار أكبر دفتر وجدّه، لقد كان يتمتّع بميزة رائعة، ذلك أنه حوى شريطاً منزلقاً يتيح له تعيين الصفحة حيث توقّف عن القراءة أو

الكتابة.

كان القاموس الضخم يتألف من ستة عشر مجلداً، وعندما فتح الأول صافح عينيه سزباً من الكلمات الجميلة المتألقة، ولم يفرغ من حجم ما ينتظره مستقبلاً؛ فقد كان -على أية حال- متأهباً لذلك تماماً، لم يدُرْ بِخَلْدِهِ أَنَّهُ سيجد أيّ طريق مختصرة، فمهما كان الوقت الذي سيحتاجه لكتابتها كلها، فإنه سيفعل ذلك على نحو متكافئ؛ لأنّ ما ينتظره مستقبلاً كان فرحاً وليس معاناة. حقاً، ما الذي سيكون أكثر بهجة من تدوين الجمال؟

عندما أنهى السيّد (بلوشال) عمله أخيراً كان قد تجاوز السادسة والخمسين بكثير، لكنّ ذلك لم يقلل إحساسه بالرضا والإنجاز.

في المقابل ما عدد الأشخاص الذين يستطيعون القول إنّ حياتهم لم تكن عبثاً؛ لأنّهم التقطوا الجمال؟ ظلّ هنالك أمر واحد عليه القيام به، فقد كانت هناك مساحة متبقية تكفي لكلمتين أخريين فقط في أسفل الصفحة الأخيرة من الدفتر الممتلئ عن آخره، فرقق خطّه للمرّة الأولى منذ أن بدأ الكتابة، ما زال صارماً لكنّه كان ناعماً وسخيّاً أيضاً، كما يفترض بالتّوقيع أن يكون. دخل الدفتر وسحب الغلاف الخلفي وراءه، كما لو أنّه كان يرخي جفناً ثقيلاً.

منزل للبيع

فوق الباب، باب خشبي واهي المفاصل، يدع رمل الحديقة الصغيرة يختلط بتربة الطريق على بسطة من الأرض. كانت لافتة معلقة منذ أمد بعيد، ساكنة في شمس الصيف، معذبة تمكو¹ في ريح الخريف، عليها: (منزل للبيع) ولعلها كانت تقول أيضًا: (منزل مهجور)، فقد كان الصمت يكتنف الدار.

ولكن امرأً كان يقيم هناك. فإن دخانًا خفيضًا مزرقيًا يصعد من آجر المدخنة الذي يعلو الجدار قليلًا، كان ينم عن حياة خفية، متكتمة، حزينة كهذا الدخان الذي ينبعث من نار الفقراء. ثم من خلال ألواح الباب المزعزعة، ما كنت تحس الإهمال والخواء، وهذا الجو الذي يسبق ويعلن بيعًا أو رحيلاً، بل كنت ترى ممرات مستقيمة التخطيط وعُرشًا مستديرة مشدّبة، ومساقى بجوار الحوض، وأدوات بستاني مسندة إلى البيت الصغير. لم يكن ذلك الربع سوى بيت من بيوت الفلاحين، يتوازن على هذه الأرض المنحدرة بسلم صغير قد نحى الطابق الأول جهة الظل والطابق الأرضي جهة الجنوب. ومن تلك الجهة كان يخيل إليك أنه معمل من معامل الإنبات، فقد رصت على درجات السلم نواقيس زجاجية، وأصص فارغة مقلوبة، منضودة على الرمل الأبيض الساخن، وأخرى قد نما فيها (الجيرانيوم) و(الفرفين)، بيد أن الحديقة كلها، فيما عدا شجرتين أو ثلاثا من شجر السرج الفارع، كانت تحت وهج الشمس. وكانت تمتد في النور الساطع مروحة من أشجار الفاكهة، قائمة على أسلاك حديدية، أو معروشة، وقد انتزعت بعض أوراقها، إعدادًا للثمرة ليس غير، كما اصطفت أيضًا أغراس من الشليك وأغراس من البازلء تتسلق قضبانًا طويلة مثبتة في الأرض. وفي وسط هذا كله، وسط هذا النظام وهذا الهدوء، كان رجل عجوز ذو قبة من الخوص يجوس خلال المسالك طول النهار، يروي في الساعات الرطبية، ويقطع، ويشذب الأغصان، ويسوي الأفاريز.

هذا الشيخ لم يكن يعرف أحدًا في البلد، ولم يكن يطرقه زائر قط - اللهم إلا عربية الخباز التي كانت تقف بكل باب في شارع القرية الوحيد - وأحيانًا كان يرى اللافتة عابر

(1) تمكو: تصفر، تصدر صفيرًا.

من الناس يلتمس قطعة من أراضي السفح هذه الغنية الخصبة التي تمنح بساتين جميلة، فيتوقف. يقرع أول الأمر، فإذا البيت أصم. ثم يقرع ثانيًا، فيدنو من أقصى الحديقة وقع (قباب) في بطاء وتؤدة، ويوارب الشيخ بابه متجهم الوجه:

- ماذا تريد؟

- هل المنزل للبيع؟

فيجيب الرجل الطيب القلب في جهد:

- نعم... ولكنني أقول لك مقدمًا إنهم يطلبون عنه ثمنًا غاليًا جدًا...

وكانت يده المتأهبة لإغلاق الباب تسده عليك. وكانت عيناه تطردانك، فما أشد ما كانتا تظهران من السخط، وكان يظل هناك قائمًا كالفارس على حراسة أحواضه وخضره وفنائ الصغير المفروش بالرمل. وإذ ذلك كان الناس يتابعون سبيلهم وهم يسألون أنفسهم: من تراه يكون هذا المخبول الذي عرضوا له؟ وأي جنون هذا الذي يحمله على الإعلان عن بيع منزله بهذه الرغبة الملحة في الاحتفاظ به؟

وأخيرًا وضح لي هذا السر. ذات يوم، وأنا مار أمام البيت الصغير، سمعت أصواتًا ثائرة، صخب مناقشة حامية:

- يجب البيع يا أبتاه، يجب البيع... لقد وعدت بذلك...

- وصوت الشيخ متهدج مرتعش يقول:

- فإني يا أولادي لا أطلب أفضل من البيع... أما ترون؟ لقد وضعت الالافقة.

وهكذا علمت أن هؤلاء هم أبنائه وكنائه، تجار من صغار أصحاب الحوانيت في (باريس)، يحملونه على أن يتخلص من هذا الركن الحبيب لأي سبب! هذا ما كنت أجهله. أما المؤكد فهو أنهم بدؤوا يلمسون أن الأمر قد طال، وأن الشيخ يماطلهم، ومنذ ذلك الوقت، أقبلوا بانتظام، يوم الأحد حين تستريح الأرض ذاتها من كونها قد حرثت وبذرت طوال الأسبوع، كنت أسمع ذلك جليًا، كان التجار الصغار يتحدثون، ويتجادلون فيما بينهم وهم يلعبون لعبة البرميل، وكانت كلمة النقود ترن رنينًا جافًا كهذه الأقراص التي يقذفونها. وفي المساء كانوا جميعهم يرحلون، وكان الرجل الطيب القلب، بعد أن يرافقتهم في الطريق

بضع خطوات يعود مسرعاً فيغلق من جديد بابه الغليظ سعيداً مبتهجاً وقد ظفر بمهلة أمامه لمدة أسبوع. ويستعيد البيت سكونه، ويظل ساكناً ثمانية أيام، فما تسمع في الحديقة الصغيرة التي تلفحها الشمس إلا صوت الرمل يسحقه وطء قدم ثقيلة أو تجرفه المجرفة.

على أنهم من أسبوع إلى أسبوع راحوا يضيقون الخناق على الشيخ. ولم يدخر التجار الصغار وسيلة من الوسائل، أحضروا الأحفاد لإغرائه: (أترى يا جدنا حين يباع البيت ستأتي لتسكن معنا. وكم سنكون سعيدين معاً!) ثم كانت أحاديثاً متفرقة يلقيها كل امرئ لنفسه في ركن من أركان البيت على حدة، ومشياً خلال ممرات الحديقة لا يقف عند حد، ومسائل حسابية يجريها بصوت مرتفع. وذات مرة سمعت إحدى البنات تصيح:

- هذا الخص¹ لا يساوي مائة سو²... إنه خليق بأن يهدم.

وكان الشيخ يصغي دون أن يقول شيئاً. كانوا هم يتكلمون عنه كأنه قد مات، وعن داره كأنها قد هدمت بالفعل. فكان يتجنبهم ويمشي، أحذب الظهر، والدموع ملء عينيه، ملتسماً كعادته غصناً يشدّبه أو ثمرة يعنى بها في أثناء مروره، وإنك لتحس أن حياته قد تغلغت جذورها في هذا الركن الصغير من الأرض تغلغلاً لن يبعث فيه القدرة على اجتثاث نفسه منه. والحق أنه كان- مهما تفننوا في إغرائه- يرجئ دائماً لحظة الرحيل. في الصيف حين تنضج هذه الثمار التي يوحى إليك مذاقها الحمضي بعض الشيء بأن السنة ما زالت في نضرتها وريعانها، ثمار الكرز، والبرقوق، والمشمش، كان يقول:

- لنتظر المحصول... سأبيع بعده مباشرة.

وبعد المحصول، بعد انقضاء موسم الكرز، يأتي موسم الخوخ، ثم العنب، وبعد العنب تأتي ثمار (النيفل) السمراء الجميلة التي يكاد المرء يجنيها تحت الجليد. وحينئذ يصل الشتاء فيسود الريف، وتخلو الحديقة. الآن لا مارة، ولا شراة، بل ولا التجار الصغار يوم الأحد، وإنما ثلاثة أشهر عريضة من الراحة لإعداد البذار، وتقليم الفاكهة، بينما تتأرجح على الطريق اللافتة الباطلة، وقد قلبها المطر والريح.

وعلى مر الأيام، فرغ صبر الأبناء، واقتنعوا بأن الشيخ كان يبذل كل ما في وسعه

(1) الخص: بيت من قصب أو من أغصان الأشجار.

(2) سو: قطعة بازل.

لإقضاء المشترين، فاتخذوا قرارًا حاسمًا. قدمت إحدى الكنات واستقرت بجانبه، وتلك امرأة صغيرة من نساء الدكاكين حالية منذ الصباح، بارعة في إظهار الحفاوة وتكلف الرقة والتلطف في المجاملة براعة الذين اعتادوا التجارة. وكأن الطريق قد أصبح ملكها. فقد كانت تفتح الباب على مصراعيه، تتحدث وتلغو، وتبتسم للمارة كأنما تقول لهم:

- ادخلوا... انظروا... إن المنزل للبيع!

ولم تعد للشيخ المسكين مهلة بعد ذلك. أحيانًا كان يحاول أن ينسى أنها هناك، فينصرف إلى قلب حياضه وبدرها من جديد، كهؤلاء الناس الذين يوشكون على الموت ويحبون القيام بمشروعات ليخدعوا مخاوفهم. ولكن البائعة كانت تتبعه طيلة الوقت وتنغص عليه.

- دع! ما انتفاعك بهذا؟.. أو من أجل سواك تجشم نفسك كل هذا التعب؟

فما كان يجيبها، وإنما كان ينكب على عمله في عناد غريب. إن ترك حديقته لعين الإهمال، معناه فقدانها بعض فقدان منذ ذلك الوقت، وبدء انفصاله عنها. ولهذا ما كنت تجد في الممرات عودًا واحدًا من العشب، ولا في شجيرات الورد غصنًا طفيلاً.

وظل البيت معروضًا للبيع، ولكن الشراة لم يتقدموا. ذلك أن الحرب قد نشبت. وعبثًا ثابتت المرأة على فتح بابها، وإرسال النظرات المعسولة إلى الطريق، فلم يكن يمر غير النازحين عن الأرض ولم يكن يدخل إلا الغبار. واشتد غيظ السيدة من يوم إلى يوم، ولا سيما وقد كانت أعمالها في (باريس) تستدعيها: كنت أسمعها توسع حماها لومًا وتأنيبًا، وتقسو في الهجوم عليه، وتحبط الأبواب، وأما الشيخ فكان يحني ظهره دون أن يقول شيئًا، ويتعزى إذ يبصر بازلاء الصغيرة تنمو، واللافتة معلقة في مكانها دائمًا: (منزل للبيع).

وفي هذا العام، عندما وصلت إلى الريف وجدت المنزل، وعرفته ولكن واحسرتاه لم تكن اللافتة هناك! كانت إعلانات ممزقة بالية لم تبرح عالقة بأوجه الجدران. لقد قضى الأمر، وباعوه!.. ومكان البوابة الرمادية الكبيرة أصبح بابًا أخضر حديث الطلاء، تعلوه عتبة مستديرة، وتفتح فيه نافذة ذات قضبان تلوح من ورائها الحديقة. ولم تعد الحديقة ذلك البستان الذي كنت أعده هناك قديمًا، بل غدت خليطًا بورجوازيًا من السلال، والخضرة، ومساقط الماء وصورة لهذا كله تنعكس على كرة معدنية تتأرجح أمام الدرج. وفي هذه الكرة، بدت الممرات صفوفًا من الأزهار الزاهية، وامتد شكلان في كثير من المبالغة

والتهويل: رجل سمين أحمر، غارق في عرق غزير، غائص في كرسي من كراسي النزهة الخاوية، وسيدة ضخمة لاهثة الأنفاس، تصبح وهي تطرح مسقاة بيدها:

- لقد دفعت ثمنًا للبلسمين أربعة عشر؟

وكانوا قد شيدوا طابقًا، وجددوا السياج، وفي هذا الركن الصغير المستطرف الذي مازالت تفوح منه رائحة الطلاء، كان (بيانو) يعزف ملء الريح مقطوعات صاحبة شائعة وأحيانًا جذلي مما ترده حلبات الرقص العامة. وهذه الأنغام الراقصة التي كانت تنطلق إلى الطريق نابضة حارة مختلطة بقتام (يولية) الكثيف، وعجيج تلك الأزهار الضخمة، والسيدات الضخمت، هذا المرح الفياض الغامر، هذا المرح السوقي المبتدل، كان يقبض قلبي.. كنت أفكر في الشيخ المسكين الذي كان يتمشى هنا راضيًا وادعًا سعيدًا، ثم أتمثله في (باريس)، وقبعة الخوض على رأسه، وحديقة البستاني العجوز في ظهره، هائمًا في أعماق دكان ما، ضيقًا بأمره، حييًّا، مسحونًا بالدموع، بينما تتبوأ زوجة ابنه الظافرة خزانة جديدة، ترن فيها قطع ذهبية هي ثمن البيت الصغير.

ينبوع الشباب (ناثانيل هوثورن)*

دعا رجل فريد في زمانه يدعى الدكتور (هايديغر) أربعة من أصدقائه المحترمين ليجتمعوا إليه في مكتبه؛ كان ثلاثة منهم رجالاً ذوي لحى بيضاء، هم السيد (مدبورن)، والكولونيل (كيليجرو)، والسيد (غاسكون)، والرابعة سيدة مسنة ذاوية تدعى الأرملة (ويشرلي).

كانوا جميعهم مسنين ذوي مزاج سوداوي، تعساء في حياتهم، مصيبتهم الكبرى في الحياة أنهم لم يواروا في قبورهم منذ زمن طويل؛ كان السيد (مدبورن) إبان شبابه تاجرًا ناجحًا، ولكنه أضاع كل ما يملكه في مضاربة جنونية حيث أصبح الآن لا يفضل المتسولين إلا قليلاً. أما الكولونيل (كيليجرو) فقد أتلّف أحسن سنيه وصحته وكل ما يعيش عليه في مطاردة الملذات، حتى سببت له سلسلة من الآلام كداء النقرس، وما إليه من أوجاع تعذب الجسد والروح معًا. ولكن السيد (غاسكون) كان سياسيًا فاشلاً مقضيًا عليه، ورجلاً ذا شهرة سيئة، أو على الأقل كان ذلك حتى طمره الزمان من معرفة الجيل الحاضر، وجعله مغمورًا إضافة إلى أنه سيء السمعة.

أما الأرملة (ويشرلي) فقد أثر عنها أنها كانت ذات جمال فتان في شبابها، ولكنها لزمّن طويل مضى عاشت في عزلة، مما جعل الطبقة النبيلة في البلدة تتحامل عليها. ومما هو جدير بالذكر أن كلاً من هؤلاء الثلاثة: (السيد مدبورن، والكولونيل كيليجرو، والسيد غاسكون) كان يتوودد للأرملة (ويشرلي)، وأن كلاً منهم كان مرة على وشك أن يفتك بالآخر بسببها.

وقبل أن أتابع قصتي أود أن ألمح أن الدكتور (هايديغر) وضيوفه الأربعة قد قيل عنهم جميعًا إنّ عقولهم ليست على مستواها الطبيعي تمامًا، وهذا ليس نادرًا مع أناس مسنين مثقلين إما بمنغصات الحاضر أو بذكريات تعاسة ماضية.

قال الدكتور (هايديغر) وهو يشير إليهم بالجلوس: "إنني أرغب يا أصدقائي القدامى أن

* كاتب أمريكي (1801-1864).

تساعدوني في تجربة من تلك التجارب التي امتع نفسي بها هنا في مكتبي".

إذا صدقت كل الروايات، فإن مكتب الدكتور (هايديغر) يجب أن يدعو إلى الاستغراب جدًا. فهو غرفة معتمة على الطراز القديم، موشاة بأنسجة العنكبوت ومنشورة بأغبرة أثرية. وحول الجدران قامت عدة مكاتب من خشب البلوط، اكتظت رفوفها السفلى بصفوف من مجلدات ضخمة بأحرف سوداء. وفوق المكتبة الوسطى وقف تمثال نصفي من البرونز لأبي الطب أبقراط الذي -بموجب مصادر يوثق بها- كان من دأب الدكتور (هايديغر) أن يأخذ بمشورته في جميع القضايا الصعبة من تجاربه، وفي أظلم زاوية من الغرفة انتصبت خزانة عالية ضيقة من السنديان، بابها مفتوح نصف فتحة، يطل من خلالها هيكل عظمي، وبين المكتبتين علقت مرآة صفحتها الصقيلة مغبرة، وهي في إطار مذهب متسخ. ومن بين الحكايات العجيبة العديدة التي راجت حول هذه المرآة خرافة تقول: إن أرواح المرضى الذين ماتوا على يد الدكتور سكنت في نطاقها؛ لتحلق في جهة كلما ألقى نظرة عليها، وفي الجهة المقابلة من الغرفة انتصبت صورة مزخرفة في الحجم الطبيعي لفتاة في ريعان الشباب في حلة من الحرير والأطلس والقماش المشجر، ذهب بهاؤها كما ذهب بهاء محياها.

قبل أكثر من نصف قرن كان الدكتور (هايديغر) على وشك الزواج من هذه الفتاة الشابة، ولكنها ماتت عشية زفافها. والآن بقي هناك شيء واحد مما يشير أشد الاستغراب، مجلد ضخمة ثقيل مغلف بجلد أسود مكسو بشبكة فضية ضخمة، لم تكن هناك أية كتابة على ظهره، ولا أحد استطاع أن يتكهن بعنوان الكتاب.

هكذا كان مكتب الدكتور (هايديغر). وفي عصر ذلك اليوم الصيفي من قصتنا هذه، انتصبت مائدة صغيرة مستديرة، سوداء كالأبنوس، في منتصف الغرفة، عليها إناء زجاج صخري بديع الشكل والصنع، ودخلت أشعة الشمس من الشباك من فرجة ستار من الدمقس حائل اللون مزركش الحواشي، ونفذت مباشرة خلال هذا الإناء، فانعكس منه بهاء لطيف على محيا الأشخاص الخمسة الرمادية الجالسين حوله. وكانت هناك أربع كؤوس خالية، وُضعت أيضًا على المائدة.

كرر الدكتور (هايديغر) قائلاً: "يا أصدقائي المسنين هل لي أن اعتمد على مساعدتكم

في إنجاز تجربة في غاية الغرابة؟"

كان الدكتور (هايديغر) متقدماً في العمر غريب الأطوار جداً، حتى أصبح نواة لألف حكاية عجيبة، وبعض هذه الأساطير، أقصها وكلي خجل، ترجع إلى طبيعتي الصدوقة، وإذا كان في القصة الحالية ما يزعزع إيمان القارئ، فحسبي أن أوصم بأنني مروج خرافات! عندما سمع ضيوف الدكتور الأربعة عن التجربة المرتقبة، لم يتوقعوا شيئاً عجيباً أكثر من قتل فأر بمضخة هوائية، أو فحص نسيج عنكبوت بالمجهر، أو عبث مشابه كان دوماً معتاداً أن يقدمه إلى أصدقائه المقربين، ولكن دون أن ينتظر منهم جواباً هرول الدكتور في مشيته المقلقة عبر الغرفة، ثم رجع بذلك المجلد الثقيل الضخم المغلف بجلد أسود، وبعد أن فك المشابك الفضية فتح المجلد، وأخذ من بين ثنايا صفحاته ذات الأحرف السوداء وردة، أو ما كان من قبل يدعى وردة، أخذت أوراقها الخضراء ووريقاتها القرمزية لوناً بنياً، وبدت الوردة قديمة وكأنها تتفتت بين يدي الدكتور.

قال الدكتور (هايديغر) وهو يتنهد: "هذه الوردة هذه الوردة الذابلة المتداعية أينعت قبل خمس وخمسين سنة، كانت قد أهديت لي من (سلفيا) التي ترون صورتها معلقة هناك، وكنت قد نويت أن أزين بها صدري يوم زواجنا، ولقد احتفظت بها لخمس وخمسين سنة بين أوراق هذا المجلد العتيق، والآن، هل تعتقدون أن هذه الوردة، بعد مرور نصف قرن عليها، من الممكن أن تينع مرة أخرى؟"

فأجاب الدكتور (هايديغر): "انظروا!"

وكشف الإناء ورمى الوردة المتبيسة في الماء الذي يحتويه، طفت الوردة من البداية على وجه السائل، وبدت كأنها تمتص شيئاً من رطوبته، ولكن لم تمض برهة حتى بدا عليها تغيير عجيب؛ لقد تحركت الوريقات الجافة المضغوطة، وبدأت تتخذ لوناً قرمزيًا يغمق بالتدرج، كأنما الوردة تنتعش من سبات أشبه بالموت، الساق الرشيق وعروق الأوراق أصبحت خضراء. وهناك بدت وردة نصف القرن يانعة... ولكنها لم تكن في كمال التفتح.

فقال أصدقاء الدكتور بعدم اكتراث: حقاً، إن هذا الخداع لطيف جداً. "وذلك لأنهم سبق أن شاهدوا أعاجيب أعظم من هذه في حفلات الحواة، ولكنهم أردفوا قائلين: "ولكن بحقك أخبرنا كيف أنجزت هذا؟"

فسألهم الدكتور (هايديغر): "ألم تسمعوا مطلقاً بينوع الشباب الذي بحث عنه (بونس دي ليون) المغامر الأسباني لقرنين أو ثلاثة قرون خلت؟"

فقالت الأرملة (ويشرلي): ولكن هل وجدته (بونس دي ليون)؟

قال الدكتور: كلا؛ لأنه لم يبحث عنه مطلقاً في المكان الحقيقي، وإذا كنت على صواب فإني أعتقد أن ينبوع الشباب يقع في القسم الجنوبي من شبه جزيرة فلوريدا، ليس بعيداً من بحيرة (ماكاكو)، تكتنف منبعه ظلال بضع أشجار هائلة من المنغوليا، وهذه الأشجار رغم أن عمرها قرون لا تحصى فإنها قد احتفظت بنضارة البنفسج؛ وذلك بما لهذا الماء العجيب من مزايا، والماء الذي ترونه في الإناء أمامكم أرسله إلى أحد أصدقائي الذين يعلمون شغفي بأمور كهذه".

فقال الكولونيل (كيليجرو) الذي لم يصدق كلمة واحدة من حكاية الدكتور: "إحم! ولكن ما هو تأثير هذا السائل على الجسم البشري؟"

فأجاب الدكتور: "ستحكمون على هذا بأنفسكم، وإني أرحب بجميعكم يا أصدقائي المبجلين لتنهلوا من هذا السائل قدرًا كافيًا يعيد إليكم ريعان الشباب، غير أنني، نظرًا لما تجشمته من مشاق عديدة حتى بلغت هذا العمر، لست على عجل في رجوعي إلى الشباب ثانية، ولذا أستمحكم عذرًا، فإني سأرقب سير عملية التجربة فقط".

وبينما كان الدكتور (هايديغر) يتكلم كان يملأ الكؤوس الأربعة بماء ينبوع الشباب، ويبدو أن الماء كان مليئًا بغاز فوار، إذ كانت فقائيع صغيرة تصعد باستمرار من أعماق الكؤوس، وتنفجر برشاش فضي على سطحه، ونتيجة للرائحة الطيبة التي فاحت لم يشك الأشخاص المسنون في أن له خواصَّ مريحة تنعش القلب، ورغم أنهم كانوا في منتهى الشك من ناحية قوته على إرجاع الشباب، فقد تشوقوا إلى عبّه مرة واحدة. ولكن الدكتور (هايديغر) رجاهم أن ينتظروا لحظة.

وقال: "يا أصدقائي المحترمين، إنه لمن المستحسن قبل أن تشربوا -ولكم خبرة حياة كاملة ترشدكم- أن تأخذوا ببضع قواعد عامة تقودكم في السير مرة ثانية عبر مخاطر الشباب؛ ففكروا في الخطيئة والعار اللذين سيلحقان بكم وقد حزتم على الامتيازات الفريدة التي ستكتسبونها، إذا لم تصبحوا نماذج للفضيلة والحكمة لشباب العصر جميعهم".

لم يُفقهُ أصدقاء الدكتور الأربعة بأي جواب- اللهم- سوى ضحكة مرتعشة ضعيفة، لقد كانت الفكرة سخيفة جداً، إنهم سيشطون مرة أخرى وهم يعرفون ما أقرب خطوات الندامة إثر خطوات الزلزل.

قال الدكتور وهو ينحني: "اشربوا إذن، وكم يسرني أنني وقفت بانتقاء الأشخاص لتجربتي هذه".

وبأيدي مشلولة رفع الأربعة الكؤوس إلى شفاههم، وإذا كان الشراب يمتلك تلك المزايا التي أسبغها الدكتور (هايديغر)، لم تكن هناك مخلوقات أربعة بحاجة إليه أكثر منهم، كان مظهرهم يدل كأنهم لم يعرفوا الشباب مطلقاً، كأنهم نتاج مجتمع خريف، أناس شيب أبداً، تعيشون دائماً، عاجزون، جفت عصارة الحياة في عروقهم، يجلسون الآن منحنيين حول مائدة الدكتور دون حياة كافية في أرواحهم أو أجسامهم تنتعش حتى بفكرة رجوعهم إلى الشباب، كرعوا الماء، وأرجعوا كؤوسهم إلى المائدة.

لقد بان تحسناً فوري لا شك فيه على سيماء الجماعة، مصحوباً بتوهج فجائي كالذي تحدثه أشعة الشمس؛ تألقت وجوههم مرة واحدة، وسرى في وجناتهم احمرار الصحة والعافية، عوضاً عن ذلك اللون الرمادي الذي كان يظهرهم كالأموات، ونظر كل منهم في وجه صاحبه، وتخيل أن هناك قوة سحرية قد بدأت فعلاً في صقل الأخاديد العميقة التي حفرها الزمان من أمد بعيد على جباههم، فأخذت الأرملة (ويشلي) في إعادة وضع قبعتها من جديد؛ لأنها كادت تشعر أنها امرأة ثانية....

وأخذوا يهتفون بلهفة: "زدنا من هذا الماء العجيب! نحن أصغر الآن، ولكننا مازلنا هَرَمِين! أسرع وزدنا!"

فقال الدكتور (هايديغر) وهو جالس يرقب التجربة ببرود فلسفي: "صبراً.. صبراً.. لقد طال الزمان بكم حتى هرمتم، فمن الإنصاف أن تقنعوا بأن ترجعوا إلى الشباب في نصف ساعة فقط! ولكن الماء تحت تصرفكم".

فملاً كؤوسهم مرة أخرى بشراب الشباب، وقد بقي منه في الإناء ما يكفي لإرجاع نصف شبية المدينة إلى عمر أحفادهم، اختطف ضيوف الدكتور الأربعة كؤوسهم من على المائدة، وعبوا محتوياتها عبة واحدة، والفقاقيع تتلألأ على حوافها، أكان ذلك وهجاً؟ لقد

بدا والغبّة ماتزال تجري في حلوقهم أنها فعلت تغييرًا في كامل أبدانهم؛ غدت عيونهم صافية براقّة، وأخذ ظل قاتم في الاسوداد بين خصل شعرهم الفضي، وبدا حول المائدة ثلاثة رجال في منتصف العمر، وسيدة لم تكد تتجاوز عنفوان شبابها.

وصاح الكونويل (كيلغرو): "يا أرملي العزيزة، لقد غدوت شابة!" وبينما كانت عيناه مثبتتين على وجهها، كانت ظلال الشيخوخة تهرب منه كما تهرب الظلمة من احمرار الفجر.

وكانت الأرملة الجميلة تعرف من قديم أن إطراء الكولونيل لم يكن دائمًا يقاس بالحقيقة؛ ولهذا نهضت وركضت إلى المرأة وهي لا تزال ترتعب لئلا يلتقي نظرها بوجه دميم، وفي هذه الأثناء تصرف الرجال الثلاثة تصرفًا برهن على أن ماء ينبوع الشباب فيه بعض الخواص العجيبة، وما خلا الابتهاج الذي ملأ نفوسهم هناك دوار بسيط سببه زوال وقر السنين الفجائي. وبدا السيد (غاسكون) أن عقله انصرف إلى موضوعات سياسية، لكن بالماضي كانت تتعلق أم بالحاضر، أم بالمستقبل؟ لم يستطع أن يعرف بسهولة؛ لأن الأفكار والعبارات هي نفسها دائمًا خلال هذه السنين الخمسين، فأخذ يجمع بملء فيه جملاً عن البطولة، والمجد الوطني، وآخر راح يتفوّه بأشياء خطيرة بهمس ماكر ملؤه الشك والحذر، حتى كاد ضميره لا يستطيع معرفة ما في سره، ثم انقلب ليتكلم بنبرات موزونة ونعمة مليئة بالاحترام، كأنما كانت هناك أذن ملكية تصغي إلى تقلبات أحواله الحسنة، وفي هذه الأثناء كان الكونويل (كيلغرو) يثرثر، مغنيًا بمرح. وفي الناحية الأخرى من المائدة كان السيد (مدبورن) منهمكًا في حساب الدولارات والسننات، وخلط فيها خلطًا غريبًا مشروعًا لتزويد جزائر الهند الشرقية بالثلج، وذلك بسرج عدد من الحيتان إلى كتل الجليد القطبية...

أما الأرملة (ويشرلي) فإنها وقفت أمام المرأة منحنية تتكلف الابتسام لصورتها، وتحييها كصديقة أحبها أكثر من أي شخص آخر في الدنيا، واقتربت بوجهها من صفحة المرأة؛ لترى ما إذا كانت الأخاديد وغضون ما حول عينيها قد تلاشت بالفعل. وتفحصت إذا كان الثلج قد ذاب كله عن شعرها كي تستطيع أن تلقي بقبعتها المحترمة جانبًا. وأخيرًا التفت برشاقة، وراحت تمشي نحو المائدة وهتفت: "بحقك يا عزيزي الدكتور، مَن عليّ بكأس أخرى".

فأجاب الدكتور المضيف: "بكل تأكيد يا سيدتي العزيزة، بكل تأكيد! انظري لقد ملأت الكؤوس سلفاً".

وايم الحق لقد انتصبت هناك الكؤوس الأربعة مترعة من هذا الماء العجيب، ورشاشه الذي كان يتطاير عند فورانه يشبه بريق الماس. وكان قد اقترب غروب الشمس، وأمست الغرفة معتمة أكثر من أي وقت مضى، ولكن بهاءً رقيقاً أشبه بضوء القمر شع من داخل الإناء، واستقر على الضيوف الأربعة، وعلى قوام الدكتور المحترم، وقد جلس على كرسي عالي الظهر متقن الصنع والحفر، جليل الهيئة أشيب الرأس، يليق شكله بالرجل الذي لم يستطع أحد أن يناقش سطوته سوى هذه الجماعة المحظوظة. وبينما هم يكرعون ثالث جرعة من ماء ينبوع الشباب كاد يرهبهم تعبیر محياه الغامض، ولكن في اللحظة التالية انبثقت في عروقهم طفرة لذيذة من الحياة الجديدة، لقد أصبحوا الآن في أوج شبابهم السعيد، أما الشيخوخة، وبطانتها التعسة من هموم وأحزان وأمراض، فقد تذكرها كحلم مزعج، استيقظوا منه بفرح، وأضفى بريق الروح المشع الذي فقدوه باكراً، والذي من دونه تغدو مشاهدة الحياة المتتابعة مجرد معرض صور باهتة، أضفى بسحره على مشاريعهم المقبلة جميعها، لقد شعروا وكأنهم خلقوا من جديد في عالم جديد.

وراحوا يهتفون بنشوة: "نحن شباب! نحن شباب!"

والشباب كالشيخوخة يمحو خصائص الكهولة المنطبعة جميعها بقوة، ويستوعبها بتفاهم مشترك مع الشيخوخة، لقد أصبحوا الآن حلقة من الشباب اليافعين المرحين، وكادوا يجنون بخصب سنيهم النشطة، ولكن أكثر ما أحدثه مرحهم من تأثير فريد هو أنهم أخذوا يهزؤون من عجزهم وعاهاتهم التي كانوا ضحاياها لأمد قريب؛ ضجوا من الضحك على لباسهم ذي الطراز القديم، وعلى معطفهم الواسعة الجوانب وصداريهم المهدلة، وعلى قبعة الفتاة وفستانها، وراح أحدهم يعرج ماشياً في الغرفة كجد هرم مصاب بالنقرس، ووضع آخر نظارات على أنفه، وتظاهر بإمعان النظر في الأحرف السوداء على صفحات الكتاب، وجلس ثالث على كرسي ذي مساند وحاول جاهداً تقليد الدكتور (هايديغر) بجلسته المبجلة، ثم راحوا يزعقون بحبور، ويقفزون حول الغرفة. ومشت الأرملة - هذا إذا صح لنا تسمية فتاة غضة كهذه أرملة- بخفة ورشاقة إلى كرسي الدكتور ووجهها الوردى ينم عن مرح.

دخل الثلاثة في عراك شديد، وفيما هم يتأرجحون في صراعهم انقلبت المائدة، وسقط الإناء، وتحطم إلى ألف شظية، وانساب ماء الشباب الثمين يترقرق على أرض الغرفة، وقد أصاب جناحي فراشة طعنت في السن في أواخر الصيف، وكانت قد حطت هناك لكي تموت، فطارت الحشرة ترفرف بخفة في أجواء الغرفة واستقرت على رأس الدكتور (هايديغر) الأشيب.

وهتف الدكتور: يا سادة، يا سادة! وأنت يا سيدتي! يجب أن أحتج، وإيم الحق على هذا الشغب، فتوقفوا دون حراك وهم يرتعدون، وَخَيْلٌ إِلَيْهِمْ أَنْ الزمان الأشيب كان يناديهم ليرجعوا من شبابهم المشرق إلى وادي السنين السحيق القريير المظلم، ورمقوا الدكتور الجالس على كرسيه المنقوش، وهو ممسك بالوردة ذات الخمسين من العمر التي أنقذها من بين شظايا الإناء المحطم، وبإشارة من يده أخذ المشاغبون كل منهم مقعده باستعداد زائد؛ لأن جهدهم العنيف أنهكهم رغماً عن فتوتهم التي كانوا عليها.

وصاح الدكتور (هايديغر) وهو ممسك بالوردة على ضوء شمس الغروب التي حجبتهما الغيوم: يا لوردة (سلفيا) المسكينة! يظهر أنها أخذت تذبذب ثانية.

وهكذا كان، أخذت الوردة تدوي وتتقلص وهم يرمقونها إلى أن جفت وغدت قابلة للتفتيت مثلما كانت عندما ألقى بها الدكتور في الإناء. ثم نفض عنها القطرات القليلة من الندى التي تعلق بوريقاتها وأردف: "إني أعشقها هكذا، كأنها نضرة غضة".

وضغط بالوردة الذابلة على شفثيه الذابلتين، وبينما هو يتكلم رفرفت الفراشة على رأس الدكتور الأشيب وسقطت على الأرض.

ارتجف الضيوف ثانية، وسرت فيهم شيئاً فشيئاً قشعريرة غريبة لم يعرفوا كنهها، أَمِنَ الروح أم الجسد؟ ورمق كل منهم الآخر، وتخيل أن كل لحظة هاربة اختطف منهم فتنة، وتركت موضعها أخدوداً عميقاً لم يكن له وجود من قبل. أكان هذا وهمًا؟ أم أن تغيرات حياة برمتها ازدحمت في فسحة وجيزة كهذه، وأنهم الآن أربعة أشخاص مسنين جالسين مع صديقهم القديم الدكتور (هايديغر)؟

هتفوا بنغمة حزينة: "هل شُخْنَا ثانية بسرعة كهذه؟"

حقًا لقد غدوا هكذا، أجل لقد شاخوا ثانية، أمّا الأرملة، بدافع مشحون بالقشعريرة

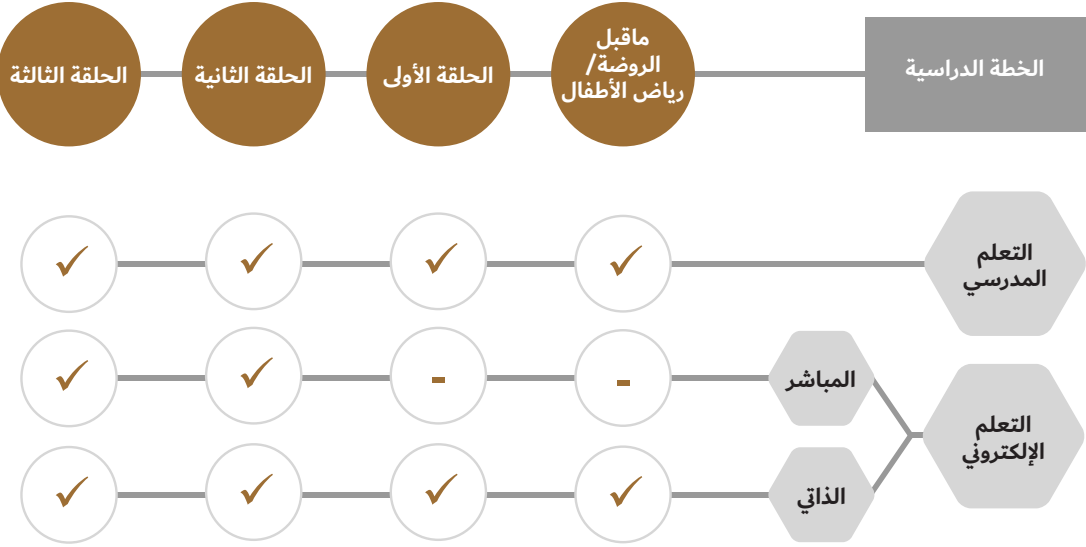
أظهرها أنها مازالت امرأة، فغطت وجهها بيديها المعروقتين، وتمنت لو أن غطاء التابوت فوقه؛ لأنه لن يعود جميلاً أبداً.

قال الدكتور (هايديغر): نعم يا أصدقائي، إنكم شيوخ مرة ثانية، وها هو ماء الشباب مهروق بسخاء على الأرض، ولن أحزن عليه، وحتى لو انجس ينبوعه أمام عتبة بيتي، فإنني لن أنحني لأغمس شفتي فيه، لا، حتى ولو دام هذيانه المحموم سنوات بدلاً من لحظات. هذا هو الدرس الذي علمتموني إياه!

ولكن أصدقاء الدكتور الأربعة لم يعلموا أنفسهم درساً كهذا، وصمموا على أن يذهبوا في القريب العاجل إلى فلوريدا صباحاً، وظهرًا، ومساءً، لعلهم يشربون من ماء ينبوع الشباب!!!

التعليم الهجين في المدرسة الإماراتية

في إطار البعد الإستراتيجي لخطط التطوير في وزارة التربية والتعليم، وسعيها لتنوع قنوات التعليم وتجاوز كل التحديات التي قد تحول دونه، وضمان استمراره في جميع الظروف، فقد طبقت الوزارة خطة التعليم الهجين للطلبة جميعهم في المراحل الدراسية كافة.



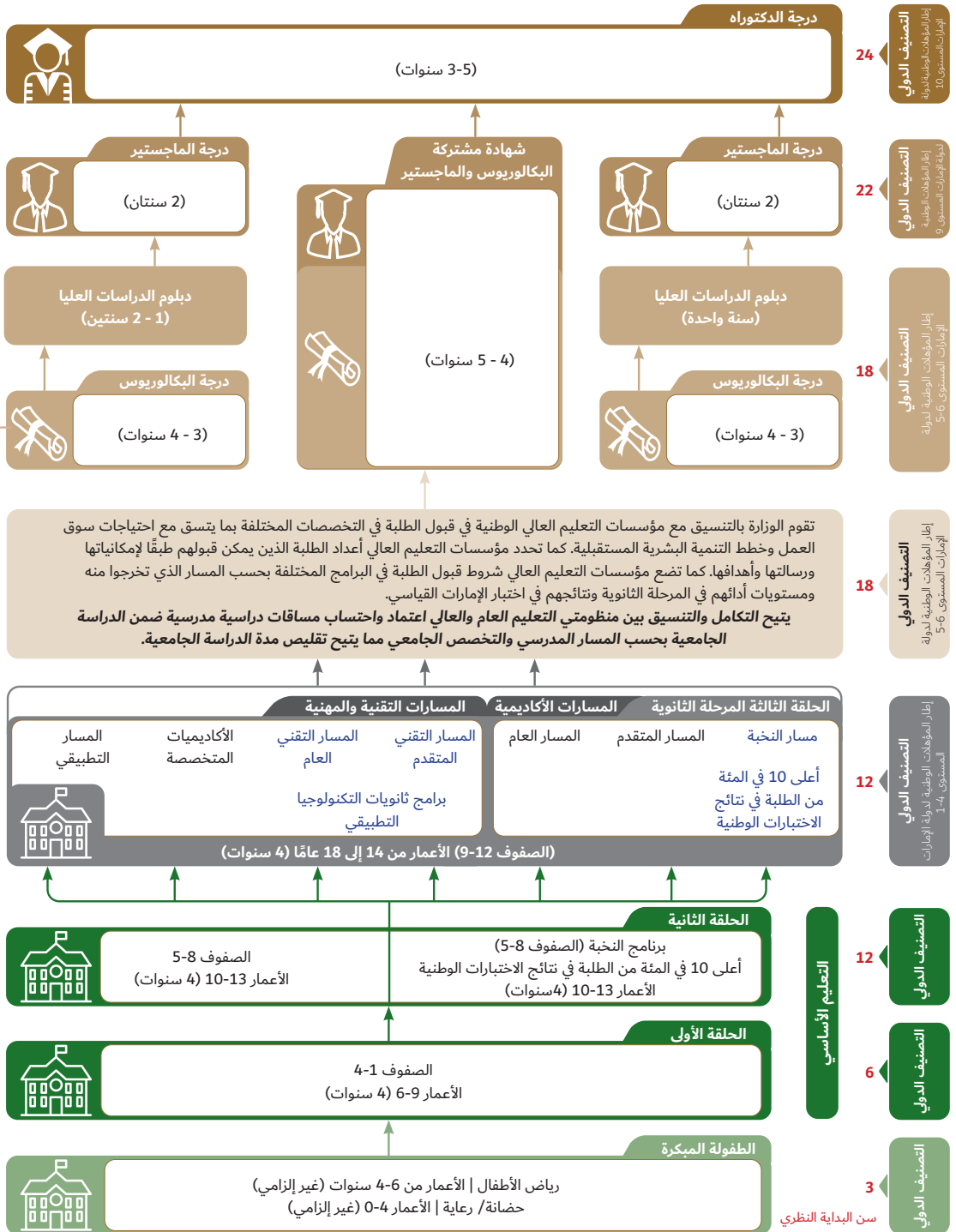
قنوات الحصول على الكتاب المدرسي:



برنامج محمد بن راشد
للتعلم الذكي
Mohammed Bin Rashid
Smart Learning Program

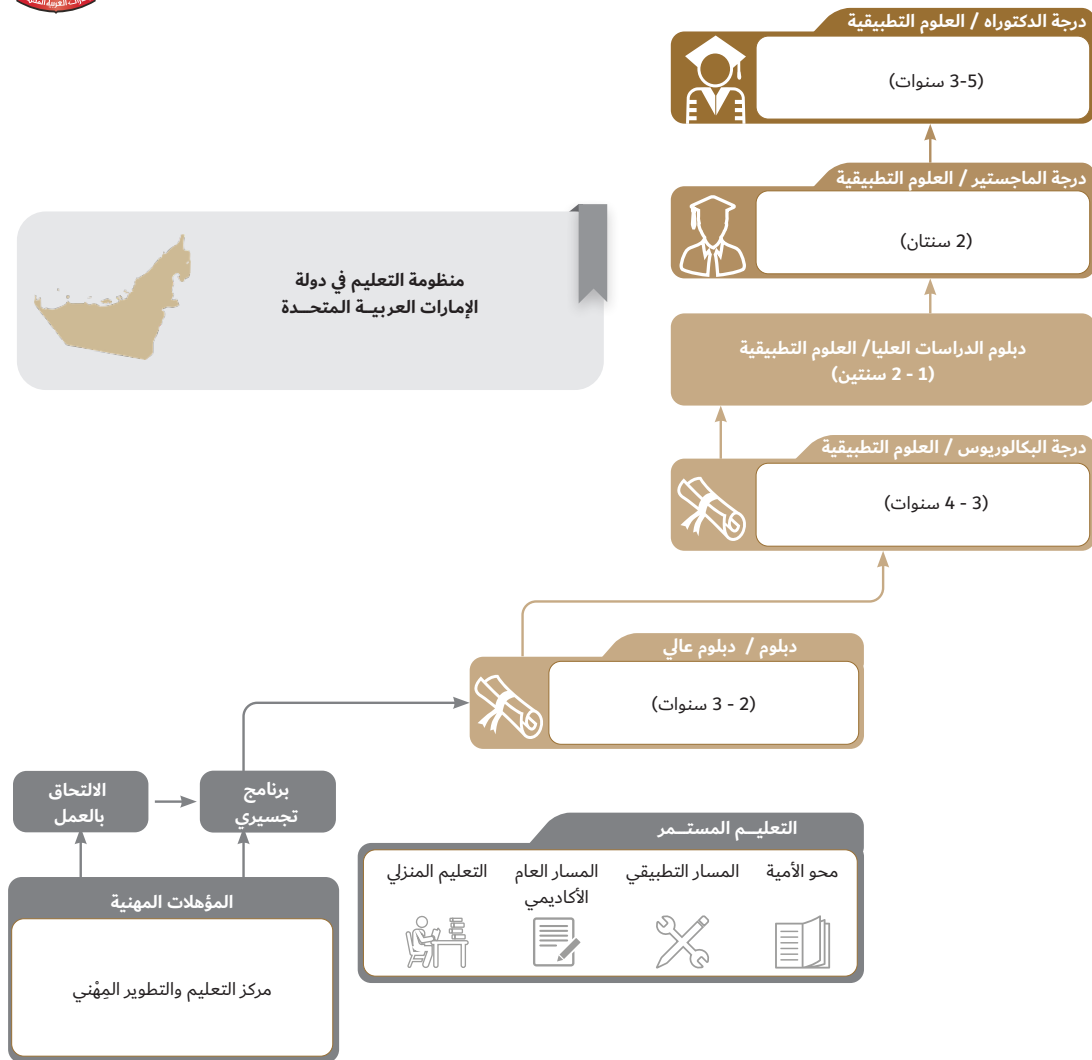
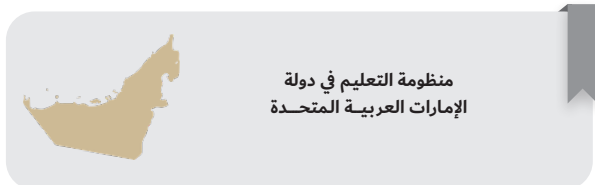
الوحدات الإلكترونية







الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم



مركز اتصال وزارة التربية والتعليم
اقتراح - استفسار - شكوى



80051115



04-2176855



www.moe.gov.ae



ccc.moe@moe.gov.ae